

سلسلة بيانات من الذكر الحكيم ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ  
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّرَوِيشِ  
الْقَاضِي فِي مَحْكَمَةِ اسْتِثْنَاءِ مَكَّةَ سَابِقًا



ثَنَاءُ الْمَوْلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَتَعَالَى  
عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ  
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّرَوِشِ  
الْقَاضِي فِي مَحْكَمَةِ اسْتِثْنَاءِ مَكَّةَ سَابِقًا

دار ابن الجوزي



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:

الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان

ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣

٨٤١٢١٠٠

ص. ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي: ٤٩٧٣

الرياض - ت: ٥٩٢٦٦٢٤٩٥

جوال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩

جوال: ٥٩٢٠٤١٣٧١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:

القاهرة - تليفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

جوال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

✉ aljawzi@hotmail.com

☎ +966503897671

f aljawzi

📍 eljawzi

🌐 aljawzi.net

٣ دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدرويش ، صالح بن عبد الله

ثناء المولى سبحانه وتعالى على اصحاب نبيه في القرآن

الكريم. / صالح بن عبد الله الدرويش -. الدمام ، ١٤٤٢ هـ

٤٦٥ ص ؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٩٨-٦٥-٧

١- الصحابة و التابعون ٢- فضائل الصحابة أ.العنوان

ديوي ٢٣٩,٩ ١٤٤٢/٢٦٨٢

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٢٦٨٢

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٩٨-٦٥-٧

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

( ١٤٤٢ هـ )

الباركود الدولي: 9786038298657

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٤٠ هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب  
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام  
ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي  
لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر .



إلى كل مؤمن بالقرآن العزيز العظيم الكريم معجزة الرسول  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من  
خلفه، تنزيل من حكيم عليم، فيه الهدى والنور، والشفاء لما في  
الصدور، من حَكَم به عدل، ومن آمن به نجا، عجز الإنس والجن أن  
يأتوا بمثله أو بسورة مثله، فيه الآيات البينات، والبراهين الشافية، لكل  
من أراد طريق الهداية والنور والحق، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ  
أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠]. - أهدي هذه الآيات البينات الواضحات مع شرح موجز  
في ثناء الله جَلَّ وَعَلَا على أصحاب خير الرسل منزلة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،  
الذي اصطفاه الله من البشر وبعثه في خير بقاع الأرض، وجعل هجرته  
في خير مهاجر، ونسبه خير الأنساب، ولغته أفصح اللغات، أفلا يجعل  
صحبه وآله خير الصحب والآل؟ بلى! إن ربي حكيم عليم، جلّ ذكره  
وتقدّست أسماؤه.



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالأمة اليوم بأمرٍ الحاجة لمعرفة الأدلة المتكاثرة التي لا يخالطها ريب ولا يشوبها شك على عدالة الصحابة وعلو شأنهم وكرامة مقامهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم.. في الوقت الذي كرّست الدولة الصفوية - وكل من دار في فلکها - جُلَّ جهودها لصرف المسلمين عن دينهم وتشكيكهم في ثوابتهم ومسلّمات عقيدتهم؛ استهدافاً لدين محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** الذي نقله إلينا صحابته الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، ليصلوا - ومن وراءهم - من خلال القدح في الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** إلى هدم الدين وإبطال الملة؛ إذ إن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** هم الباب، فإن سقطت مكانتهم في الأمة فكل ما جاء عن طريقهم سيكون محل شك وبطلان، باستثناء ما يدعم ويؤصل العقيدة الصفوية المجوسية، قال الشوكاني **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "من أراد كيداً للإسلام أظهر التشيع والمحبة لآل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** استجذاباً لقلوب الناس؛ لأن هذا أمر يرغب فيه كل مسلم، وقصداً

للتغريز عليهم، ثم أظهر للناس أنه لا يتم القيام بحق القرابة إلا بترك حق الصحابة، ثم جاوز ذلك إلى إخراجهم -صانهم الله- عن سبيل المؤمنين. ومعظم ما يقصده بهذا هو الطعن على الشريعة وإبطالها؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين روى للمسلمين علم الشريعة من الكتاب والسنة، فإذا تم لهذا الزنديق القدح في الصحابة وتكفيرهم والحكم عليهم بالردة بطلت الشريعة بأسرها؛ لأن هؤلاء هم حملتها الراوون لها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فهذا هو العلة الغائية لهم، وجميع ما يتظاهرون به من التشيع كذب وزور، ومن لم يفهم هذا فهو حقيق بأن يتهم نفسه، ويلوم تقصيره <sup>(١)</sup>. وبما أن جميع المسلمين يؤمنون بحفظ القرآن، فلا يناله نقص ولا زيادة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وحيث إن جمهور الشيعة (العامة) يؤمنون أيضاً بالقرآن الكريم، ويعتقدون عصمته من التحريف والزيادة والنقصان؛ فإن بيان عدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكذب الافتراءات الشيعية على أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من خلال القرآن الكريم، يُعتبر أقوى السبل لكشف

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب، للشوكاني (ص: ٩٦) بتصرف يسير.



زيفهم، وإلزامهم بأحد أمرين لا ثالث لهما: إمّا أن يقولوا بتحريف القرآن؛ وبذلك ينكشف سترهم، ويُفْضَح أمرهم، ويوؤون بخزي تَقِيَّتِهِمْ، وإما أن يُسَلِّمُوا بعدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حسب مقتضى الآيات المتكاثرة الدالة - صراحةً أو تلميحاً، خصوصاً أو عمومًا - على عدالتهم وعلو شأنهم، وكرامة قدرهم.

والآيات في فضلهم كثيرة جدًا:

فمنها ما يثني عليهم ويذكر من جميل أوصافهم وحسن أفعالهم، ومنها ما يشهد لهم بالإيمان ويفرق بينهم وبين المنافقين، ومنها ما يبشرهم بفضل الله تعالى ونصره وتأييده، ومنها ما يدافع عنهم ويأمر الرسول أن يحسن معاملتهم، ومنها ما يأتي بالتوجيه والإرشاد لهم بكل رحمة ولطف، ومنها ما ينزل بالعفو والرحمة من الله تعالى، ومنها ما يأتي بفضائل مخصوصة لأفراد أو فئات منهم.

وهذه الآيات منها الصريح بفضلهم، ومنها ما يتضمن ذلك بالإشارة والتنبية، ومنها ما يرتبط فهمه بمعرفة سبب النزول.

وسرُّ كثرة الآيات في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عاش معهم وبينهم، فهم طلابه، وجنده، وقادته،

وجماعة مسجده، وأصهاره وجيرانه، فحياته هم ميدانها عامة، ووقته معهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، فلا غرو أن تنزل آيات كثيرة عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وهم طرف فيها، وآيات أخرى خاصة به **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وَحُقِّقَتْ لَهُمْ هذه المنزلة، فلهم فضائل لا يدركها أحد بعدهم أبداً، وما أجمل ما قاله أبو العباس القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في شأنهم: "فضيلة الصحبة لا يَعْدِلُهَا عملٌ، وهو الحق الذي لا ينبغي أن يصار لغيره؛ لأمر:

أولها: مزية الصحبة ومشاهدة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وثانيها: فضيلة السبق للإسلام.

وثالثها: خصوصية الذب عن حضرة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

ورابعها: فضيلة الهجرة والنصرة.

وخامسها: ضبطهم للشرعية وحفظها عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وسادسها: تبليغها لمن بعدهم.

وسابعها: السبق في النفقة في أول الإسلام.

وثامنها: أن كل خير وفضل وعلم وجهاد ومعروف فعل في الشريعة إلى يوم القيامة، فحفظهم منه أكمل حظ، وثوابهم فيه أجزل ثواب؛ لأنهم سَنُوا سنن الخير، وافتتحوا أبوابه، وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**: «من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، ولا شك في أنهم - مع إمامهم رسول الهدى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** - الذين سنوا جميع السنن، وسابقوا إلى المكارم. ولو عُدَّت مكارمهم، وفُسِّرَت خواصهم وحُصِرَت لمَلَأَت أسفارًا، ولكَلَّت الأعين بمطالعتها حيارى.

وكفى من ذلك كله ثناء الله تعالى عليهم جملة وتفصيلاً، وتعييناً وإيهاماً، ولم يحصل شيء من ذلك لمن بعدهم<sup>(٢)</sup>.

وقد حرصت على التركيز على أوجه الثناء عليهم، واقتصرت على الواضح منها، وقد يحصل فيها تكرار؛ لأن بعض الآيات تكرر فيها ذات المعنى.

وقد جاءت فكرة هذا الكتاب في مجلس مدارس مع بعض الطلاب،

(١) مسلم (٢/ ٧٠٤ رقم ١٠١٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٥٠٢-٥٠٣).



حيث وقف بنا الحديث عند قول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] ودلالته على كفاية القرآن في الرد على شبهات المخالفين من أهل البدع وغيرهم، وأنَّ مَنْ أَحْسَنَ التدبر والتفكر في كتاب الله تعالى اتضح له الحق وانكشف له ضلال المبطلين وعرف به فساد شبهاتهم، ومن أوضح الأمثلة على هذا المعنى: عدالة الصحابة الكرام والرد على الطاعنين فيهم، فأخذت الآيات تتابع في المجلس حتى انبثقت فكرة جمع كتاب يحويها ويبين دلالاتها، لتكون ثباتاً لأهل الإيمان وحجة على أهل الباطل وهداية لمبتغي الحق والصواب، فكان ما أراد الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يكون، وتم الكتاب، وها هو بين أيديكم بفضل الكريم جَلَّ في علاه.

وفي الختام أتقدم بالشكر لكل من ساهم معي في إنجاز هذا الكتاب، وهذا بريدي الإلكتروني أسعد فيه بالتواصل لتصويب أي خلل أو خطأ أو مقترح حول الكتاب:

salehalderweesh@gmail.com

أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.



## موقف الشيعة من آيات الثناء على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

لم يأخذ الشيعة بمدلول آيات الثناء على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقالوا: بأنها خاصة بالعهد المكي، وقالوا: إنها فقط تخص أهل البيت والنزر اليسير من الصحابة، وقالوا: إنها قبل الفتح؛ كل ذلك ليجدوا مسوغات للطعن في بعض الصحابة ممن تأخر إسلامهم.

وما هي إلا مقدمات؛ فإنهم لن يكتفوا بالطعن في المتأخرين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. إنهم يحاولون الوصول من خلال ذلك للطعن في كل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيطعنون في فاروق الأمة عمر بن الخطاب لأجل معاوية، ويطعنون في الصديق أبي بكر لأجل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ورد الله جَلَّ وَعَلَا كيد الشائئين وأقماهم وأهانهم في الدنيا والآخرة.

فهم لا يرون لصحابي كرامة، ولا عدالة، ولا لعرضه حقاً.. وإن سلّموا ببعض أدلة الثناء دون بعض، وأنزلوها على بعض الصحابة دون بعض، فليس ذلك ناتج عن اعتقاد عدالة بعضهم، وإنما هو تدرُّج للوصول إلى

الطعن في الصحابة جميعاً، عدا أهل البيت، ثم الطعن في أهل البيت حيث لم ينكروا على بقية الصحابة، ثم الطعن في النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وعرضه الشريف، وإبطال الدين والقرآن والرسالة.

بينما نجد آيات القرآن في الثناء على الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** - وهي كثيرة - لم تقتصر على عهد دون عهد، ولا وقت دون وقت، فكما أن القرآن أثنى عليهم في عهد الاستضعاف والتعذيب في مكة، كذلك أثنى عليهم في عهد التمكين في المدينة، كما سيأتي في ثنايا هذا البحث، بل إن التفاضل بين الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** من حيث الأقدمية - سواءً باعتبار فتح مكة أو غيره - لم ينفِ فضل المتأخر منهم في إسلامه، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، وقوله **جَلَّالَهُ**: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وهاهي الآيات بين يديك أخي القارئ، لتنظر بنفسك وترى كيف أثنى الله تعالى على صحابة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.



أولاً: ثناء المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على  
الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ومكانتهم عنده







من أبرز علامات فضل الشخص ومكانته: ثناء الآخرين عليه، وكلما ازداد الثناء وعظم كلما دلّ هذا على عظيم الفضل والمكانة، خاصة إذا كان المادح عليمًا بأحوال المُثنى عليه، حكيمًا متزنًا في قوله وتعبيره، لا يبالغ في المدح ولا يبخس الناس أشياءهم، فصيحًا بليغًا يضع الكلام في مواضعه ويعرف معنى ودلالة ومفهوم كل كلمة يتلفظ بها، فإن المدح حينها سيكون أعظم وقعًا وأكثر دلالة على الشرف والمكانة.

فكيف إذا كان هذا المادح والمُثنى هو الله **جَلَّ وَعَلَا!!**

حين يجد المسلم أن الله **جَلَّ وَعَلَا** يشهد لقوم بالعدالة والوسطية، ويخبر برضاه عنهم، ويشرهم بأنواع البشارات، ويعدّهم بالوعود العظيمة، ويخبر عن تأييده ونصره لهم، ويذكر ثوابه لهم، ويصفهم بالعلم والصدق، ويمدح عبادتهم وجهادهم وبذلهم، ويشني عليهم عمومًا وخصوصًا، بل ويذكر أنه لم يمدحهم فقط في القرآن، بل أثنى عليهم كذلك في التوراة والإنجيل... حين يجد المرء كل هذا، هل يبقى في قلبه بعد ذلك شك في أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد أحبهم ورضي عنهم؟!

فيما يأتي من الآيات تفصيل هذا كله وأكثر.

## ١- عدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآية ١٤٣ من سورة البقرة

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ  
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ  
الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ  
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

الآية الكريمة مرتبطة بالآية قبلها وهي قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ  
مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢] في سياق تحول القبلة من بيت المقدس إلى  
البيت الحرام بمكة المكرمة، قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "قيل: المراد بالسفهاء  
هاهنا: مشركو العرب، وقيل: أحبار يهود، وقيل: المنافقون، والآية عامة في  
هؤلاء كلهم، وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة، وحاصل الأمر: أنه قد

كان رسول الله ﷺ أمرَ باستقبال الصخرة من بيت المقدس، فكان بمكة يُصَلِّي بين الركنين، فتكون بين يديه الكعبة، وهو مستقبلٌ صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تَعَدَّرَ الجمعُ بينهما، فأمره الله عزَّ وجلَّ بالتوجه إلى بيت المقدس، فاستمرَّ الأمرُ على ذلك بضعة عشرَ شهرًا، وكان يكثر الدعاء والابتهاال أن يُوجَّه إلى الكعبة، التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام، فأجيبَ إلى ذلك، وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق، فخطب رسولُ الله ﷺ الناس، وأعلمهم بذلك.

ولما وقع هذا حصل لبعض الناس - من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود - ارتياب وزيف عن الهدى وتخبط وشك، وقالوا: ﴿مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ أَلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أي: قالوا: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جلَّ وعلا جوابهم في قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، وحيثما تولوا فثمَّ وجه الله تبارك وتعالى، و﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: الشأن كله في امتثال أوامر الله عزَّ وجلَّ، فحيثما وجَّهنا توجَّهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجَّهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصريفه، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد ﷺ وأمه عناية عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وجعل توجَّههم

إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله **عَزَّوَجَلَّ** في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ولهذا قال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبله إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل. والوسط هاهنا: الخيار والأجود.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ يقول تعالى: إنما شرعنا لك -يا محمد- التوجه أولاً إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنه إلى الكعبة، ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ﴿مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ أي: مُرْتَدًّا عن دينه ﴿وإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي: هذه الفعلة، وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة، أي: وإن كان هذا الأمر عظيمًا في النفوس إلا على الذين هدى الله **عَزَّوَجَلَّ** قلوبهم -الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**- وأيقنوا بتصديق الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مَرِيَّةَ فيه، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله أن يكلف عباده بما شاء، وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك، بخلاف الذين في قلوبهم مرض، فإنه كلما حدث أمرٌ أحدث لهم شكًا، كما يحصل للذين آمنوا إيقانًا وتصديقًا.

كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ [التوبة: ١٣٤-١٣٥]، ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** واتباعه في ذلك، وتوجهه حيث أمره الله **عَزَّوَجَلَّ** من غير شك ولا ريب، من سادات الصحابة.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك، لا يضيع ثوابها عند الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: كان أول ما نُسخَ من القرآن القبلية، وذلك: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، فأمره الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** بضعة عشر شهراً، وكان يحب قبله إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فكان يدعو إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** وينظر إلى السماء، فأنزل الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَهُ﴾ ﴿١﴾.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٢-٤٥٨) مختصراً.



## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

إن هذه الأمة - الأمة الوسط وعلى رأسها الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - هي التي تشهد على الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط وتضع لهم الموازين والقيم، وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد وتَزِنُ قِيَمَهُم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول: (هذا حق منها وهذا باطل)، لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها.

وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحَكَمِ العَدْلُ بينهم.. وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو الذي يشهد عليها فيقرر لها موازينها وقيمها ويحكم على أعمالها وتقاليدها ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيه الكلمة الأخيرة..

وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها.. لتعرفها، ولتشعر بضخامتها. ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعداداً لائقاً.

### أوجه الثناء:

- عدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد جعلهم الله عَزَّ وَجَلَّ وسطاً، أي: عدولاً.
- أن الله تعالى نص على هداية الصحابة حين أن نقل قبلتهم من المسجد الأقصى إلى مسجد الكعبة، ولم يترددوا في ذلك، ولم يناقشوا، ولم يقولوا: لماذا؟ وكيف؟

- جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** خيار الناس وأجودهم، وجعلهم شهداء على الناس يوم القيامة. وهذه العدالة والخيرية والشهادة على الأمم إنما حازوها عندما حققوا الاتباع والانقياد لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** في أمر القبلة وفي غيرها من الأمور، وهذه هي الخصلة التي أوصلتهم إلى هذا المقام العالي الرفيع، وليس هذا الانقياد موقف عابر بل هو منهج عرفوا به وصار سمة بارزة فيهم، وهو من هداية الله تعالى لهم **﴿وإن كانت لكيرةً إلا على الذين هدى الله﴾**.

- رسوخ إيمان الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، فقد قاد اليهود حملة تشويه وتشكيك كبيرة، فلم يعبأوا بها **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

- لما نجح الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في الابتلاء، ولم يتأثروا بالطعن، أكرمهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بما أنزله من آيات في هذا الخصوص، وردَّ **جَلَّ وَعَلَا** على شبهات اليهود ليكون هذا مزيد تثبيت للمؤمنين وتقوية لحجتهم على خصومهم.

- الحكمة من الصلاة إلى بيت المقدس مدة ثم التحول إلى الكعبة: **﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾**، والصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** حققوا الاتباع للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** ولم ينقلب أحد على عقبيه ويرتد، فاجتازوا بذلك الاختبار بنجاح.

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

- ثناء الله جَلَّ جَلَالُهُ عليهم أنهم ذوو إيمان، وأنه لن يضيع إيمانهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم، فجعل الله عَزَّوَجَلَّ الصلاة إيمانًا.



## ٢- صفات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### في القرآن والتوراة والإنجيل

#### الآية ٢٩ من سورة الفتح

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا  
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ  
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ  
فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ  
رَسُولُهُ حَقًّا بَلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ، فَقَالَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، وَهَذَا مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ،  
وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ وَصْفٍ جَمِيلٍ، ثُمَّ ثَنَّى بِالشَّعَاءِ عَلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْ

يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً بَرّاً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن.

وقوله: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ وَصَفَهُمْ بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، وَوَصَفَهُمْ بالإخلاص فيها لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والاحتساب عند الله **عَزَّوَجَلَّ** جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول، كما قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقوله: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: السَّمَتِ الحَسَنَ. وقال مجاهد وغير واحد: يعني: الخشوع والتواضع. وقال السُّدِّي: الصلاة تُحَسِّنُ وُجُوهُهُمْ. وقال بعض السلف: من كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار. وقال بعضهم: إن للحسنة نوراً في القلب، وضياءاً في الوجه، وسعةً في الرزق، ومَحَبَّةً في قلوب الناس، وقال أمير المؤمنين عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: [ما أَسَرَ أَحَدٌ سريرةً إلا أبداه الله **عَزَّوَجَلَّ** على صَفَحَاتِ وجهه، وفَلَتَاتِ لسانه]. والغرض أن الشيء الكامن في النفس يَظْهَرُ على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله **عَزَّوَجَلَّ** أَصْلَحَ الله **عَزَّوَجَلَّ** ظاهره للناس، كما رُوي عن عمر بن الخطاب، أنه قال: من أَصْلَحَ سريرته أَصْلَحَ الله **عَزَّوَجَلَّ** علانيته.

فالصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** خُلِصَتْ نياتهم وحُسُنَتْ أعمالهم، فكلُّ من نَظَرَ إليهم أعجبه في سَمَتِهِم وهدْيِهِم. وقال مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ**: [بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا]. وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وقد نَوَّه الله **عَزَّجَلَّ** بِذِكْرِهِم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾، ثم قال: ﴿وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه، ﴿فَنَازَرَهُ﴾ أي: شدَّه ﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾ أي: شَبَّ وطال، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ، يُعْجِبُ الزَّرْعَ﴾ أي: فكَذَلِكَ أصحاب محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** آزره وأيدوه ونصروه فهُمْ معه كالشَّطْءِ مع الزرع، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - في رواية عنه - بتكفير الروافض الذين ييغضون الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، قال: لأنهم يَغِيظُونَهُمْ - أي: يغضبونهم ويشيرون حنقهم -، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك، والأحاديث في فضائل الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** والنهي عن التعرُّض لهم بمساءة كثيرة، وكيفيهم ثناء الله **عَزَّجَلَّ** عليهم، ورضاه عنهم.

ثم قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ (من) هذه لبيان الجنس، ﴿مَغْفِرَةً﴾ أي: لذنوبهم، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثوابًا جزيلاً ورزقاً



## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

كريمًا، ووَعَدَ الله عَزَّجَلَّ حَقُّ وَصِدْقٍ، لَا يُخْلَفُ وَلَا يُبَدَّلُ، وكل من اقتفى أثر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسَّبق والكمال الذي لا يَلْحَقُهُمْ فيه أحد من هذه الأمة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل <sup>(١)</sup>.

### أوجه الثناء:

- عطفُ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَسَلَّمَ ومشاركتهم إياه في أوصاف ومكرمات.
- وَصَفُ الصحابة البهي الجميل في التوراة والإنجيل، والثناء عليهم في الكتب المقدسة المنزلة على موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَيَعْرِفُ هذا كل من آمن بالتوراة والإنجيل من الأمم السابقة.
- مدحُهم ببلوغهم الكمال؛ في تعاملهم مع الكفار وتعاملهم فيما بينهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وتأمل في قوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ الذي يشير إلى أن لهم السطوة والقوة، حتى خضعت لهم القبائل والدول وممالك كسرى وقيصر ومن وراءهم، وتأمل في قوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الذي هو شهادة من الله عَزَّجَلَّ للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بهذا الوصف الرقيق في القرآن.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٠-٣٦٣) مختصراً.

فاختر أيها القارئ الكريم تصديق هذه الشهادة والإيمان بها، بأنهم رحماء بينهم، أو ردّ هذه الآية وغيرها من الآيات بسبب روايات مكذوبة لا أسانيد لها وأساطير مختلفة، نعوذ بالله من ذلك.

- تَكْرِيمُهُمْ بِذِكْرِ أَشْرَفِ الْأَحْوَالِ ﴿تَرَنُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ حيث اختار من هيئاتهم وحالاتهم هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة: ﴿تَرَنُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾، والتعبير يوحي وكأنما هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم، ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة، وهي الحالة الأصلية لهم في حقيقة نفوسهم فعبر عنها تعبيراً يثبتها كذلك في زمانهم، حتى لكانهم يقضون زمانهم كله ركعاً سجداً، وهذا شأنهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، رهبان بالليل فرسان بالنهار.

- شهادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لهم بنقاء قلوبهم ونبيل مقصدهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، فهل أدرك من كره الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ذلك الأمر وقبلوا شهادة الله **عَزَّ وَجَلَّ** في آيات متعددة، وردوا الروايات والأساطير التي لا أسانيد لها؟!

- شهادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لهم بصدق العبادة والتوجه إليه في سمتهم وسحتتهم وسماتهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

- ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ وهذا المثل ليس مستحدثاً، فهو ثابت في صفحة القَدَر، ومن ثمَّ ورد ذكره قبل أن يجيء محمد ﷺ من معه إلى هذه الأرض، وثابت في التوراة والإنجيل في بشارتهما بمحمد ﷺ ومن معه حين يجيئون.

- إعجاب الناس بهم، ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ فثمار غرس الرسول ﷺ في نفوسهم مثل أثر نمو الغرس، وحسنه يقع في نفوس خبراء الزرع العارفين بالنامي منه والذابل، المثمر منه والبائر، وَقَعَ البهجة والإعجاب: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ ورسول الله ﷺ هو صاحب هذا الزرع النامي القوي المخصب البهيج.

- وَقَعَ ثمار غرس الرسول ﷺ في نفوس الكفار هو على العكس؛ فهو وَقَعَ الغيظ والكمد والحسرة، ولا يخفى بأن تعتمد إغاطة الكفار يبين أن هذه الزرعة هي زرعة الله عزَّجَلَّ ورسوله ﷺ.

- الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم غرس رسول الله ﷺ وثمرته، فرعايتهم واحترامهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو من رعايته واحترامه ﷺ.

- وفوق هذا التكريم كله، وعدهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالمغفرة والأجر العظيم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٣٥ ..

وهو وعد يجيء في هذه الصيغة العامة بعد ما تقدم من صفتهم التي تجعلهم أول الداخلين في هذه الصيغة العامة، و(مِنْ) هنا بيانية، كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

- ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهذه المغفرة والتكريم وحده حسبهم، ووصف الله عز وجل للأجر بأنه عظيم - نكرة عامة - يشمل الرضا ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، والنظر إلى وجهه الكريم، وعطايا الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا حصر لها.

- في الآية قبلها: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨]؛ دليل على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أظهر هذا الدين وأعلاه على بقية الأديان بهؤلاء الصحابة الكرام الذين وصفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآية الأخيرة.

- إذا نظرنا إلى التوافق بين افتتاح السور واختتامها نجد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ابتدأها بالفتح، وختمها بذكر الأصحاب، وكأنها إشارة إلى أن الفتح إنما حصل بعد فضل الله تعالى بهؤلاء الأصحاب الذين لهم هذه الصفات العظيمة، وصدق الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتحدث عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من وحي هذه الآية فيقول: "أثنى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على

أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سُنَنَ رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصًّا وعزماً وإرشادًا، وعرفوا من سُنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم<sup>(١)</sup>.



(١) مناقب الشافعي للبيهقي (١/٤٤٢).

٣- رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى  
السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
وَالْمُتَّبِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ

### الآية ١٠٠ من سورة التوبة

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ  
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠٠)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يخبر تعالى عَزَّجَلَّ عن رضاه عن السابقين من  
المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من  
جنان النعيم، والنعيم المقيم.

قال الشعبي: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ من أدرك بيعة  
الرضوان عام الحديبية. وقال أبو موسى الأشعري والحسن وقتادة: هم الذين

صلُّوا إلى القبليتين مع رسول الله ﷺ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. فإيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويسبُّونهم، عيادًا بالله من ذلك.

وهذا يدلُّ على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؛ إذ يسبُّون من رضي الله عنهم؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمَّن رضي الله عنه، ويسبُّون من سبَّه الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله، ويوالون من يوالي الله عَزَّ وَجَلَّ، ويعادون من يعادي الله عَزَّ وَجَلَّ، وهم مُتَّبِعُونَ لا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ ولا يَتَّبِعُونَ، ولهذا هم حزب الله عَزَّ وَجَلَّ المفلحون وعباده المؤمنون <sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله تعالى: ﴿وَالسَّيْفُوكَ الْأَوَّلُونَ﴾ فيهم ستة أقوال:

أحدها: أنهم الذين صلُّوا إلى القبليتين مع رسول الله ﷺ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٣/٤) مختصراً.



قاله أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسعيد بن المسيب، وابن سيرين، وقتادة.  
والثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيعة الرضوان،  
وهي الحديبية، قاله الشعبي.

والثالث: أنهم أهل بدر، قاله عطاء بن أبي رباح.

والرابع: أنهم جميع أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حصل لهم  
السبق بصحبته. قال محمد بن كعب القرظي: "إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد غفر لجميع  
أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في  
قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾".

والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله  
تعالى. ذكره الماوردي.

والسادس: أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى<sup>(١)</sup>.

وقال الفخر الرازي: "قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ قال عطاء عن  
ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يريد: يذكرون المهاجرين والأنصار بالجنة والرحمة  
والدعاء لهم، ويذكرون محاسنهم، وقال في رواية أخرى: والذين اتبعوهم  
بإحسان على دينهم إلى يوم القيامة.

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٩١-٢٩٢).

واعلم أن الآية دلت على أن من اتبعهم إنما يستحقون الرضوان والثواب، بشرط كونهم متبعين لهم بإحسان، وفسرنا هذا الإحسان بإحسان القول فيهم، والحكم المشروط بشرط، ينتفي عند انتفاء ذلك الشرط، فوجب أن من لم يحسن القول في المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يكون مستحقاً للرضوان من الله تعالى، وأن لا يكون من أهل الثواب لهذا السبب، فإن أهل الدين يبالغون في تعظيم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا يطلقون ألسنتهم في اغتيالهم وذكرهم بما لا ينبغي<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الثناء:

- أن الله تعالى جعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قسمين - بناء على أن السابقين ليسوا جميع الصحابة - : قسم سابق، وقسم متبع له يدخل فيه غير السابقين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وهذا يدل على أنهم ليسوا على درجة واحدة، وهذا مقرر عند أهل السنة، أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفاوتون فيما بينهم في الفضل، لكنهم كلهم لهم منزلة الصحبة.

- أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا من أهل الإحسان، بدليل أن الرضوان يشمل من تبعهم بإحسان، فدل على أن

(١) تفسير الرازي (١٦ / ١٣٠).

الإحسان كائن في المتبوع منهم ومن يتبعه.

- السَّبْقُ يشمل سبق الصفة وهي الإيمان، وسبق الزمان وهو الدخول في الإسلام قبل غيرهم، وسبق المكان بتبوء دار الإيمان قبل غيرهم، وهذه كلها اجتمعت في الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وأعظمها: سبق الصفة، فهم أعظم الناس إيمانًا، وهم القدوة فيه.

- **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴿﴾ رضا الرحمن **جَلَّ جَلَالُهُ** أسمى مطلوب الرسل والنبیین، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** عن موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَعَجَّلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، وعن سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: ١٩]، فقد طلب الرسل بلوغ هذا الوعد الذي بشر الله **عَزَّ وَجَلَّ** به السابقين، فتأمل هذا يا رعاك الله.

- أعظم بشارة يسمعها أهل الجنة ما يقوله تعالى لهم - كما في حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟! فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده

أبدًا<sup>(١)</sup>.. فكيف بمن جاءتهم هذه البشارة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وهم لا زالوا في الدنيا.

- ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وفي ذلك ردّ على الشيعة الذي يزعمون ردة الصحابة!!، فكيف يُعَدُّ الله عزَّ وجلَّ لهم جنات ونعيم، ويَعِدُّهم بالخلود فيها أبدًا؟! والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم بأنهم سيموتون على الكفر أو الفسق!؟

- الرضوان الممتد على طول طريق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منذ اتباعهم للحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى الفردوس الأعلى؛ يوجب على كل مؤمن بالقرآن أن يعتقد عدالتهم، وكرامتهم عند الله تعالى، وإلا فكيف له أن يكون تابعًا بإحسان؛ إن كان المتبوع على غير الإحسان!!؟

- أن السابقين الأولين هم القدوات الذين يقتدى بهم مع سيدهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الأخيار، فأمعن النظر في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾، وقوله تعالى في سورة الحشر ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] فإذا أردت الفوز بالرضوان والالحوق بالركب فحقق الشرط وهو اتباعهم بإحسان.

(١) البخاري (٨/ ١١٤ رقم ٦٥٤٩)، مسلم (٤/ ٢١٧٦ رقم ٢٨٢٩).

- هؤلاء هم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أصحاب المقام الأسمى والمكانة الأعلى بين الأمم في الدنيا والآخرة، ولا ينتقص من مقامهم وجود منافقين حول المدينة، أو فيها؛ فكبار الصحابة وأصحاب بدر وبيعة الرضوان يمثلون جمهور المجتمع وأغلبية أهل المدينة، وهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: "مقام أحدهم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره وإن طال" <sup>(١)</sup>، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد الأربعة خير الناس، ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه" <sup>(٢)</sup>.



(١) مناقب أبي حنيفة للمكي (ص: ٧٦).

(٢) السنة للإمام أحمد (ص: ٧٧-٧٨).

٤- تآزر المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
وفضل من أحبهم وسار على دربهم

### الآيات ٨-١٠ من سورة الحشر

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ  
اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا  
الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ  
حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ  
شَحًّا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ  
بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ  
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ

اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله عَزَّجَلَّ

ورضوانه ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين صدَّقوا

قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

ثم قال تعالى مادحاً للأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم.

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح. عن جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «واتقوا الشحَّ، فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» [رواه مسلم].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، كما قال في آية براءة: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فالتابعون لهم بإحسان هم: المتبعون لأثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ



## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أصحاب نبیه ﷺ

سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا ﴿١﴾ أَي: بغضًا وحسدًا ﴿٢﴾ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾.

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسبّ الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب؛ لعدم اتصافه بما مدح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به هؤلاء في قولهم: ﴿١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾. عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فسببتموهم، سمعتُ نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أوّلها» [رواه البغوي] <sup>(١)</sup>.

## أوجه الثناء:

- إكرام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إياهم بأن خصّهم بذكر استحقاقهم الفيء دون غيرهم.

- وَصَفَ الله جَلَّ جَلَالُهُ المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وصفًا ذا دلالة عميقة، وفيه شهادة من الله تعالى بما في قلوبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أمرين عظيمين:

(١) تفسير ابن كثير (٨/٦٨-٧٣) مختصرًا.

١ - في دوافع الهجرة، أنهم: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

٢ - وغايتها، وهي: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

- الوصف البليغ في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، قال ابن عاشور **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وجملة ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ مفيدة القصر لأجل ضمير الفصل، وهو قصر ادّعائي للمبالغة في وصفهم بالصدق الكامل، كأنَّ صدق غيرهم ليس صدقًا في جانب صدقهم" (١).

- تمسك بعض العلماء بهذه الآية على إمامة أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فقال: هؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار كانوا يقولون لأبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: يا خليفة رسول الله، والله يشهد على كونهم صادقين، فوجب أن يكونوا صادقين في قولهم: يا خليفة رسول الله، ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بصحة إمامته (٢).

- أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** شهد لهم بالإيمان، وليس بالإيمان فقط؛ بل بالصدق في الإيمان.

- ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ الأنصار سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

(١) التحرير والتنوير (٢٨ / ٨٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٩ / ٥٠٧).

أجمعين، وآمنوا قبل كثير منهم.

- ﴿وَالْإِيمَنَ﴾ كَأَن الْإِيمَانَ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ مَسْكَنٌ وَمَأْوَى؛ لِقُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ.

- ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أَي: مِنْ كَرَمِهِمْ وَشَرَفِ أَنْفُسِهِمْ، يُحِبُّونَ الْمُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيُوَاسُونَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ إِيْظَاهَارًا لِلْأَخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ لَيْسَتْ مَدَّعَاةٌ بَلْ هِيَ حَقِيقِيَّةٌ، وَلِهَذَا أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَا.

- ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أَي: وَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَدًا لِلْمُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِيمَا فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ وَالشَّرَفِ، وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ وَالرُّتْبَةِ، وَذَلِكَ لَصَدَقَ إِيْمَانُهُمْ وَصَفَاءُ قُلُوبِهِمْ.

- قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يَعْنِي: حَاجَةً، أَي: يَقْدُمُونَ الْمَحَاوِيجَ عَلَى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ احْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ.

وهذا المقام أعلى من حال الذين وَصَفَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨]. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَصَدَّقُوا وَهُمْ يُحِبُّونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا ضَرُورَةٌ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ أَثَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ خِصَاصَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَا أَنْفَقُوهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟». فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ

الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيفُ رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لا تدّخريه شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوتُ الصبية. قال: فإذا أراد الصبيةُ العشاء فنوّميهن، وتعالى فأطفئ السراج، ونطوي بطوننا الليلة. ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فقال: «لقد عجب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** -أو: ضحك- من فلان وفلانة»، وأنزل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [رواه البخاري ومسلم] (١).

- وقاهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** الشُّحَّ حسب مفهوم الآية، فهم من المفلحين؛ حيث إنَّ من سَلِمَ من الشُّحِّ فقد أفلح وأنجح.

- مَدَحَ الله تعالى التابعين ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة لطلبهم المغفرة للسابقين من المهاجرين والأنصار، ولو لم يكن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أهل صدق وإيمان لما كان المستغفر لهم ممدوحاً.

- المهاجرون والأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** هم أصحاب السبق بالإيمان، فالله سبحانه ذكر المهاجرين في الآية الأولى، ثم الأنصار في الآية الثانية، وفي الآية الثالثة ذكر بقية المؤمنين قائلًا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بقية أهل

(١) هذه الوجوه من تفسير ابن كثير (٨/ ٦٩-٧١).

الإيمان يأتون بعد المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- وَصَفُ الله تعالى التابعين ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة بدعائهم  
بارئهم تعالى أن ينزع من قلوبهم الغل والحسد والحقد على المؤمنين  
بإطلاق، وأول المؤمنين وأكرمهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ  
وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- لا إيمان لمن لم يُطَهَّر قلبه تجاه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فالآيات فيها  
تقسيم للذين يستحقون الفيء من المؤمنين إلى ثلاثة أقسام: المهاجرون،  
والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان.

- هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لأنه جعل لمن  
بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وموالاتهم  
والاستغفار لهم، ومن سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً فلا حق له في  
الفيء، روي ذلك عن مالك وغيره<sup>(١)</sup>.

- الأمر بالاستغفار للصحابة.. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أُمِرُوا أَنْ  
يَسْتَغْفِرُوا لِلْسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٨ / ٣٢).

وهو يعلم أنهم سيُقتلون]. وقالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: [أُمرت بالاستغفار لأصحاب محمد فسببتموهم]. وقال العوام بن حوشب: [أدركت صدر هذه الأمة يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى تألف عليهم القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجسروا<sup>(١)</sup> الناس عليهم]. وقال الشعبي: تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى. وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى. وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفاها الله **عَزَّ وَجَلَّ** بسفك دمائهم وإدحاض حجتهم. أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة<sup>(٢)</sup>.



(١) الجسارة: هي الجراءة والإقدام على الشيء. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٧٢)، والمعنى: لا تذكروا ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم فيؤدي هذا إلى جرأة الناس على انتقادهم والإساءة إليهم.

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٣) مختصراً.

## ٥- رفعة درجات المهاجرين

المجاهدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآيات ٢٠-٢٢ من سورة التوبة

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ  
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ  
وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ  
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم أنه تعالى ذكر ترجيح الإيمان والجهاد على السقاية وعمارة المسجد الحرام على طريق الرمز، ثم أتبعه بذكر هذا الترجيح على سبيل التصريح في هذه الآية، فقال: إن من كان موصوفاً بهذه الصفات الأربعة كان أعظم درجة عند الله عَزَّوَجَلَّ ممن اتصف بالسقاية والعمارة، وتلك الصفات الأربعة هي هذه: فأولها الإيمان، وثانيها: الهجرة،

وثالثها: الجهاد في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ** بالمال، ورابعها: الجهاد بالنفس.

وإنما قلنا: إن الموصوفين بهذه الصفات الأربعة في غاية الجلالة والرفعة؛ لأن الإنسان ليس له إلا مجموع أمور ثلاثة: الروح، والبدن، والمال. أما الروح فلما زال عنه الكفر وحصل فيه الإيمان، فقد وصل إلى مراتب السعادات اللائقة بها، وأما البدن والمال فبسبب الهجرة وقعا في النقصان، وبسبب الاشتغال بالجهاد صارا معرضين للهلاك والبطلان، ولا شك أن النفس والمال محبوب الإنسان، والإنسان لا يعرض عن محبوبه إلا للفوز بمحسوب أكمل من الأول، فلولا أن طلب الرضوان أتم عندهم من النفس والمال، وإلا لما رجحوا جانب الآخرة على جانب النفس والمال، ولما رضوا بإهدار النفس والمال لطلب مرضاة الله تعالى، فثبت أن عند حصول الصفات الأربعة صار الإنسان واصلاً إلى آخر درجات البشرية وأول مراتب درجات الملائكة، وأي مناسبة بين هذه الدرجة وبين الإقدام على السقاية والعمارة لمجرد الاقتداء بالآباء والأسلاف ولطلب الرياسة والسمعة؟

فثبت بهذا البرهان اليقين صحة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

واعلم أنه تعالى لم يقل: أعظم درجة من المشتغلين بالسقاية والعمارة؛



لأنه لو عَيَّن ذكرهم لأوهم أن فضيلتهم إنما حصلت بالنسبة إليهم، ولمَّا ترك ذكر المرجوح، دل ذلك على أنهم أفضل من كل من سواهم على الإطلاق، لأنه لا يعقل حصول سعادة وفضيلة للإنسان أعلى وأكمل من هذا الصفات<sup>(١)</sup>.

يقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ جوداً منه، وكرماً وبراً بهم، واعتناءً ومحبةً لهم، ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم بها كل خير.

﴿وَرِضْوَانٍ﴾ منه تعالى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً.

﴿وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾<sup>(٢١)</sup> من كل ما اشتتهه الأنفس، وتلذ الأعين، مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى، الذي أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لو سعتهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا يتقلون عنها، ولا ييغون عنها حِوَلًا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢٢)</sup> لا تُسْتَعْرَب كثرته على فضل الله عزَّجَلَّ ولا يُتَعَجَّب من

(١) تفسير الرازي (١٦/١٣-١٤).

عِظْمَهُ وَحُسْنَهُ عَلَى مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ، فَيَكُونُ" (١).

### أَوْجُهُ الثَّنَاءِ:

- الثَّنَاءُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ بِذِكْرِهِمْ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾.

- أَنَّ إِيْمَانَهُمْ تَجَسَّدَ فِي أَعْظَمِ صُورِ الْبَذْلِ وَالتَّضَحِّيَةِ، وَتَقْدِيمِ أَعْلَى الْأَثْمَانِ فِي تَحْقِيقِ إِيْمَانِهِمْ وَهُوَ الْأَنْفُسُ وَالْأَمْوَالُ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، وَالْأَنْصَارُ يَشَارِكُونَ إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا فِي التَّضَحِّيَةِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَكَذَلِكَ الدِّيَارِ، حَتَّى عَرَّضُوا دِيَارَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِلْهَجُومِ عَلَيْهَا مِنَ الْكُفَّارِ كَمَا حَصَلَ فِي أَحَدٍ وَالْخَنْدَقِ.

- شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ بِأَنَّهُمْ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَتَرَكَوا أَمْوَالَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَخَلَّاهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، جَاهَدُوا وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ شَهِدَ جَلَّ جَلَالُهُ بِصَدَقِ نِيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وَقُلَّ أَنْ يَحُوزَ بَشَرٌ مِثْلَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ الْعَظِيمَةِ.

(١) تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ (ص: ٣٣٢).

- ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ ناهيك بها من رفعة، وشرف كبير، وتفضيل لهم على غيرهم، وقد تقدم قول الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولما ترك ذكر المرجوح، دل ذلك على أنهم أفضل من كل من سواهم على الإطلاق".

- ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هم أعظم درجة عند الله عزَّوَجَلَّ، فكيف مكانتهم بين الأمم السابقين واللاحقين، وهذه الإضافة (عند الله) تساوي كنوز الدنيا كلها، ولا يلحق بهذه المنزلة إلا الخُلَصَّ ممن سار على نهجهم.

- ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ حَصُرَ وَقْصُرَ للفوز على المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تشريفاً لهم، وإن كان هناك فائزون غيرهم، إلا أن فوزهم هو الأعظم، حتى كأنه لا فوز إلا فوزهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويلحق بهم الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك.

- وتتوالى المكرمات لسادات الأرض، الذين استخلفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها ومكن لهم دينهم، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ ويا لها من بشرى يصيخ<sup>(١)</sup> لها الدهر، وما أدراك ما رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

- ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ والرضوان كمال الرضا من الله تعالى عن أوليائه، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

(١) يصيخ: يستمع وينصت. لسان العرب (٣/ ٣٥).

- ﴿وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ (٢١) خَلِيدٌ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾؛ فهنيئاً لهم تلك المكارم والمعالي، التي لم ينالوها بالأمان ولا بالتواني، وإنما ببذل كل شيء يقدرُونَ عليه في سبيل مرضاة ملك الملوك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ولا نستغرب قيام فئام من الناس بسبِّهم وشتمهم من يهود ونصارى ومجوس بسبب زوال ملكهم وانكسار دولهم وظهور التوحيد، لكن العجب كل العجب أن يتأثر بهم من ينتسب إلى الإسلام وهو يقرأ هذه النصوص الواضحة في فضلهم!!

## ٦ - البشارة لأهل أحد

شهادتهم وأحيائهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآيات ١٦٩-١٧٤ من سورة آل عمران

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قُتلوا في هذه

الدار فإن أرواحهم حيّة مرزوقة في دار القرار.

وعن مسروق قال: سألنا عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك؟ فقال: «أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل» [رواه مسلم]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الشهداء على بارقٍ - نهرٍ بباب الجنة - في قبةٍ خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشياً» [رواه أحمد].

وكان الشهداء أقسام: منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك، ويُغذى عليهم برزقهم هناك ويُراح.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ أحياءٌ عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ويستبشرون بإخوانهم الذين يُقتلون بعدهم في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ: أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم، ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم.

ثم قال: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قال محمد بن إسحاق: استبشروا وسرُّوا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل

الثواب، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم، سواء الشهداء وغيرهم، وَقَلَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ فَضْلًا ذَكَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَثَوَابًا أَعْطَاهُمْ إِلَّا ذَكَرَ مَا أَعْطَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: هذا كان يوم (حمراء الأسد)، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كَرُّوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فلما استمروا في سيرهم تَدَدُّوا لَمْ لَا تَمَّوْا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَجَعَلُوهَا الْفَيْصَلَةَ! فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْذَهَابِ وَرَاءَهُمْ لِيُرْعِبَهُمْ وَيُرِيَهُمْ أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً وَجَلَدًا، وَلَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ سِوَى مَنْ حَضَرَ الْوَقْعَةَ يَوْمَ أَحَدٍ، سِوَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان، طاعةً لله وَلِرَسُولِهِ ﷺ.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية، قالت لعروة: يا ابن أخي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب نبي الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا فقال: «من يرجع في إثرهم؟» فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير [رواه البخاري].

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١﴾ أي: الذين توعدّهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء، فما اكرثوا لذلك، بل توكلوا على الله عَزَّوَجَلَّ واستعانوا به ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: [قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُلْقِيَ في النار، وقالها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾] [رواه البخاري]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ أي: لما توكلوا على الله عَزَّوَجَلَّ كفاهم ما أهتمُّهم وَرَدَّ عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعد تسليّة تلك القلوب المؤمنة أن يزيدها طمأنينة وراحة، فكشف لها عن مصير الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ - وليس هنالك شهداء إلا الذين يقتلون في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ خالصة قلوبهم لهذا المعنى، مجردة من كل ملابسة أخرى - فإذا هؤلاء الشهداء أحياء، لهم كل خصائص الأحياء؛ فهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾ عند ربهم، وهم فرحون بما آتاهم الله

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦١-١٧١) بتصرف.



سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من فضله، وهم يستبشرون بمصائر من وراءهم من المؤمنين، وهم يحفلون بالأحداث التي تمر بمن خلفهم من إخوانهم.

فهذه خصائص الأحياء: من متاع واستبشار واهتمام وتأثر وتأثير، فما الحسرة على فراقهم؟ وهم أحياء موصولون بالأحياء وبالأحداث، فوق ما نالهم من فضل الله جلَّ في علاه، وفوق ما لقوا عند الله عزَّجَلَّ من الرزق والمكانة كما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك في محكم التنزيل.

#### أوجه الثناء:

- الآيات (١٦٩-١٧١) في شهداء أحد، وقيل: في شهداء بئر معونة<sup>(١)</sup>، والآيات عامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهؤلاء من أجلة الصحابة المؤمنين الذين أكرمهم الله تعالى بالشهادة، وحكم لهم بالإيمان.

- البشارة لمن بقي من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولم يستشهد يوم أحد، فقد رأوا إخوانهم الشهداء واطلعوا على ما يسرُّ من حالهم فاستبشروا به، وجاءت هذه البشارة من الله تعالى أنه ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- في الآيات بشارة لمن بقي من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه لن تصيبهم نكبة

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (١/٣٤٦-٣٤٧).

بعد ذلك اليوم، لقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢).

- جاءت الآيات مواساة للصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وتخفيفاً عنهم ورداً على شبهة من أراد تشييط المؤمنين وسمت بهم يوم أحد، فالآية قبلها: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٦٨)، ثم جاءت هذه الآيات بعدها مباشرة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...﴾

- ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ صفة للمؤمنين في آخر الآية قبلها: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١)؛ فهم مؤمنون، وقد وعدهم الله **جَلَّ جَلَالُهُ** أن لا يضيع أجرهم.

- استجابوا لله **عَزَّ وَجَلَّ** والرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رغم الجراح والقرح والألم، وفداحة المصاب، وهذا دأبهم في المنشط والمكره، والعسر واليسر، ومنهجهم الذي عرفوا به، فمهما أصابهم ومهما نزل بهم فإنه لا يحول بينهم وبين الاستجابة لأمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حائل، ولا يمنعهم من ذلك مانع، وهي استجابة تامة، لا يسألون: لِمَ؟ وكيف؟ بل يستمعون الأمر فينقذون، ولا ينتظرون من وراء ذلك نفعاً ولا مصلحة، بل كل ما يطلبونه هو طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

فشتان ما بينهم وبين المنافقين، ومن كان في دينه رقة ممن قال تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

- ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وكلهم ذوو إحسان وتقوى، فكانوا جديرين بالأجر العظيم، قمنين<sup>(١)</sup> بالفوز الكبير، لا تزيدهم الابتلاءات إلا ثباتاً وقوة في الإيمان وصدقاً في اليقين، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. - أثابهم الله تعالى عن إيمانهم وتصديقهم موعود ربهم، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَيْهِ فَفُضِّلَ لَهُمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ﴾.

- إخبار الله تعالى عن نبل غايتهم ونقاء سريرتهم وطهارة نياتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فتوابه إياهم لأنهم اتبعوا رضوان الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [١٧٤]، ولفظ ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أصل عظيم في بيان المنهج، فهو يشمل الإخلاص وصدق المتابعة.

- شهداء أحد يزورهم الشيعة، مع أنهم لم يكونوا ممن يؤمنون بالإمامة والولاية حسب معتقد الشيعة، فإما أنهم ليسوا بمؤمنين، أو أن الإمامة

(١) جمع قَمِنَ، بمعنى: جدير وحقيق بالشيء. المصباح المنير (٢/ ٥١٧).

فنه القرآن الكريم

والولاية ليست من الإيمان في شيء. ومعتقد الشيعة أن الولاية نادى بها الرسول **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** في غدير خم بعد رجوعه من حجة الوداع، فتأمل ذلك.



٧- نعمة الله تعالى على الأنصار

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِتَأْلِيْفِ الْقُلُوبِ

وَالْإِنْقَازِ مِنَ النَّارِ

### الآية ١٠٣ من سورة آل عمران

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠٣)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ قيل: ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: بعهد الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال في الآية بعدها: ﴿صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّحُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]، أي: بعهد وذمة، وقيل: ﴿بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن.

وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت

الأحاديثُ المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، منها:  
عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله عَزَّوَجَلَّ جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله عَزَّوَجَلَّ أمركم؛ ويسخط لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» [أخرجه مسلم].

وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإنه كانت بينهم حروبٌ كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة وضغائن، وإحنٌ وذُحُولٌ <sup>(١)</sup> طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الله عَزَّوَجَلَّ بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخواناً متحابين بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، متواصلين في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، متعاونين على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٦٢)</sup> وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ <sup>(٦٣-٦٢)</sup>، وكانوا على شفا حُفْرَةٍ من النار بسبب كفرهم، فأبعدهم الله منها.

(١) جمع (ذحل) وهو الثأر. لسان العرب (١١/٢٥٦).

## ثناء المولى سبحانه وتعالى على أصحاب نبيه ﷺ

وقد امتنَّ عليهم بذلك رسولُ الله ﷺ يومَ قَسَمَ غنائمَ حُنَيْنٍ، فَعَتَبَ مَنْ عَتَبَ مِنْهُمْ لَمَّا فَضَّلَ عَلَيْهِمْ فِي الْقِسْمَةِ بما أراه الله تعالى، فخطبهم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم أجِدْكم ضالًّا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالةً فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمَّنٌ<sup>(١)(٢)</sup>.

فأخبر النبي ﷺ هنا خبراً جليلاً أن الله قد هداهم به، وهذه شهادة عظيمة من الرسول ﷺ لهم.

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "ثَنَّى أَمْرَهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ أَنْفُسِهِمْ لِأَخْرَاجِهِمْ، بِأَمْرِهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ حَالِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، وَذَلِكَ بِالْاجْتِمَاعِ عَلَى هَذَا الدِّينِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ لِيَكْتَسِبُوا بِاتِّحَادِهِمْ قُوَّةَ وَنَمَاءٍ"<sup>(٣)</sup>.

## أوجه الثناء:

- منة الله تعالى ونعمته على الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بأن أَلَّفَ بين قلوبهم وهداهم للإيمان بعد كفرهم، وقد خَلَّدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ذلك في القرآن

(١) البخاري (٥/ ١٥٧ رقم ٤٣٣٠)، مسلم (٢/ ٧٣٨ رقم ١٠٦١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٩-٩٠) مختصراً.

(٣) التحرير والتنوير (٤/ ٣١).

العظيم.

- بسبب نعمة تأليف قلوبهم أصبحوا إخوة متحابين بعد العداوة والبغضاء والتنافر، والمتحابون في الله **جَلَّ جَلَالُهُ** على منابر من نور يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

- نتيجة النعمة الثانية - وهي الإيمان - إخبار الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنه أنقذهم من النار التي كانوا على شفا حفرة منها، وذلك نتيجة لنعمته عليهم بالإيمان.  
- مفهوم الآية أنهم من أهل الجنة؛ وذلك أنه لما أنقذهم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** من النار، فيلزم أنهم من أهل الجنة.

- في الآية رد على الشيعة الذين يحكمون بالنار على الصحابة، فالله **جَلَّ وَعَلَا** قد أنقذهم من النار، وهؤلاء يقولون بضد ذلك، نسأل الله العافية.



(١) جاء من حديث معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: «المتحابون في جلالتي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء». الترمذي (٤/ ١٧٥ رقم ٢٣٩٠).



٨- تأييد المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ  
بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآيات ٦٢-٦٤ من سورة الأنفال

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ  
وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا  
أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  
(٦٣) يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٤)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة؛ ليتقوا  
ويستعدوا ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ أي: كافيك وحده.

ثم ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار  
﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴿

أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلّالًا فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله آمن، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز الجنب، فلا يخيب رجاء من توكل عليه، حكيم في أفعاله وأحكامه.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، قال: [هم المتحابون في الله]. وفي رواية: [نزلت في المتحابين في الله عَزَّ وَجَلَّ]. وقال مجاهد: إذا تراءى المتحابان في الله عَزَّ وَجَلَّ،

فأخذ أحدهما بيد صاحبه، وضحك إليه، تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر. قال عبدة: فقلت له: إن هذا ليسير! فقال: لا تقل ذلك؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾. قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٤) يحرض تعالى نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيتهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قلّ عدد المؤمنين، قال الشعبي في قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: حسبك الله، وحسب من شهد معك. وعن عطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد مثله (١).

فجعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** اختيار الصحابة وهدايتهم منة منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعدها منته على رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وعلى الصحابة عامة وعلى الأنصار خاصة، بتأليف قلوبهم، ثم بعدها ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** منته

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٨٤-٨٦) مختصراً.

على رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وعطف بالصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حسبكم جميعاً وهو ناصركم ومولاكم.

وقال ابن عطية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "يَخْدَعُوكَ" بأن يُظهِرُوا له السلم وَيُطِئُوا الغدر والخيانة، أي: فاجنح وما عليك من نياتهم الفاسدة، ﴿فَإِنَّكَ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ أي: كافيك ومعطيك نصرة وإظهاراً، وهذا وعد محض، و﴿أَيُّدُكَ﴾ معناه: قوأك، و﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: بالأنصار، بقرينة قوله ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وهذه إشارة إلى العداوة التي كانت بين الأوس والخزرج في حروب بعثت فألَّفَ الله تعالى قلوبهم على الإسلام وردَّهم متحابين في الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وعددت هذه النعمة تأنيساً لمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، أي: كما لطف بك ربك أولاً فكذلك يفعل آخراً" (١).

#### أوجه الشناء:

- منَّة الله جلَّ ثناؤه على نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بتأييده بنصره وبالمؤمنين، وهم الصحابة الذين قاتلوا معه، قال ابن عطية **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

(١) تفسير ابن عطية (٢/٥٤٨).

"تظاهرت أقوال المفسرين أنها في الأوس والخزرج ... ولو ذهب إلى عموم المؤمنين في المهاجرين والأنصار وجعل التأليف ما كان من جميعهم من التحاب حتى تكون ألفة الأوس والخزرج جزءا من ذلك لساغ ذلك" (١).

- مَنَّةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلى المؤمنين بتأليف القلوب الذي لا يُنال إلا برحمة من الله وكرامة منه جَلَّ وَعَلَا لأوليائه المتقين.

- ما حصل من تألف بين قلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الأنصار أوسهم وخزرجهم، وبينهم وبين المهاجرين أمر لا يمكن لكنوز الأرض جميعها أن تُنتج تألفاً حقيقياً مثله، وهذه مكرمة إلهية للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفي هذا رد على الأساطير والقصص التي حكاها أعداء الصحابة بشأنهم، وتلك الأساطير والقصص طار بها اليهود والنصارى فرحاً؛ وذلك لتشويه شخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وادّعاء أن الحواريين أزكى وأفضل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكذلك قال اليهود مثل قولهم.

- حسبُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ناصراً أن الله جَلَّ جَلَالُهُ ناصرُه، ومن

(١) تفسير ابن عطية (٢/ ٥٤٨).

ذلك تأييده بمن اتبعه من المؤمنين.

- وصف الله **جَلَّ وَعَلَا** الصحابة بالإيمان في آيات متتابعة لأجل تأكيد قوة إيمانهم، وأن هؤلاء كُمل من الناس، نصرك الله بهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢)

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٤)

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾

- إيمان الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ليس مجرد ادعاء أو قول بلا عمل، بل اتباع وامثال، وهذا ما يتضمنه قوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فقد شهد المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لهم بالإيمان، وتحقق نصر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** وللصحابة بعده بفتح البلاد لهم، وكسب المغانم.

- تأييد الله تعالى لنبيه بالصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** دليل على أنهم كانوا عدداً كبيراً وجيشاً من المؤمنين الصادقين، وليس كما يدعي الرافضة من أن المؤمنين كانوا قلة قليلة.

٩- ثناء الله سبحانه وتعالى

على أهل بيعة الرضوان

### الآية ١٠ من سورة الفتح

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٠)

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "قال تعالى لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تشريفًا له وتعظيمًا وتكريماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، كقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ

مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١].  
ولهذا قال هاهنا: ﴿فَمَنْ تَكْتَفَانِمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي: إنما يعود وبأل ذلك  
على الناكث، والله غني عنه، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُيْتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾  
أي: ثوابًا جزيلاً.

وهذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سمر بالحديبية،  
وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ ألفاً  
وثلاثمائة. وقيل: وأربعمائة. وقيل: وخمسمائة. والأوسط أصح<sup>(١)</sup>، وعن  
جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا يَوْمَ الْحَدِيبَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةَ» [متفق عليه]، وعنه قال:  
«كُنَّا يَوْمَئِذٍ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةَ، وَوَضَعَ يَدُهُ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ، فَنَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ  
أَصَابِعِهِ، حَتَّى رَوَوْا كُلَّهُمْ» [متفق عليه]. وهذا مختصر من سياق آخر حين ذَكَرَ  
قصة عَطَشِهِمْ يَوْمَ الْحَدِيبَةِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَاهُمْ  
سَهْمًا مِنْ كَنَانَتِهِ، فَوَضَعُوهُ فِي بئرِ الْحَدِيبَةِ، فَجَاشَتْ بِالْمَاءِ، حَتَّى كَفَّتُهُمْ،  
فَقِيلَ لَجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: كُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةَ، وَلَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ  
لَكَفَّانَا [رواه البخاري]. وكذلك هو في رواية سلمة بن الأكوع ومعقل بن يسار  
والبراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي

(١) من حذف الكسر جعلها أربعمائة، والذين جبروا الكسر جعلوها خمسمائة، على  
عادة العرب.



والسير.

ذكر سبب هذه البيعة العظيمة: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد قُتِلَ: «لا تَبْرَحْ حَتَّى تُنَاجِزَ الْقَوْمَ». ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: «بايعهم رسول الله ﷺ على الموت»، وكان جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت، ولكن بايعنا على ألا نَفِرَ»، فبايع الناس، ولم يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَهَا إِلَّا الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، فكان جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: [والله لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَا صَقًّا بِإِطِّ نَاقَتِهِ، قَدْ ضَبًّا<sup>(١)</sup> إِلَيْهَا يَسْتَتِرُ بِهَا مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عَثْمَانَ بَاطِلًا].

وعن أم مُبَشَّرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا أَحَدٌ» [رواه مسلم].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ جَاءَ يَشْكُو حَاطِبًا،

(١) أي: لجأ واختبأ. مقاييس اللغة (٣/ ٣٨٩).

فقال: يا رسول الله! لَيْدُخُلْنَ حَاطِبُ النَّارِ، فقال رسول الله ﷺ: «كَذَبْتَ، لَا يَدْخُلُهَا؛ فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَالحَدِيثِية» [رواه مسلم].

ولهذا قال تعالى في الشَّاءِ عَلَيْهِم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] (١).

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: "والمبايعة في هذه الآية مفاعلة من البيع، لأن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وبقي اسم البيعة بعد معاودة الخلفاء والملوك" (٢).

وقد جاء ﷺ ليصل أصحابه بالله عَزَّوَجَلَّ ويزكيهم، وعقد بينهم وبينه عدة بيعات وهذه أشهرها وهي بيعة ماضية لا تنقطع بَعِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، فهو حين يضع يده في أيديهم مبايعاً، فإنما يبايع عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٩-٣٣٦) مختصراً.

(٢) تفسير ابن عطية (٥/ ١٢٩).

أَيْدِيهِمْ ..

وهو تصوير رهيب جليل للبيعة بينهم وبين رسول الله ﷺ والواحد منهم يشعر - وهو يضع يده في يده - أن يد الله جل ثناؤه فوق أيديهم، فالله عز وجل حاضر البيعة، والله صاحبها، والله أخذها، ويده فوق أيدي المتبايعين.. ومن المبايع؟ الله جل جلاله! يا للهول! ويا للروعة! ويا للجلال! وإن هذه الصورة لتستأصل من النفس خاطر النكث بهذه البيعة - مهما غاب شخص رسول الله ﷺ فالله تبارك وتعالى حاضر لا يغيب، والله سبحانه أخذ في هذه البيعة ومعطٍ، وهو عليها رقيب.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ فهو الخاسر في كل جانب، هو الخاسر في الرجوع عن الصفقة الرابحة بينه وبين الله تعالى، وما من بيعة بين الله وعبد من عباده إلا والعبد فيها هو الرابع من فضل الله تعالى، والله هو الغني عن العالمين، فالناكث هو الخاسر حين ينكث وينقض عهده مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيتعرض لغضبه وعقابه على النكث الذي يكرهه ويمقته، فالله يحب الوفاء ويحب الأوفياء.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هكذا على إطلاقه: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يُفْصَلُهُ ولا يُحَدِّدُهُ، فهو الأجر الذي يقول عنه الله تعالى: إنه عظيم.

- فضل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لما يلي:

• كانت البيعة على الثبات مهما كلف الأمر -عبر عنه بالبيعة على الموت، وعدم الفرار- والمواجهة الحاسمة مهما كانت التضحيات، وذلك لأجل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• اختاره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليكون مُبلغاً عنه، مفاوضاً باسمه، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [أما تَغْيِيهِ عن بيعة الرضوان، فإنه لو كان أحد أعزَّ بطن مكة من عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لبعثه مكانه، فبعث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] <sup>(١)</sup>، بسبب إشاعة أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد قُتِلَ.

• لما لم يحضر البيعة، بايع بالنيابة عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: .. [وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مكة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده اليمنى: هذه يد عثمان -فضرب بها على يده، فقال:- هذه لعثمان] <sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري (٩٨/٥) رقم (٤٠٦٦).

(٢) الحديث السابق.

- فَضْلُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إِذْ إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اخْتَارَهُ فِي الْبَدَايَةِ لِيَكُونَ رَسُولُهُ إِلَى قُرَيْشٍ؛ لثِقَتِهِ وَجِدَارَتِهِ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَهْمَةِ الْخَطَرَةِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَا تَرْسَلْنِي إِلَيْهِمْ فَإِنِّي أَتَخَوِّفُهُمْ عَلَى نَفْسِي، وَلَكِنْ أَرْسَلْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

- فَضْلُ أَبِي سَنَانٍ بْنِ وَهَبٍ الْأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ<sup>(٢)</sup>.

- فَضْلُ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ بَايَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ سَلْمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: .. بَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: «بَايَعَ يَا سَلْمَةُ» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِي أَوَّلِ النَّاسِ، قَالَ: «وَأَيْضًا»، ثُمَّ بَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ، قَالَ: «أَلَا تَبَايَعُنِي يَا سَلْمَةُ؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ، قَالَ: «وَأَيْضًا»، قَالَ: فَبَايَعْتَهُ الثَّلَاثَةَ<sup>(٣)</sup>.

- فَضْلُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَقْدِمُ حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٣٧٠ رقم ١٨٨٠٨)، وينظر أيضاً: مصنف ابن أبي

شيبه (٧/ ٣٨٦ رقم ٣٦٨٥٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٦).

(٣) مسلم (٣/ ١٤٣٤ رقم ١٨٠٧) بطوله.

عبدًا لحاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله! كَيْدُ خُلَنِّ حاطبٍ النار، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كَذَبْتَ، لا يدخلها؛ فإنه قد شهد بدرًا والحديبية»<sup>(١)</sup>، والحديث يشمل غيره ممن بايع بيعة الرضوان وشهد بدرًا.

- فضل أصحاب بيعة الرضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عموماً لما يلي:

- ﴿إِنَّمَا يَأْبَىؤُنَّ اللَّهُ﴾، وتأكيذاً على أمر هذه البيعة وأن الله تعالى مباركٌ لها ولأصحابها قال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ويا لها من فضيلة.
- ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ والصحابة الذين بايعوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بيعة الرضوان؛ لم يُعرف عنهم نكث للعهد، بل وفوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حتى لقوا الله تعالى، ولهذا استحقوا ألا يدخل النار منهم أحد كما تقدم، واستحقوا الخيرية التي شهد لهم بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين قال للصحابة يوم بيعة الرضوان: «أنتم خير أهل الأرض»<sup>(٢)</sup>.



(١) مسلم (٤/١٩٤٢ رقم ٢٤٩٥).

(٢) البخاري (٥/١٢٣ رقم ٤١٥٤)، ومسلم (٣/١٤٨٤ رقم ١٨٥٦)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٠- بشارة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
برضاه عن أهل بيعة الرضوان

الآيتان ١٨-١٩ من سورة الفتح

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٩﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ عِدَّتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ كَانَتْ سَمُرَةً بِأَرْضِ الْحَدِيثِيَّةِ.

عن طارق بن عبد الرحمن قال: [انطلقتُ حاجًّا فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يَصْلُونَ،

فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة، حيث بايع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بيعة الرضوان. فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تحت الشجرة. قال: فلمَّا خَرَجْنَا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها، فقال سعيد: إن أصحاب محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لم يعلموها وعلمتموها أنتم، فأنتم أعلم! [رواه البخاري].

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من الصدق والوفاء، والسمع والطاعة، ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾ وهي الطمأنينة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثْبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ وهو ما أجزى الله تعالى على أيديهم من الصُّلح بينهم وبين أعدائهم، وما حَصَلَ بذلك من الخير العام المستمر المُتَّصِل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حَصَلَ لهم من العِزِّ والنَّصْرِ والرِّفْعَةِ في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَغَانِرَ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

علم ما في قلوب الصحابة من حمية لدينهم لا لأنفسهم، وعلم ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم، وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز، وضبط لمشاعرهم ليقفوا خلف كلمة رسول الله

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٩-٣٤٠).



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طائعين مسلمين صابرين.

﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ بهذا التعبير الذي يرسم السكينة نازلة في هينة<sup>(١)</sup> وهدوء ووقار، أضفى على تلك القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفعلة، برداً وسلاماً وطمأنينةً وارتياحاً.

﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨) هو هذا الصلح بظروفه التي جعلت منه فتحاً، وجعلته بدء فتوح كثيرة قد يكون فتح خيبر واحداً منها، وهو الفتح الذي يذكره أغلب المفسرين على أنه هو هذا الفتح القريب الذي جعله الله عزَّوَجَلَّ للمسلمين.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ إما مع الفتح إن كان المقصود هو فتح خيبر، وإما تالياً له، إن كان الفتح هو هذا الصلح، الذي تفرغ به المسلمون لفتوح شتى.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٥٨) وهو تعقيب مناسب للآيات قبله ففي الرضا والفتح والوعد بالغنائم تتجلى القوة والقدرة، كما تتجلى الحكمة والتدبير، وبهما يتم تحقيق الوعد الرباني الكريم.

(١) أي: السكينة والوقار والسهولة. لسان العرب (١٣ / ٤٤٠).

- أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد رضي عنهم، ورضا الله جَلَّ جَلَالُهُ أسمى مطلوب الأنبياء، كما قال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]. فرضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أصحاب بيعة الرضوان وأنعم به من جزاء، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وإذا كان الله جَلَّ جَلَالُهُ قد رضي عنهم فيجب على جميع المسلمين الرضا عن هذه الثلاثة المباركة التي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يقول الألويسي: "فينبغي لكل من يدعي الإسلام حبهم وتعظيمهم والرضا عنهم، وإن كان غير ذلك لا يضرهم بعد رضا الله تعالى عنهم" (١).

- عِلِمَ الله تقدست أسماؤه ما في قلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الإخلاص والصدق والوفاء؛ ما ترتب عليه ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.. وهذا ثناء على طهارة قلوبهم، ونقاء سريرتهم، ونبل مقصدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

- أنزل الله عزَّ جَلَّ على الصحابة السكينة، وهي الوقار والطمأنينة؛ لنقاء

(١) روح المعاني (١٠٨/٢٦).

قلوبهم وصدقهم ووفائهم، وجميل فعالهم.

- أثنى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مع ما أنزل عليهم من البشارات العظيمة والرضا والسكينة - بفتح قريب وهو فتح خيبر، وكانت غزوة خيبر خاصة بأصحاب بيعة الرضوان فقط، وغنائمها خاصة بهم دون غيرهم، باستثناء جعفر ومن معه الذين أكرمهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في غنائم خيبر (١).

- هذه الآيات فيها معجزات ظاهرة، نزلت والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد رجعوا بلا عمرة، وحصل لهم ما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه السورة، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يخلف وعده، فقد خاطبهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ﴾ وبشرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ وهي لهم: ﴿تَأْخُذُونَهَا﴾ وقد تحقق ذلك كله، فأخذوا مغنم خيبر، وكانت لهم خاصة، ثم فتح الله عليهم بلاداً لم يخطر على بال رجل عاش ذاك التاريخ أن يفتحها العرب، بلاد فارس كلها، وبلاد الشام اليوم أربع دول ومصر وما حولها والعراق وشمالها، كلها تمت في عصر الخلافة الراشدة، وكل الخلفاء الراشدين شهدوا بيعة الرضوان

---

(١) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ممن قدم مع جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قدمنا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا، ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا»، البخاري (١٣٨/٥) رقم (٤٢٣٣).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

وهذا الوعد تحقق بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبقي أهل البيعة على عهدهم، وصدقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فحقق لهم وأنجز وعده لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهل يفقه هذا من طعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟!

يقول ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: "فكل من تقدّم ذكره من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم، وأنهم كلهم مؤمنون صالحون، ماتوا على الإيمان والهدى والبر، كلهم من أهل الجنة، لا يلج أحد منهم النار البتة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) [الواقعة: ١٠-١٢] ولقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

قال أبو محمد: فمن أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنه علم ما في قلوبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة" (١).

١١- شهادة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
لأهل بيعة الرضوان بالإيمان

الآية ١٢ من سورة الفتح

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ  
فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (١٢)

والخطاب للمخلفين في الآية قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ  
الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ  
فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى مُخْبِرًا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بما  
يَعْتَذِرُ به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم،

وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ، فاعتذروا بشغلهم بذلك، وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد، بل على وجه التقية والمصانعة<sup>(١)</sup>؛ ولهذا قال تعالى:

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يرُدَّ ما أَرَادَهُ فيكم تعالى وتقدَّس، وهو العليم بسرائركم وضمائركم، وإن صانعتُمونا وتابعتُمونا؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

ثم قال: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاصٍ، بل تخلف نفاق.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: اعتقدتم أنهم يقتلون وتُستأصل شأفتهم، وتُستباد خضراؤهم، ولا يرجع منهم مُخبر، ﴿وَلَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هلكتي. قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) وهل النفاق إلا هذا، وحاشا رسول الله ﷺ والمرسلين والأنبياء أن يجعلوا التقية منهجاً أو يتعاطوها، فضلاً أن يجعلوها ديناً، وقد سار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على هدي رسول الله ﷺ، ومنهم أقاربه وآل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهل أدرك الشيعة أن التقية مذمومة ووصمة عار عند الرجال ناهيك عن أفضل الخلق من الرسل والصحابة الكرام!! فلم تكن ديناً وديناً وعادةً.

ومجاهد وغير واحد. وقال قتادة: فاسدين<sup>(١)</sup>.

وقال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "يعني: لم يكن تخلفكم لما ذكرتم، بل ظننتم أن لن ينقلب، و(أن) مخففة من الثقيلة، أي: ظننتم أنهم لا ينقلبون ولا يرجعون، وقوله: ﴿وَزُيِّنَتْ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يعني: ظننتم أولاً، فزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به، وذلك لأن الشبهة قد يزينها الشيطان، ويضم إليها مُخَايَلَةً<sup>(٢)</sup> يقطع بها الغافل، وإن كان لا يشك فيها العاقل<sup>(٣)</sup>.

فتأمل أخي الكريم ما ذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ عن قلوب المنافقين وما ذكره عن قلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

### أوجه الثناء:

- وَصَفُ اللَّهِ تَعَالَى صحابة رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْإِيمَانِ في قوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِحَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَعْلَاهُمْ أَبَدًا﴾، وهم أصحاب الحديبية، الذين بايعوا بيعة الرضوان.

(١) تفسير ابن كثير (٧ / ٣٢٧).

(٢) من الخيال وهو اشتباه الشيء. لسان العرب (١١ / ٢٣١).

(٣) تفسير الرازي (٢٨ / ٧٤).

- أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** شَنَّعَ على المتخلفين عن الحديبية ظَنَّهُم السوء برسوله الكريم وصحابته المؤمنين، ويقابله ثناء ضممني لمن خرج مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبايع بيعة الرضوان؛ أنهم لم يظنوا بالله **عَزَّ وَجَلَّ** وبرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلا الخير، ف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم؛ جزاء حسن ظنهم برهم **جَلَّ ثَنَاؤُهُ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

### هل بايع بيعة الرضوان منافق؟

خرج إلى الحديبية مع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رجلان:

الأول: الجد بن قيس: ففي حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حينما سئل كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: «كنا أربع عشرة مائة، فبايعناه، وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري، اختبأ تحت بطن بعيره»<sup>(١)</sup>.

والجد بن قيس كان ممن يغمص عليه النفاق من أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**<sup>(٢)</sup>.

والثاني: عبد الله بن أبي ابن سلول: قال الواقدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "حدثني جابر

(١) مسلم (٣/١٤٨٣ رقم ١٨٥٦).

(٢) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٢٦٦).



بن سليم، عن صفوان بن عثمان، قال: فكانت قريش قد أرسلت إلى عبد الله بن أبي: إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل. وابنه جالس عنده فقال له ابنه: يا أبت! أذكرك الله أن تفضحنا في كل موطن، تطوف بالبيت ولم يطف رسول الله ﷺ؟ فأبى ابن أبي وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله. فبلغ رسول الله ﷺ كلامه ذلك فسر به <sup>(١)</sup>.

وقال المقرئ الميزي رَحِمَهُ اللهُ: "وبعثت قريش إلى عبد الله بن أبي ابن سلول: إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل، فقال له ابنه: يا أبت! أذكرك الله أن تفضحنا في كل موطن! تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ! فأبى حينئذ وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله. فبلغ رسول الله ﷺ كلامه، فسر به <sup>(٢)</sup>.

وقال ابن برهان الدين الحلبي رَحِمَهُ اللهُ: "وذكر أن قريشا بعثت إلى عبد الله بن أبي ابن سلول: إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل، فقال له ابنه عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا أبت! أذكرك الله أن لا تفضحنا في كل موطن، تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ! فأبى حينئذ، وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله، وفي لفظ قال: إن لي في رسول الله أسوة

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٦٠٥).

(٢) إمتاع الأسماع (١/ ٢٩١).

حسنة، فلما بلغ رسول الله ﷺ امتناعه أثني عليه بذلك<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن مصدر كل من المقريزي والحلي هي تلك الرواية التي نقلها الواقدي في مغازيه، وحينما نعرض هذه الرواية على أقوال أهل العلم بالرجال نجد ما يلي:

١ - الواقدي هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولا هم أبو عبد الله المدني، قال ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "أحد الأعلام وقاضي العراق وبغداد، يروي عن ابن عجلان وابن جريج ومالك وخلائق، وعنه أحمد بن منصور الرمادي وابن سعد وطائفة، متروك مع سعة علمه"<sup>(٢)</sup>.

٢ - جابر بن سليم هو الزرقي وثقه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>.

٣ - صفوان بن عثمان الصواب أنه عثمان بن صفوان<sup>(٤)</sup> قال فيه ابن حبان **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "عثمان بن صفوان المكي يروي المراسيل"<sup>(٥)</sup>.

(١) السيرة الحلبية (٢٦/٣).

(٢) لسان الميزان (٥٢١/٧).

(٣) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥٠١/٢).

(٤) لأن جابر بن سليم إنما يروي عن عثمان بن صفوان. كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم وغيره.

(٥) الثقات لابن حبان (١٩٨/٧).

فاتضح أن هذه الرواية ضعيفة لضعف الواقدي ولإرسال عثمان المكي، وبناء على ما سبق؛ فإنه لم يثبت حضور ابن سلول للحديبية من طريق صحيح، وعلى فرض صحة الرواية - وهي غير صحيحة - فليس في هذه الرواية أنه بايع، إذ ذلك هو محل النزاع لا مجرد الحضور.

أما بالنسبة هل بايع أحد من المنافقين بيعة الرضوان فإن النصوص تدل على النفي، فالنصوص الواردة في فضل هذه البيعة لا تنطبق على المنافقين:

١- قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).

والمنافقون ليسوا مؤمنين ولا يمكن أن يرضى الله تعالى عن المنافقين إن لم يتوبوا عن نفاقهم.

٢- وعن أم مبشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا

يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة: أن الله تعالى قد توعد المنافقين بالنار وفي الحديث نفي دخولهم النار فدل على أن هؤلاء ليسوا منافقين، والله أعلم.



(١) مسلم (٤/ ١٩٤٢ رقم ٢٤٩٦).

## ١٢- الوعد بالجنة لجميع الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع تفاوت منازلهم

### الآية ١٠ من سورة الحديد

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَفَتَلُوا وَلَوْ كَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلاقاً، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالكم السموات والأرض، وبيده مقاليدهما، وعنده خزائنها، وهو مالك العرش بما حوى، وهو القائل: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبا: ٣٩] فمن تَوَكَّلَ على الله أنفق، ولم يَخْشَ من ذي العرش إقلاقاً، وَعَلِمَ أن الله تعالى سَيُخْلِفُهُ عليه.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً، فلم يكن يُؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً، ودخل الناس في دين الله **عَزَّوَجَلَّ** أفواجاً؛ ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾، والجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا فتح مكة.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ يعني: المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما في الصحيح: «المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من المؤمن الضعيف، وفي كُلِّ خير» [رواه مسلم].

وإنما نبه بهذا لئلا يهدر الجانب الآخر بمدح الأول دون الآخر، فيتوهم متوهم ذمّه؛ فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه، مع تفضيل الأول عليه؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذلك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام، وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق.

وفي الحديث: «سبق درهم مائة ألف» [رواه النسائي]، ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيّد

من عَمِلَ بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أَنْفَقَ ماله كُلَّهُ ابتغاء وجه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولم يكن لأحد عنده نعمة يَجْزِيه بها<sup>(١)</sup>.

إن الذي ينفق ويقاتل حال كون العقيدة مطاردة، والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء، غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة، والأنصار كثيرة، والنصر والغلبة والفوز قريبة المنال، ذلك متعلق مباشرة بالله تقدست أسماؤه، متجرد تجرداً كاملاً لا شبهة فيه، عميق الثقة والطمأنينة بالله تعالى وحده، بعيد عن كل سبب ظاهر وكل واقع قريب، لا يجد على الخير عوناً إلا ما يستمدّه مباشرة من عقيدته بربه وقربه ونصرته.

#### أوجه الشناء:

- فَضَّلَ السابقين من الصحابة من المهاجرين والأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** على من بعدهم ممن آمن بعد الفتح وأنفق وقاتل، **﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا﴾**، قال السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "كان السابقون وفضلاء الصحابة، غالبهم أسلم قبل الفتح"<sup>(٢)</sup>.

- صريح الآية في تفاضل الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في الإنفاق، ولكنهم جميعاً

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٢-١٤) مختصراً.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٣٩).

معودون بالحسنى ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جميعاً الجنة مع تفاوت الدرجات" (١).

ومثل هذه الآية الآية الأخرى في سورة النساء: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر، والخارجون إلى بدر] (٢).

- فضل صديق الأمة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيها دليل واضح على تفضيل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتقديمه، لأنه أول من أسلم. وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولأنه أول من أنفق على نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]. ولهذا قدمته الصحابة على أنفسهم، وأقروا له بالتقدم والسبق. وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [سبق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصلى (٣) أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) تفسير القرطبي (١٧/٢٤١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/٣٨٧).

(٣) السابق: الأول. والمصلى: الثاني. وفي النهاية: المصلى في خيل الحلبة: هو الثاني، سمي به لأن رأسه يكون عند صلا الأول، وهو ما عن يمين الذنب وشماله. اهـ من (النهاية في غريب الحديث والأثر) (٣/٥٠).

وثَلَّثَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا جلدته حد المفترى ثمانين جلدةً وطرح الشهادة [١]. فنال المتقدمون من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضًا أنفذ <sup>(١)</sup>.

- فضل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أنفق منذ إسلامه النفقات العظيمة وبكل سخاء، بل إنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جهز جيش العسرة، حتى قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مدحه الكثير.

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: "ويروى أن هذه الآية نزلت في غزوة العسرة، وهي غزوة تبوك، قاله الضحاك، وقال: الإشارة بقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] إلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحكمها باقٍ يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر <sup>(٢)</sup>، ومن ذلك أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حفر بئر رومة <sup>(٣)</sup>.

- التنبيه على أن من تقدم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الإيمان في مكة له فضل كبير ومقام عظيم.

- الرد على من يطعن في الصحابة الذين أسلموا بعد فتح مكة، فهم

(١) تفسير القرطبي (١٧ / ٢٤٠).

(٢) تفسير ابن عطية (٥ / ٢٦٣).

(٣) البخاري (٤ / ١٣ رقم ٢٧٧٨).



موعودون بالحسنى وهي الجنة ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾، وقد أكرم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قريشا بعد الفتح وهم الذين حاربوه فقال: «لا تثريب عليكم اليوم»<sup>(١)</sup> ولم يُثَرَّب عليهم بكلمة، وقد قرر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الإسلام يَجِبُ ما قبله، وقد أنزل الله **عَزَّ وَجَلَّ** في صفات عباد الرحمن في آخر الفرقان ما يطير به المؤمن فرحاً، وهو قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقد جاء الوعد من الله تعالى أن الذين سبقت لهم الحسنى من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فهم مبعدون عن النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ<sup>(١٢)</sup> [الأنبياء: ١٠١-١٠٢].

- جاء في السورة آيات فيها لطائف في فضل الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، مثل: ﴿هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ - لماذا- ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وتأمل في خطاب المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لهم مباشرة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ﴾ نعم، بكم أنتم معشر المخاطبين ﴿لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩] فقرن هنا بين الرأفة والرحمة، فدل على وجود فرق بينهما، فالرأفة فيها معنى الرحمة، لكن فيها زيادة

(١) الأزرقي في أخبار مكة (٢/ ١٢١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ٢٧٥) رقم (٣١٨)، وأبو الشيخ في (أخلاق النبي) (ص: ٢٦٠ رقم ٨٠) من عدة طرق.

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تدليل ولطف بالمرحوم، فهي أخص من عموم معنى الرحمة، والله أعلم.  
ومن رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** بهم أن ذكر لهم ما في قلوبهم وطلب منهم  
إصلاحها والارتقاء بها، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ  
لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].



١٣- الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

رجال يحبون أن يتطهروا

### الآية ١٠٨ من سورة التوبة

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (١٠٨)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: وهم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجدًا، قال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدًا واستعدُّوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فيني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم، وأُخرج محمدًا وأصحابه، فلمَّا فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنُحِبُّ أَنْ تَصْلِيَ فِيهِ وَتَدْعُو لَنَا بِالْبَرَكَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ إلى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظالمين ❖. وكذا رُوي عن سعيد بن جبير، ومجاهد وعروة بن الزبير وقتادة وغير واحد من العلماء.

وقوله: ❖ وَلِيَحْلِفْنَ ❖ أي: الذين بنوه: ❖ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ ❖ أي: ما أردنا ببنائه إلا خيراً ورفقاً بالناس، قال تعالى: ❖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ❖ أي: فيما قصدوا وفيما نَوُوا، وإنما بنوه ❖ ضِرَارًا ❖ لمسجد قُباء، ❖ وَكُفْرًا ❖ بالله، ❖ وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ❖ [التوبة: ١٠٧]، وهو أبو عامر الفاسق، الذي يقال له: (الراهب) لعنه الله.

وقوله: ❖ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ❖ نهى من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ** صلى الله عليه وعلى آله وسلم والأمة تبع له في ذلك، عن أن يقوم فيه، أي: يصلي فيه أبداً.

ثم حثَّ على الصلاة في مسجد قُباء الذي أُسِّسَ من أوَّل يوم بنائه على التقوى، وهي طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وجمعاً لكلمة المؤمنين ومَعْقلاً ومَوْثِلاً للإسلام وأهله؛ ولهذا قال تعالى: ❖ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ❖ [التوبة: ١٠٨] والسياق إنما هو في مَعْرِضِ مسجد قُباء؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «صلاة في مسجد قُباء كعمرة» [رواه الترمذي]، وفي

الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان يزور مسجد قباء راكباً وماشيّاً [امتفق عليه].

وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف: ابن عباس وعروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والشعبي والحسن البصري وسعيد بن جبير وقتادة.

وقد ورد في الحديث الصحيح: أن مسجد رسول الله ﷺ الذي هو في جوف المدينة، هو المسجد الذي أسس على التقوى [رواه أحمد] وهذا صحيح. ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى والأحرى. وقد قال بأنه مسجد النبي ﷺ جماعة من السلف والخلف، وهو مروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسعيد بن المسيب، واختاره ابن جرير<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﷻ أَي: بُنِيَ عَلَى الطاعة، وبناه المتقون من أول يوم أي: منذ أول يوم.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١١-٢١٦) مختصراً.

وفي هذا المسجد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة الذي فيه منبره وقبره، وبه قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسعيد بن المسيب.

والثاني: أنه مسجد قباء، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، وعروة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والضحاك، ومقاتل.

والثالث: أنه كل مسجد بني في المدينة، قاله محمد بن كعب <sup>(١)</sup>.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْطَهَرُوا" ومن المعلوم أن من أحب شيئاً لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون من مخالفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسألهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة الماء، فحمدهم على صنيعهم [رواه أحمد].

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٩٨).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث<sup>(١)</sup>.

وقال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾: "إن الطهور بالماء لَحَسَنَ، ولكنهم المطهرون من الذنوب. وقال الأعمش: التوبة من الذنب، والتطهير من الشرك"<sup>(٢)</sup>.

#### أوجه الثناء:

- مسجد قباء أسس على التقوى من أول يوم، ومسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كذلك، والمصلون فيه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ينالهم الفضل الذي تضمنته الآية، وهذا فيه ثناء عليهم ظاهر.

- ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ نزلت في الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وهذا وصف تشريف لهم، وتزكية لمرادهم ومقصدهم وهو الطهارة الحسية والمعنوية، مع الثناء عليهم بالرجولة، وهذا من الأوصاف الجامعة التي تشمل معاني القوة في الحق والثبات عليه والشجاعة والنخوة وعدم التلون.

- ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ اللفظ وإن كان عامًا إلا أن نزولها في حق

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٥٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٦).



جماعة من الصحابة يقضي بفضلهم، وجميل الشاء الإلهي عليهم وأنهم  
استحقوا محبة الله تعالى، فهم أول من خوطب بالآية الكريمة.





## ١٤- مواثقة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلصَّحَابَةِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَصَدَّقَ اسْتِجَابَتَهُمْ

### الآية ٧ من سورة المائدة

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٧)

قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" بالإسلام لتذكركم المنعم وتُرْعِبْكُمْ في شكره ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ أي: عهده المؤكّد الذي أخذه عليكم" (١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الذي عليه الجمهور من المفسرين كابن عباس والسدي هو: العهد والميثاق الذي جرى لهم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، إذ قالوا: سمعنا وأطعنا، كما جرى

(١) تفسير أبي السعود (٣/ ١١).

ليلة العقبة وتحت الشجرة، فبايعوا رسول الله ﷺ عند العقبة على أن يمنعه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يرحل إليهم هو وأصحابه؟! وكان أول من بايعه البراء بن معرور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان له في تلك الليلة المقام المحمود في التوثق لرسول الله ﷺ، والشدة لعقد أمره، وهو القائل: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله! فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر. الخبر المشهور في سيرة ابن إسحاق، وقد اتصل هذا بقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ فوفوا بما قالوا، جزاهم الله تعالى عن نبيهم وعن الإسلام خيراً، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- الامتنان على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بنعمة الهداية والإسلام، وإضافة هذه النعمة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يَعْمَتُ اللَّهُ﴾ يفيد تعظيمها، ثم زادهم فضلاً وشرفاً بأن صرَّح باختصاصهم بها فقال: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وليست على غيركم، وهذا مزيد تشريف وتكريم.

- الموائمة بين الله تعالى وبين الصحابة الكرام، وهل يظن عاقل فيمن واثقه الله تعالى أن يكون قبيح نية أو خبيث طوية؟!

(١) تفسير القرطبي (٦/١٠٨-١٠٩).

- الإخبار عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم بصدق الانقياد ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وهذا متكرر في أحوالهم، ولم يذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ عنهم مرة واحدة أنهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ كما قال أهل الكتاب من قبل، فهم أهل الطاعة والانقياد لله ورسوله دائماً وأبداً، وهذا هو منهجهم وهذه هي طريقتهم، لا يقدمون نفساً ولا مالاً ولا رأياً ولا عقلاً ولا مذهباً على أمر الله تعالى وخبره ووحيه، ف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.



١٥- أهل بدر رضي الله عنهم  
فئة تقاتل في سبيل الله عز وجل

### الآية ١٣ من سورة آل عمران

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى  
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٣)

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي: قد كان لكم -أيها  
اليهود القائلون ما قلتم - ﴿آيَةٌ﴾ أي: دلالة على أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُعِزُّ**  
دينه، وناصرُ رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومُظْهِرُ كلمته، ومُعَلِّ امره ﴿فِي  
فِئَتَيْنِ﴾ أي: طائفتين ﴿الَّتَقَتَا﴾ أي: للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾  
وهم المسلمون، ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر.

وقوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾ قال بعض العلماء -فيما حكاه

ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم في العدد رأي أعينهم، أي: جعل الله ذلك فيما رآوه سبباً لنصرة الإسلام عليهم.

والقول الثاني: أن المعنى في قوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مَثَلِيهِمْ رَأَى الْغَيْنِ﴾ أي: ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم، أي: ضعفيهم في العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم. وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين رجلاً. وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور من أن المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف ... وعلى كل تقدير فقد كانوا ثلاثة أمثال المسلمين، وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم، لكن وجه ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ هذا، وجعله صحيحاً كما تقول: عندي ألف وأنا محتاج إلى مثليها، وتكون محتاجاً إلى ثلاثة آلاف، كذا قال. وعلى هذا فلا إشكال.

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٣) أي: إن في ذلك لمعتبراً لمن له بصيرة وفهم يهتدي به إلى حكم الله عز وجل وأفعاله، وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم

أوجه الثناء:

- تعظيم شأن معركة بدر وما حصل فيها وتسميته (آية) فيه دلالة ظاهرة على فضل من قاتل في هذه الغزوة المباركة، وأنهم من جند الله تعالى وأوليائه.

- الشهادة لأهل بدر بصدق النية، وأنهم يقاتلون في سبيل الله تعالى ويريدون وجهه ﴿فَمَنْ تَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

- تأييد الله تعالى للصحابة الأجلاء بالكرامات والآيات، ومنها تكثيرهم في نظر أعدائهم حتى وقع الخوف في قلوبهم، ورزق الله تعالى أوليائه نصره المبين وفتح العظيم.

- صار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم مضرب مثل وقدوة لكل مؤمن ومحِب للحق ممن يأتي بعدهم، وسجلوا بجهادهم تاريخاً جعله الله تعالى ﴿لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٧-١٨).

١٦- جمع المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْخَيْرَ وَالْفَلَاحَ

الآية ٨٨ من سورة التوبة

﴿لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨٨)

يقول رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا استدراك على قعود المنافقين عن الجهاد مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عملاً بداعي الإيمان، وأمر الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن؛ لأن ما جروا عليه من النفاق قد طبع على قلوبهم، لكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والذين آمنوا به، وكانوا معه في كل أمور الدين لا يفارقونه، قد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فقاموا بالواجب خير قيام، كما يقتضيه الإيمان والإسلام، وما كان أولئك المنافقون الجبناء البخلاء بأهل للقيام بهذه الأعباء، كما تقدم فيما وصفوا به من الآيات، ولا سيما آية: ﴿لَوْ

خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴿٤٧﴾ [التوبة: ٤٧].

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ عطف جزاءهم على جهادهم، ولم يذكره مفصلاً مستأنفاً، لأنه تنمة لبيان حالهم المخالفة لحال المنافقين بدءاً وانتهاءً عملاً وجزاء، أي: وأولئك المجاهدون بعيدو المنال في معارج الكمال، لهم -دون المنافقين- الخيرات التي هي ثمرات الإيمان والجهاد، من شرف النصر، ومحو كلمة الكفر، واجتثاث شجرة الشرك، وإعلاء كلمة الله **عَزَّجَلَّ**، وإقامة الحق والعدل بدين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والتمتع بالغنائم والسيادة في الأرض. ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون بسيادة الدنيا مع سعادة الآخرة، دون أولئك المنافقين الذين حرموا منهما بنفاقهم، وما له من سوء الأثر في أعمالهم وأخلاقهم <sup>(١)</sup>.

قال السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "يقول تعالى: إذا تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سيغني عنهم، والله **عَزَّجَلَّ** عباد وخوارج من خلقه اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ غير متثاقلين ولا كسلين، بل هم فرحون مستبشرون، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾

(١) تفسير المنار (١٠/٥٠٢-٥٠٣) مختصراً.



الكثيرة في الدنيا والآخرة، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الذين ظفروا بأعلى المطالب وأكمل الرغائب<sup>(١)</sup>.

### أوجه الثناء:

- تضمنت الآية أنواعاً من الثناء والبشارة للصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأول ذلك مدحهم بالإيمان ومعية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ءَامَنُوا مَعَهُ﴾.

- الإخبار عن جهاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم وأنهم جمعوا في جهادهم بين الجهاد بالمال والنفس، ولم يكتفوا بأحدهما دون الآخر، وهذا دليل على بذلهم وتضحيتهم ورغبتهم فيما عند الله تعالى وإيثارهم الآخرة على الأولى.

- لما تولى المنافقون وقعدوا عن الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى استبدلهم الله تعالى بقوم خير منهم قاموا بالواجب خير قيام، وهم هؤلاء الصحابة المباركون، ﴿وَلِئَلَّا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

- الوعد من الله تعالى لهم بالخيرات، وهذا الجمع يدل على كثرة هذا الخير الذي سينالهم من منافع الدنيا والآخرة، ففي الدنيا لهم العزة ولهم

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٤٧).

## فقه القرآن الكريم

الكرامة ولهم المغنم ولهم الكلمة العالية، وفي الآخرة لهم الجزاء الأوفى، ولهم رضوان الله الكريم، وَمَنْ وَعَدَهُ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالخير فلا يمكن أن يكون من أهل الشر والفساد.

- الفلاح هي أجمع كلمة للخير في الدنيا والآخرة، ومن كان من المفلحين فهو من أهل الجنة والنعيم المقيم قطعاً، والصحابة ليسوا فقط (من المفلحين) بل ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وكأنه لا مفلح غيرهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم.



١٧- صدق الصحابة رضي الله عنهم

في البذل للمولى سبحانه وتعالى

### الآيتان ٩١-٩٢ من سورة التوبة

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّاتُوا لِيَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْدَ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢)

يقول القرطبي رحمه الله: "بَيَّنَّتْ هذه الآية أنه لا حرج على المعذورين، وهم قوم عُرِفَ عذرهم، كأرباب الزمانة والهرم والعمى والعرج، وأقوام لم يجدوا ما ينفقون، فقال: ليس على هؤلاء حرج ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إذا عرفوا الحق وأحبوا أوليائه وأبغضوا أعداءه، قال العلماء: فعذر الحق سبحانه وتعالى أصحاب الأعدار، وما صبرت القلوب، فخرج ابن أم مكتوم

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أحد وطلب أن يعطى اللواء فأخذه مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجاء رجل من الكفار فضرب يده التي فيها اللواء فقطعها، فأمسكه باليد الأخرى، فضرب اليد الأخرى، فأمسكه ب صدره وقرأ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] هذه عزائم القوم، والحق يقول: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ وهو في الأول ﴿ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ وعمرو بن الجموح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نقباء الأنصار أعرج وهو في أول الجيش، قال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قد عذرك» فقال: «والله لأحفرن بعرجتي هذه في الجنة» [رواه البيهقي في السنن الكبرى]، إلى أمثالهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف» [رواه مسلم] (١).

وقال: "قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ روي أن الآية نزلت في عرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقيل: نزلت في عائذ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقيل: نزلت في بني مقرن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وعلى هذا جمهور المفسرين - وكانوا سبعة إخوة، كلهم صحبوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس في الصحابة سبعة إخوة غيرهم، وهم النعمان، ومعل، وعقيل، وسويد، وسان، وسابع لم يسم. بنو مقرن المزيون سبعة إخوة هاجروا وصحبوا رسول الله

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٢٢٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يشاركهم - فيما ذكره ابن عبد البر وجماعة - في هذه المكرمة غيرهم. وقد قيل: إنهم شهدوا الخندق كلهم.

وقيل: نزلت في سبعة نفر من بطون شتى، وهم البكاؤون، أتوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ليحملهم، فلم يجد ما يحملهم عليه، ف﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢) ﴿فَسَمَوْا: البكائين. وهم: سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف، وعلبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلي عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار، وعمرو بن الحمام من بني سلمة، وعبد الله بن المغفل المزني، وقيل: بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف، وعرباض بن سارية الفزاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، هكذا سماهم أبو عمر في كتاب الدرر له، وفيهم اختلاف.

قال القشيري: معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الأنصاري، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل وآخر. قالوا: يا نبي الله! قد ندبتنا للخروج معك، فاحملنا على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة نغز معك، فقال: ﴿لَا أَحِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ ﴿فتولوا وهم ييكون.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [سأله أن يحملهم على الدواب، وكان الرجل يحتاج إلى بعيرين، بعير يركبه وبعير يحمل مائه وزاده لبعده الطريق].

وقال الحسن: نزلت في أبي موسى وأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أتوا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ليستحملوه، ووافق ذلك منه غضبا فقال: «والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه» فتولوا ييكون، فدعاهم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأعطاهم ذوداً، فقال أبو موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أأست حلفت يا رسول الله؟ فقال: «إني إن شاء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني» قلت: وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم بلفظه ومعناه، وفي مسلم: «فدعا بنا فأمر لنا بخمس ذود غر الذرى<sup>(١)</sup>» الحديث، وفي آخره: «فانطلقوا فإنما حملكم الله **عَزَّ وَجَلَّ**». وقال الحسن أيضاً وبكر بن عبد الله: نزلت في عبد الله بن مغفل المزني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أتى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يستحمله<sup>(٢)</sup>.

هذه الآيات من الآيات المعبرة والمؤثرة التي تحكي إخلاصاً وصدقاً منقطع النظير، وإنها لصورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد، والألم الصادق للحرمان من نعمة أدائه، وإنها لصورة واقعة حفظتها الروايات عن جماعة من المسلمين في عهد الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تختلف الروايات

(١) أي: خمس من الإبل بيض الأسنمة، وذروة البعير سنامه. المعلم بفوائد مسلم (٣٦٧/٢).

(٢) تفسير القرطبي (٨/٢٢٨-٢٢٩).

في تعيين أسمائهم، ولكنها تتفق على الواقعة الصحيحة، فلا يمكن لصاحب قلب أن يمر عليها دون أن يشعر بخفقان في فؤاده وهو يستمع إلى شأن القوم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم وما بلغوا إليه من الإخلاص والصدق والنصح لله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وللإسلام، وبمثل هذه الروح انتصر الإسلام، وبمثل هذه الروح عزَّت كلمته. فلننظر أين نحن من هؤلاء، ولننظر أين روحنا من تلك العصبية، ثم لنطلب النصر والعزة إن استشعرنا من أنفسنا بعض هذه المشاعر، وإلا فلنسدد ولنقارب والله المستعان.

#### أوجه الثناء:

- رَفَعَ الحرج عن الضعفاء والمرضى والفقراء من الصحابة الذين يرغبون في الجهاد ولكنهم لا يستطيعون، وهذا يتضمن الشهادة لهم بصلاح النية وصدق الرغبة، فلو كانوا كاذبين يبحثون عن الأعذار لما عذرهم الله **عَزَّوَجَلَّ** كما قال في شأن المنافقين: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

- مع كونهم لم يخرجوا للجهاد لِعُذْرِهِمْ سماهم الله تعالى: (محسنين)، وأخبر أنه ليس هناك سبيل لأحد في لومهم أو عتابهم، فلينظر من يطلق لسانه في هؤلاء المحسنين هل امثل لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** أم خالفه؟!

- إذا كان الذين لم يخرجوا للقتال بسبب العذر سماهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** (المحسنين)، فكيف هو شأن الذين خرجوا للقتال وقدموا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ**؟ فهم أولى بهذا الوصف وأحق.

- **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢١٨)** تأكيد للعفو عنهم ورفع الحرج وعدم اللوم والعتاب، ولو كانوا كاذبين أو عصاة لما ختمت الآية بهذين الاسمين الرقيقين الكريمين.

- بكاء الصحابة حزناً على فوات فضيلة الجهاد في سبيل الله تعالى مع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهو بكاء شديد وكأنما أعينهم تحولت إلى ماء يفيض، والله **جَلَّ جَلَالُهُ** يصوّر لنا هذا المشهد المؤثر ويخبر أنهم لم يبكوا لفوت غنيمة وإنما بكوا لعجزهم عن البذل والخروج بأنفسهم في سبيل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**!! فأى قلوب كان يحملها هؤلاء الرجال!! وأي صدق وإخلاص انطوت عليه نفوسهم!! وحق لكل من تسوّل له نفسه في الطعن فيهم أن يتوقف ويفكر: هل بكى يوماً على عجزه عن نصرة الإسلام كما بكى هؤلاء؟ وهل شهد له الله **جَلَّ جَلَالُهُ** أنه إنما بكى حزناً ألا يجد ما ينفق في سبيله؟ فإن لم يكن هكذا - ولن يكون - فليمسك لسانه عن هذه الثلة المباركة وليبك على خطيئته فهو خير له عند ربه.





١٨- ثناء الله سبحانه وتعالى  
على عبادة الصحابة رضي الله عنهم

الآية ٩ من سورة الزمر

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ﴾ (٩)

قال ابن كثير رحمه الله: "يقول سبحانه وتعالى: أَمَّنْ هذه صفته كمن أشرك بالله عز وجل وجعل له أنداداً؟ لا يستون عند الله تبارك وتعالى، كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال هاهنا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ أي: في حال سجوده وفي حال قيامه؛ ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده، كما ذهب إليه

آخرون. قال ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: [القانت المطيع لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ولرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**]. وقال ابن عباس والحسن: ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ [جوف الليل]. وقال منصور: بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء. وقال الحسن وقتادة: ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ أوله وأوسطه وآخره.

وقوله: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي: في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب؛ ولهذا قال: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾، فإذا كان عند الاحتضار أو كبير سنه أو مرضه فليكن الرجاء هو الغالب عليه.

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل الله أنذاذاً ليضل عن سبيله؟! ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل<sup>(١)</sup>.

وقال أبو السعود **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "أأنت أحسن حالاً ومالاً؟ أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء، لا عند مساس الضر فقط كدأبك"<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٨٨-٨٩).

(٢) تفسير أبي السعود (٧/ ٢٤٥).

وهي صورة مشرقة مرهفة، فالقنوت والطاعة والتوجه وهو ساجد وقائم، وهذه الحساسية المرهفة وهو يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، وهذا الصفاء وهذه الشفافية التي تفتح البصيرة، وتمنح القلب نعمة الرؤية والالتقاط والتلقي.. هذه كلها ترسم صورة مشرقة وضيئة من البشر تقابل تلك الصورة النكدة المظلمة للمشركين التي أشارت لها الآية السابقة.

#### سبب نزول الآية حسب أقوال بعض المفسرين:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قرأ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾؛ قال ابن عمر: [ذاك عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي لفظ نزلت في عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] <sup>(١)</sup>.

وإنما قال ابن عمر ذلك؛ لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالليل وقراءته، حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة <sup>(٢)</sup>، كما رواه عبد الرحمن بن عثمان عنه، وقال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ <sup>(٣)</sup>:

(١) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ٢١٤).

(٢) البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٧٥-٧٦)، وقد ثبت بالتجارب في عدة مساجد تسميع القرآن الكريم كله في جلسة واحدة، وهي معروفة بمسمى (إجازة تسميع القرآن الكريم في يوم).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٢٤٨).

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ<sup>(١)</sup> عَنْوَانُ الشُّجُودِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا<sup>(٢)</sup>  
وقد نقل السيوطي عن ابن سعد في طبقاته وابن مردويه عن ابن عباس  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: [نزلت في عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا].. وأخرج جوير عن عكرمة  
مثله..

وأخرج جوير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: [نزلت هذه الآية في ابن  
مسعود وعمار وسالم مولى أبي حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]<sup>(٣)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- تضمنت هذه الآية الشناء على أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ  
الأربعة: عثمان وابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وأرضاهم لأنها نزلت فيهم، ويعمُّ لفظها من اتصف بتلك الصفات  
غيرهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.  
قال أبو نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "القانت ذو النورين، والخائف ذو الهجرتين،

(١) الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده، ويقال عن الرجل: أشمط، والمرأة:  
شمطاء. لسان العرب (٧/ ٣٣٥-٣٣٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٨٨-٨٩).

(٣) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ٢١٤).

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

والمصلي إلى القبلتين، هو عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، كان من الذين ﴿وَأَمِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، فكان ممن ﴿هُوَ قِنْتُ أَنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، غالب أحواله الكرم والحياء، والحذر والرجاء، حظُّه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مُبَشِّرٌ بالبلوى، ومُنْعَمٌ بالنجوى <sup>(١)</sup>.

- أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مدح قنوتهم، أي: طاعتهم لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** آناء الليل، سجودهم، قيامهم، بدافع الخوف من الله **جَلَّ جَلَالُهُ** والحذر من عذاب الآخرة، ورجاء رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

- أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعلهم من أهل العلم ذوي الألباب، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.



(١) حلية الأولياء (١/ ٥٥).

١٩- الإخبار بثواب الصحابة رضي الله عنهم

في جهادهم في سبيل الله

### الآيتان ١٢٠-١٢١ من سورة التوبة

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

قال السعدي رحمه الله: "يقول تعالى حاشا لأهل المدينة المنورة من المهاجرين والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ

اللَّهُ ﷻ: أي: ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحوالهم ﷻ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ ﷻ في بقائها وراحتها وسكونها ﷻ عَنْ نَفْسِهِ ﷻ الكريمة الزكية، بل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم أن يفدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﷺ بنفسه ويقدمه عليها، فعلامة تعظيم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﷺ ومحبته والإيمان التام به: أن لا يتخلفوا عنه، ثم ذكر الثواب الحامل على الخروج فقال: ﷻ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ﷻ أي: المجاهدين في سبيل الله ﷻ جَلَّ جَلَالُهُ ﷻ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ ﷻ أي: تعب ومشقة ﷻ وَلَا مَخْمَصَةٌ ﷻ في سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ أي: مجاعة ﷻ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ ﷻ من الخوض لديارهم، والاستيلاء على أوطانهم، ﷻ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا ﷻ كالظفر بجيش أو سرية أو الغنيمة لمال ﷻ إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﷻ لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم ﷻ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﷻ (١٢٠) الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم.

ثم قال: ﷻ وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﷻ في ذهابهم إلى عدوهم ﷻ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﷻ (١٢١) ومن ذلك هذه الأعمال، إذا أخلصوا فيها لله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونصحوا فيها" (١).

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٥٥).

- في هذه الآيات ذكر الأجور المترتبة على الجهاد مع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سبيل الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وهي أجور عظيمة كثيرة، بحيث إنه لا يبذل الواحد منهم أي جهد، ولا يتعب ولا يجوع ولا يظمأ، ولا يتسبب بإغاضة الكفار أدنى غيظ، ولا ينفقون حبة تمر في سبيل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، إلا كُتِبَ لهم أجر ذلك عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وكان عملاً صالحاً عنده، وقارن بين هذا وبين ما حكاه عنهم قبل آيات من خروجهم مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الغزوة التي سماها الله تعالى (ساعة العسرة) لشدة الحر وقلة المؤونة وبُعد المسافة، وقد عانى فيها الصحابة معاناة شديدة وتعبوا وعطشوا وجاعوا وأنفقوا!! فكم من الأجور التي قد كتبت لهم عند الله تعالى، وكأنَّ هذه الآية جاءت في ختام الحديث عن غزوة تبوك لتبشّرهم بأن ما قدّموه فيها قد كُتِبَ لهم ولن يضيع أبداً عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وهذه غزوة واحدة، وغيرها الكثير، قارن بين هذا كله لتعلم أن القوم قد حطوا رحالهم في الجنة، وقد ربحوا التجارة مع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

- نصيب عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** من هذه الآية هو أعظم النصيب، يقول ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وقد حصل لأمر المؤمنين عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، من



ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

هذه الآية الكريمة حظ وافر، ونصيب عظيم، وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة، والأموال الجزيلة<sup>(١)</sup>.



---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٣٥).

٢٠- وصف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

بأنهم هم أولو العلم

الآية ١٦ من سورة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى مُخْبِرًا عن المنافقين في بِلَادَتِهِمْ وَقِلَّةِ فَهْمِهِمْ، حيث كانوا يَجْلِسُونَ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ويستمعون كلامه ولا يفهمون منه شيئًا، فإذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الصحابة: ﴿مَاذَا قَالَ آنفًا﴾ أي: الساعة، لا يَعْقِلُونَ ما يُقَال، ولا يَكْتَرِثُونَ له.

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: فلا فَهْم

صحيح، ولا قَصْد صحيح<sup>(١)</sup>.

وسؤالهم ذاك بعد استماعهم للرسول ﷺ - والاستماع معناه السماع باهتمام - يدل على أنهم كانوا يتظاهرون تظاهراً بأنهم يلقون سمعهم وبألهم للرسول ﷺ وقلوبهم لاهية غافلة، أو مطموسة مغلقة.

كما أنه قد يدل من جانب آخر على الغمز الخفي اللئيم إذ يريدون أن يقولوا بسؤالهم هذا لأهل العلم: إن ما يقوله محمد لا يفهم، فهام أولاء مع استماعهم له، لا يجدون له فحوى ولا يمسون منه بشيء!

كذلك قد يعنون بهذا السؤال السخرية من احتفال أهل العلم بكل ما يقوله محمد ﷺ وحرصهم على استيعاب معانيه وحفظ ألفاظه - كما كان حال الصحابة رضوان الله عليهم مع كل كلمة يتلفظ بها الرسول الكريم ﷺ - فهم يسألونهم أن يعيدوا ألفاظه التي سمعوها على سبيل السخرية الظاهرة أو الخفية.. وكلها احتمالات تدل على اللؤم والخبث والانطماس والهوى الدفين.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٥).

أوجه الشناء:

- أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يحضرون مجالس العلم مع النبي ﷺ، حضوراً بالقلب والجسد، يفهمون عن النبي ﷺ قوله، ويحفظون عنه هديه وما أنزل عليه، وذلك صفة المؤمنين العالمين، بخلاف المنافقين الذين جمعوا سُقم الفهم، وسوء القصد.

- وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأنهم أهل العلم ميزة لهم وشرفٌ سببه استماعهم لرسول الله ﷺ استماع قبول وتعلُّم، وهذا الشناء يُعمُّ الصحابة سوى المنافقين الذين يحضرون أجساداً بلا أرواح.

- غالب مجالس النبي ﷺ كانت في تعليم القرآن، فهو يعمل بأمر الله تعالى له.



٢١- ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

على السابقين المستضعفين

من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

## الآيتان ١٠-١١ من سورة الأحقاف

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِءِ فَنَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِءِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِءِ فَسَقَوْا هَذَا ءِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ﴾ أي: ما ظنكم أن الله عَزَّوَجَلَّ صانعٌ بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله عليَّ لأبْلَغُكُمْوه وقد كفَرتم به وكذَّبتموه.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ أي: وقد شَهِدَتْ بِصِدْقِهِ وَصِحَّتْهُ  
الْكُتُبُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، بَشَّرْتُ بِهِ وَأَخْبَرْتُ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ  
هذا القرآن به.

وقوله: ﴿فَأَمَّنْ﴾ أي: هذا الذي شَهِدَ بِصِدْقِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَعْرِفَتِهِ  
بِحَقِّتَيْهِ، ﴿وَأَسْتَكَبَرْتُمْ﴾ أنتم عن اتباعه. وقال مسروق: فآمن هذا الشاهد بِنَبِيِّهِ  
وكتابه، وكفرتُم أنتم بِنَبِيِّكُمْ وكتابكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وهذا الشاهد اسم جنس يَعُمُّ عبد الله بن سلام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وغيره، فإن هذه  
الآية مكية نَزَلَتْ قَبْلَ إِسْلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. واختاره ابن جرير.  
وعن عامر بن سعد، عن أبيه قال: ما سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**  
يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: «إنه من أهل الجنة»، إلا لعبد الله بن  
سلام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: وفيه نَزَلَتْ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ [متفق  
عليه]. وكذا قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة  
ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسُّدِّي والثوري ومالك بن  
أنس وابن زيد؛ أنهم كلهم قالوا: إنه عبد الله بن سلام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي: قالوا  
عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيراً ما سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ؛ يعنون: بلالاً

وعَمَّارًا وَصُهِيبًا وَخَبَّابًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَشْبَاهَهُمْ وَأَقْرَانَهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ والعبيد والإماء، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ وَجَاهَةً وله بهم عِنَايَةٌ، وقد غَلِطُوا فِي ذَلِكَ غَلْطًا فَاحِشًا، وَأَخْطَأُوا خَطَأً بَيِّنًا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُونَ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنْ الصَّحَابَةِ: هُوَ بَدْعٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا.

وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ﴾ أي: كَذِبٌ قَدِيمٌ أي: مأثور عن الأقدمين، فينتقصون القرآن وأهله، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله ﷺ: «بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» [رواه مسلم] (١).

قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: "والفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنْ﴾ للدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق، وهو عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما سمع بمقدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب، وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر" (٢).

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧٧-٢٧٩) مختصراً.

(٢) تفسير أبي السعود (٨/ ٨٠).

- مكانة عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه نزلت الآية، كما نص على ذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو القول الراجح، وأما على قول مسروق بن الأجدع الذي اختاره ابن جرير أن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشملُه عموم لفظ (شاهد) الذي هو اسم جنس كما تقدم، وعليه: فعبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزلت فيه الآية، أو تشملُه الآية؛ وفي كلا الحالين ففي الآية ثناء عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أثبت مسمى الإيمان لمن آمن بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ضعفاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، وضعفاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يشكلون أغلب المؤمنين في صدر الإسلام، كما تقدم في قول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أن المشركين قالوا: لو كان القرآن خيرًا ما سبقنا هؤلاء إليه. يعنون بلائًا وعمارًا وصُهيبيًا وخَبَابًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأشباههم وأقرانهم من المستضعفين والعييد والإماء؛ ففي كلام المشركين إقرار بسبق أولئك الصحابة إلى الهدى، وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قولهم منكرًا عليهم تخلفهم عن ركب الهداية بحجة واهية، ولم ينكر عليهم الاعتراف بسبق الصحابة إلى اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



٢٢- من فضائل

أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أ- الذي يُؤتي ماله يتزكى

الآيات ١٧-٢١ من سورة الليل

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ أي: وَسَيُزْجِرُ حَزَحَ عن النار التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْأَتْقَى. ثم فَسَّرَهُ بـ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أي: يَصْرِفُ ماله في طاعة ربه؛ لِيُزَكِّي نفسه وماله وما وَهَبَهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من دين ودنيا، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ

مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١﴾ أَي: لَيْسَ بِذَلِكَ مَالُهُ فِي مِكَافَأَةٍ مِنْ أَسَدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا، فَهُوَ يُعْطَى فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا دَفَعَهُ ذَلِكَ ﴿٢﴾ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٣﴾ طَمَعًا فِي أَنْ يَحْصَلَ لَهُ رُؤْيَاهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ ﴿٤﴾ أَي: وَلَسَوْفَ يَرْضَى مِنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ حَكَى إِجْمَاعَ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ (١).

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأُولَى الْأُمَّةِ بَعْمُومِهَا، فَإِنْ لَفْظُهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًّا بَدَأَ لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَنَصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَمَ مِنْ دَرَاهِمٍ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكْفِئَهُ بِهَا (٢).

إِنَّهُ الرِّضَا يَنْسَكِبُ فِي قَلْبِ هَذَا الْآتِقِ، إِنَّهُ الرِّضَا يَغْمُرُ رُوحَهُ، إِنَّهُ الرِّضَا

(١) مِثْلُ: ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ (٩/ ١٥٢)، وَابْنِ عَطِيَّةٍ فِي الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ (١٥/ ٤٨٤).

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٨/ ٤٢٢).

يفيض على جوارحه، إنه الرضا يشيع في كيانه، إنه الرضا يندي حياته.  
ويا له من جزاء! ويا لها من نعمة كبرى! يرضى بدينه، ويرضى بربه،  
ويرضى بقدره، ويرضى بنصيبه، ويرضى بما يجد من سراء وضراء، ومن  
غنى وفقر، ومن يسر وعسر، ومن رخاء وشدة، يرضى فلا يقلق ولا يضيق  
ولا يستعجل ولا يستثقل العبء، ولا يستبعد الغاية..  
إن هذا الرضا جزاء أكبر من كل جزاء، جزاء يستحقه من يبذل له نفسه  
وماله، من يعطي ليتزكى، ومن يبذل ابتغاء وجه ربه الأعلى، إنه جزاء لا  
يمنحه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهو يسكبه في القلوب التي تخلص له، فلا تقصد  
بعملها أحداً غيره.

#### أوجه الثناء:

- نزول هذه الآيات في مدح أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإجماع المفسرين.
- وصف التقوى في حقه بصيغة التفضيل ﴿الْأَتَقَى﴾، فمهما بلغ غيره في  
التقوى إلا أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يزال الأتقى.
- شهد الله تعالى له وهو لا زال حياً بعدم دخول النار وهذه منقبة  
عظيمة .

- أن إنفاقه لم يكن إلا بنية أن يزكيه الله تعالى، وقد شهد الله جل ثناؤه له بذلك.

- لم يكن إنفاقه من باب رد الجميل لأحد؛ بل له الفضل على غيره.

- أن الله تقدست أسماؤه أخبر أنه سيرضيه بثواب الآخرة العظيم في جنات النعيم.

- فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حيث إن منهم من شارك أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض صفات الكرم، والإنفاق ابتغاء الثواب من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ وإن كانوا دون أبي بكر في الفضل كعثمان وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حيث قدموا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لدينهم ودنياهم؛ ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه.



تابع.. من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

## ب- ثاني اثنين

### الآية ٤٠ من سورة التوبة

﴿إِلَّا نُنْصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
ثَانِيَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ  
إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ  
تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى  
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُهُ﴾ أي: تنصروا  
رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فإن الله تعالى ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه،

كما تَوَلَّى نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أي: عام الهجرة لَمَّا هَمَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربًا صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطَّلَبُ الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيرا نحو المدينة، فجعل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم أذى، فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَكِّنُهُ وَيَثَبِّتُهُ ويقول: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله عَزَّ وَجَلَّ ثالثهما» [متفق عليه]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أي: تأييده ونصره عليه، أي: على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أشهر القولين، وقيل: على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره قالوا: لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم نزل معه سكينه، وهذا لا يُنافي تجدد سكينه خاصة بتلك الحال؛ ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي: الملائكة، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يعني ﴿كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الشرك، و﴿كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ هي: لا إله إلا الله. عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقَاتِلَ حِمِيَّةً، ويقَاتِلَ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي

العليا فهو في سبيل الله» [متفق عليه].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه وانتصاره، منيع الجنب، لا يُضَامُ مَنْ لَازَ بابَه<sup>(١)</sup>، واحتمى بالتمسك بخطابه ﴿حَكِيمٌ﴾ في أقواله وأفعاله<sup>(٢)</sup>.

والقول الثاني أن المقصود بنزول السكينة عليه أي: على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجهه جداً، فهو المحتاج إلى السكينة، كما سيأتي.

#### أوجه الثناء:

- أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بنص القرآن ﴿لصَّحْبِهِ﴾، وهذه صحبة مطلقة وليست في الغار فقط، فهو صاحبه في شبابه في الجاهلية، وأول من آمن به وصاحبه في الهجرة، ومستشاره الأول في المدينة، وخليفته في الصلاة في حياته وبعد مماته، وضجيجه في قبره، ويوم

(١) المنيع: العزيز القوي، والجنب: الناحية، والضيم: الظلم، ولاذ: لجأ واحتمى، والمعنى: قوي الشأن فلا يقدر أحد على أن يمس ناحيته وجانبه، ولا يُظلم من لجأ واحتمى به سبحانه وتعالى.

مقاييس اللغة (١/ ٤٨٣)، لسان العرب (٣/ ٥٠٧) (١٢/ ٣٥٩)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥٥).

يقوم الأشهاد.

- بذل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** نفسه لصحبة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مع أنه يعلم أنهم إن ظفروا به قتلوه.

- خاف الصديق على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من المشركين خوفاً ظهرت ملامحه عليه، فقال له الرسول الأكرم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿لَا تَحْزَنْ وَلَا تَخَفْ، إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ معية نصر وتأيد، ولم يقل: (إن الله عز وجلّ معي وحدي)، بل قال: ﴿مَعَنَا﴾: مع الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومع أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ حافظاً مؤيداً.

- ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ الضمير في (عليه) يعود على أبي بكر فهو الذي كان بحاجة للسكينة؛ بسبب خوفه على الحبيب **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يخلص إليه المشركون، أما هو فقد هانت عليه روحه، وفدى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بنفسه، وحتى لو قلنا: إن الضمير يعود إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فهل زال خوف أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أم لا؟! وهل شمله التأيد بجنود لم يرها الناس؟ وهل تمت هجرته مع النبي الأكرم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟! بالإجابة عن هذه الأسئلة يتضح إنه إن لم يكن المقصود بإزالة السكينة عليه؛ فإن له منها نصيباً وافراً.



فإن كانت السكينة هي مظنة الإيمان وعلامة الصدق والإخلاص؛ فقد بلغ منها الصديق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما لم يبلغه غيره، وقد أيده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وثبته في أشد المواقف، كما هو الواقع يوم وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث ظهر ثباته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال كلمته المشهورة: [من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله عزَّجَلَّ فإن الله حي لا يموت]<sup>(١)</sup> وثبت الله جَلَّ جَلَالُهُ به الصحابة أجمعين، وقبل مبايعته أمر بإنفاذ جيش أسامة ليظهر قوة الإسلام وأهله مع شدة الموقف وصعوبته.

وفي يوم ردة قبائل العرب وظهور مسيلمة الكذاب وغيره، تزلزلت الجبال وعم الخوف، فظهر ثبات الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالها بكل حزم وثبات: [والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم على منعها]<sup>(٢)</sup>، وكان ثباته سبباً لثبات المسلمين من ورائه، حتى قال عمر: [فما هو إلا أن رأيت الله تعالى قد شرح صدر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لذلك فعرفت أنه الحق]<sup>(٣)</sup>، وكأن السكينة قد نزلت على قلبه حتى شعر بها الصحابة من حوله، فانطلقت الرايات مع قلة عددهم في أنحاء جزيرة العرب

(١) البخاري (٢/ ٧١ رقم ١٢٤١).

(٢) البخاري (٢/ ١٠٥ رقم ١٤٠٠).

(٣) الأثر السابق.

لمقاتلة المرتدين ومانعي الزكاة في وقت واحد، وأيد الله **عَزَّوَجَلَّ** الدين بأبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وجعل الله **عَزَّوَجَلَّ** كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله **عَزَّوَجَلَّ** هي العليا، ودانت الجزيرة كلها لحكمه وخلافته، ثم انطلقت الجيوش إلى العراق والشام.

يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كلام بديع يصف فيه حال الصديق ومناقبه وخصوصاً منقبة **﴿ثَافِتْ أَثْنَيْنِ﴾**: "فلما وقف القوم على رؤوسهم وصار كلامهم بسمع الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** والصديق، قال الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وقد اشتد به القلق: «يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه». فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» لما رأى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** حزنه قد اشتد - لكن لا على نفسه - قوى قلبه ببشارة **﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَمَرَ اللَّهُ مَعْنَا﴾**، فظهر سر هذا الاقتران في المعية لفظاً كما ظهر حكماً ومعنى، إذ يقال: رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وصاحب رسول الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فلما مات **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قيل: خليفة رسول الله، ثم انقطعت إضافة الخلافة بموته ف قيل: أمير المؤمنين.

كانت تحفة **﴿ثَافِتْ أَثْنَيْنِ﴾** مدخرة للصديق دون الجميع، فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر،

وفي سبب الموت؛ لأن الرسول ﷺ قد مات عن أثر السم، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سم فمات.

أسلم على يديه من العشرة: عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان عنده يوم أسلم أربعون ألف درهم فأنفقها أحوج ما كان الإسلام إليها، فلهذا جلبت نفقته عليه: «ما نفعتني مأل ما نفعتني مأل أبي بكر» [رواه أحمد]، فهو خير من مؤمن آل فرعون؛ لأن ذلك كان يكتُم إيمانه والصديق أعلن به، وخير من مؤمن آل (يس)؛ لأن ذلك جاهد ساعة والصديق جاهد سنين.

عين طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار ويصيح: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١١] فألقى له حب المال على روض الرضى واستلقى على فراش الفقر، فنقل الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة، ثم علا على أفنان شجرة الصدق يغرد بفنون المدح، ثم قام في محاريب الإسلام يتلو: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨)﴾ [الليل: ١٧-١٨] نطقت بفضله الآيات والأخبار؛ واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، فيا مبغضيه! في قلوبكم من ذكره نار، كلما تليت فضائله علا عليهم الصغار، أترى لم يسمع الروافض ﴿ثَانِيكَ أَتْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾؟!.

﴿ثَانِيكَ أَتْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ من كان قرين النبي ﷺ

في شبابه؟ من ذا الذي سبق إلى الإيمان من أصحابه؟ من الذي أفتى بحضرته سريعاً في جوابه؟ من أول من صلى معه؟ ومن آخر من صلى به؟ من الذي ضاحجه بعد الموت في ترابه؟ فاعرفوا حق الجار.

نهض يوم الردة بفهم واستيقاظ، وأبان من نص الكتاب معنى دقّ عن حديد الألفاظ<sup>(١)</sup>، فالمحب يفرح بفضائله والمبغض يغتاظ.

فضائله جليلة وهي خلية عن اللبس، يا عجباً! من يغطي عين ضوء الشمس في نصف النهار، لقد دخلا غاراً لا يسكنه لاث، فاستوحش الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** من خوف الحوادث، فقال الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «ما ظنك باثنين والله الثالث» [متفق عليه]، فنزلت السكينة فارتفع خوف الحادث، فزال القلق وطاب عيش الماكث، فقام مؤذن النصر ينادي على رؤوس منائر الأَمْصار: **ثَانِيكَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**.

حُبّه -والله- رأس الحنيفة، وبُغضه يدل على خبث الطوية، فهو خير الصحابة والقراة والحجة على ذلك قوية.

(١) دقّ الشيء: إذا غمض وخفي، والألفاظ: جمع لحظ وهو النظرة بمؤخر العين. المصباح المنير (١/ ١٩٧)، لسان العرب (٧/ ٤٥٨)، والمعنى أنه يخفى على العين القوية شديدة الملاحظة.

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

والله ما أحبيناه لهواناً، ولا نعتقد في غيره هواناً، ولكن أخذنا بقول علي  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كفانا: [رضيك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لدينا أفلأ نرضاك  
لدينا؟!]"<sup>(١)</sup>.



---

(١) الفوائد (ص: ٧٣-٧٥).

تابع.. من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ج- أمير المؤمنين

### الآية ١٦ من سورة الفتح

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦)

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "المعنى: إن كنتم تريدون الغزو والغنيمة فستُدْعَوْنَ إلى جهاد قوم أولي بَأْسٍ شَدِيدٍ. وفي هؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أنهم فارس، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في آخرين. والثاني: فارس والروم، قاله الحسن، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث: أنهم أهل الأوثان، رواه ليث عن مجاهد.

والرابع: أنهم الروم، قاله كعب.

والخامس: أنهم هوازن وغطفان، وذلك يوم حنين، قاله سعيد بن جبير، وقتادة.

والسادس: بنو حنيفة يوم اليمامة، وهم أصحاب مسيلمة الكذاب، قاله الزهري، وابن السائب، ومقاتل. قال مقاتل: خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه بيّنة مؤكدة. وقال رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [كُنَّا نَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نَعْلَمُ مَنْ هُمْ حَتَّى دُعِيَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى قِتَالِ بَنِي حَنْيِفَةَ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُمْ هُمْ]، وقال بعض أهل العلم: لا يجوز أن تكون هذه الآية إلا في العرب، لقوله: ﴿نُقْنِلُهُمْ أَوْ يُسْلِمُوا﴾، وفارس والروم إنما يقاتلون حتى يُسْلِمُوا أو يؤدُّوا الجزية. وقد استدلل جماعة من العلماء على صحّة إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بهذه الآية، لأنه إن أُريدَ بها بنو حنيفة، فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا إلى قتالهم، وإن أُريدَ بها فارس والروم، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا إلى قتالهم، والآية تُلْزِمُهُمُ اتِّبَاعَ طَاعَةِ مَنْ يَدْعُوهُمْ، وتوَعَّدَهُمْ عَلَى التَّخَلُّفِ بِالْعِقَابِ. قال القاضي أبو يعلى: وهذا يدل على صحّة إمامتهما إذا كان المتولّي عن طاعتها مستحقاً للعقاب. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ قال ابن جريج: فإن تطيعوا أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا عَنْ طَاعَتِهِمَا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ عَنْ طَاعَةِ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المسير إلى الحديبية" (١).

قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفيه دليل على إمامة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره" (٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "في هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاهم إلى قتال بني حنيفة، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاهم إلى قتال فارس والروم. وأما قول عكرمة وقتادة إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين فلا؛ لأنه يمتنع أن يكون الداعي لهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لأنه قال: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ فدل على أن المراد بالداعي غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا" (٣).

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤ / ١٣١ - ١٣٢).

(٢) تفسير أبي السعود (٨ / ١٠٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٦ / ٢٧٢).



## ٢٣ - فضل حمزة وعلي وعبيدة

وسائر الصحابة رضي الله عنهم

### الآية ١٩ من سورة الحج

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَبِّهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝١٩﴾

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أنه كان يُقسِمُ قسمًا أن هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَبِّهِمَا﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعُتْبَةُ وصاحبيه، يوم برزوا في بدر [متفق عليه]، وعن علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قال: أنا أول من يَجُثُّ بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَبِّهِمَا﴾، قال: [هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعُبيدة، وشيبة بن ربيعة وعُتْبَةُ بن ربيعة والوليد بن عتبة]

[رواه البخاري].

وقال مجاهد وعطاء: هم المؤمنون والكافرون. وقولهما يشمل الأقوال كلها، ويَنْتَظِمُ فيه قصة يوم بدر وغيرها؛ فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل <sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن أول مبارزة في حرب في الإسلام كانت يوم بدر، فلا غرو أن تكون أول ما يقضى فيها من الدماء في هذه الأمة.

قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** - في سياق فضل الثلاثة -: "وقد ثبت في الصحيح أن فيهم نزل قوله: ﴿هَٰذَا خِصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ الآية [الحج: ١٩]. وإن كان في الآية عموم <sup>(٢)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- الشناء على الصحابة عموماً والثلاثة المذكورين خصوصاً، ومما يؤيد دخول الصحابة - عموماً - والثلاثة الذين نزلت فيهم الآية - خصوصاً - في عموم الآية؛ قول علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: [أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة] <sup>(٣)</sup>.. فلئن كانت الآية مبينةً لفضل المؤمنين جميعاً؛

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٠٥-٤٠٦) مختصراً.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٧٣).

(٣) تقدم ذكره.

فالصحابة من باب أولى، وخاصةً من نزلت فيهم الآية.

- كما أن الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا في بداية النزال يمثلون بقية الصحابة، فإن هذا يضيفي فضلاً على بقية أهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، والمشهور أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قد انتدب ثلاثة من الأنصار، فأبى عتبة ومن معه مبارزتهم، وطلبوا أكفاء من أقربائهم، فاختار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أقرب الناس إليه وهم أبناء عمومة للكفار يجتمعون في عبد مناف<sup>(١)</sup>.

- الشهادة لهم بالإيمان والإخلاص وأن خصومتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم لم تكن لأجل أنفسهم أو أهوائهم، وإنما كانت ﴿فِي رِيحِهِمْ﴾.

- لم تكن خصومتهم مجرد كلام أو دعاوى، إنما كانت خصومتهم في الله جَلَّ جَلَالُهُ ببذل الأرواح والنفوس.

- البشارة الضمنية لهم بالجنة، فلما كان الذين كفروا ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ فهم أن المؤمنين على النقيض من هذا، وأن جزاءهم الجنة والنعيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.



(١) ينظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ١٦٠).

٢٤- ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

على زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

### الآية ٣٧ من سورة الأحزاب

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ  
وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ  
أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ  
مَفْعُولًا﴾ (٣٧)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى مخبراً عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ  
قال لمولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الذي أنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه،  
أي: بالإسلام، ومتابعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أي:  
بالعتق من الرق، وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر، حبيباً إلى النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يقال له: الحِبِّ، ويقال لابنه أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحِبُّ ابن الحِبِّ. قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما بعثه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في سرية إلا أمره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه». رواه أحمد.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد زوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وأمها أميمة بنت عبد المطلب - وأصدقها عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماراً، وملحفةً، ودرعاً، وخمسين مداً من طعام، وعشرة أمداد من تمر. قاله مقاتل بن حيان، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما، فجاء زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشكوها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول له: «أمسك عليك زوجك واتق الله». قال الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾.

قال الحسن في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾: الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليشكوها إليه قال: اتق الله، وأمسك عليك زوجك. فقال: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾: الوطر: هو الحاجة

والأرب، أي: لما فرغ منها، وفارقها، زوجها، وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله تعالى.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٤٧) أي: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه، وهو كائن لا محالة، كانت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ستصير من أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

#### أوجه الثناء:

- أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَمَّى زيداً في القرآن، ولم يُسَمَّ من الصحابة باسمه غيره.
- أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أخبر أنه أنعم عليه، أي: بنعمة الإسلام والإيمان، وهذه شهادة من الله عَزَّ وَجَلَّ له أنه مسلم مؤمن، ظاهراً وباطناً، وإلا فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن المراد بها النعمة الخاصة.
- ﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ فيه وصف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالإيمان، فهم أول من يدخل فيها، ففضية التبني كانت موجودة في زمنهم، وكانوا يجدون هذا الحرج الذي رفعه الله جَلَّ وَعَلَا عنهم بهذه الآية.

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٤-٤٢٦) مختصراً.



**ثانياً: شهادة المولى** **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**

**بِالْإِيمَانِ لِلصَّاحِبَةِ** **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**





أعظم الشهادات التي قد ينالها الإنسان في الحياة: شهادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** له بالإيمان الحقيقي، هذه الشهادة التي لا يستطيع البشر أن يمنحوها لغيرهم، بل لا يستطيع الإنسان أن يمنحها لنفسه وأن يشهد لها بالإيمان الحقيقي، فهو أمر لا يعلم حقيقته إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ومن شهد الله **جَلَّ وَعَلَا** له بالإيمان فقد فاز فوزا عظيما، فلا يُقبل من أحد بعد ذلك أن يشكك في دينه وإيمانه وعدالته، فليس بعد قول الله قول لقائل، وليس بعد شهادة الشهيد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** شهادة.

وعندما يسمي الله **جَلَّ وَعَلَا** نفرا من عباده بـ(المؤمنين)، و(الذين آمنوا)، ويناديهم بهذا الوصف، ويخبر عنهم بأنهم قد حققوا التسليم لأمره والانقياد لشرعه، ويخبر عن أن السكينة قد نزلت في قلوبهم، بل ويجعل إيمانهم هو النموذج الذي ينبغي أن يُحتذى، ويفرق بينهم وبين المنافقين بعلامات واضحة جلية، أليس هذا كله شهادة صريحة بإيمانهم؟! وإذا لم تكن هذه شهادة فما ندري ماذا عساها أن تكون الشهادة بالإيمان؟!

وإذا أردت التحقق فتأمل في الآيات القادمة لترى فيها ما ذكرنا وأكثر.



٢٥- شهادة المولى سبحانه وتعالى  
للصحابه رضي الله عنهم بالتسليم والانقياد

الآيتان ٢٨٥-٢٨٦ من سورة البقرة

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا  
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلَّا  
وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ  
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا  
رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ  
مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

هاتان الآيتان من أعظم الآيات في القرآن، فعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال:  
قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ

كفتاه»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في سبب نزولهما عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: لما نزلت على رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فأتوا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها، قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله **عَزَّوَجَلَّ** في إثرها: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا

(١) البخاري (٦/ ١٨٨ رقم ٥٠٠٩)، مسلم (١/ ٥٥٤ رقم ٨٠٧).

مَا أَكْتَسَبْتَ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿١﴾ «قال: نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] «قال: نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ «قال: نعم» ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ «قال: نعم» (١) ..

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وإن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قال: دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخل قلوبهم من شيءٍ (٢)، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ «قال: قد فعلت» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ «قال: قد فعلت» ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ «قال: قد فعلت» (٣).

(١) مسلم (١/ ١١٥ رقم ١٢٥).

(٢) أي: دخل قلوبهم من الآية الكريمة شيء من الفزع والخوف لم يدخلها من أجل شيء آخر من الآيات. من تعليق دراز على الموافقات (٤ / ٣٧).

(٣) مسلم (١/ ١١٦ رقم ١٢٦).

والآيتان مرتبطتان بالآية قبلهما وهي قوله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "يخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهما، وأنه المطلع على ما فيهن، لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر، وإن دقت وخفيت، وأخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم، كما قال: ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم، وهو: المحاسبة على ذلك، ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وخافوا منها، ومن محاسبة الله **جَلَّ جَلَالُهُ** لهم على جليل الأعمال وحقيرها، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم، وعن مروان الأصفر، عن رجل من أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أحسبه ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ قال: [نسختها الآية التي بعدها] [رواه البخاري]، وهكذا روي عن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، والشعبي، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وقتادة: أنها منسوخة بالتي بعدها.

قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾، إخبار عن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بذلك. وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطفٌ على ﴿الرَّسُولُ﴾ ثم أخبر عن الجميع فقال: ﴿كُلُّ عَامِنٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ فالْمُؤْمِنُونَ يؤمنون بأن الله جَلَّ جَلَالُهُ واحدٌ أحد، صمد، لا إله غيره، ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بأرؤن راشدون مهديون هادون إلى سُبُل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى تُنسخ الجميع بشرع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أُمَّته على الحق ظاهرين.

وقوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا قولك يا ربنا، وفهمناه، وقمنا به، وامثلنا العمل بمقتضاه، ﴿عُفْرَانِكَ رَبَّنَا﴾ سؤال للغفر والرحمة، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليك المرجع والمآب يوم يقوم الحساب.

ثم قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم، وهذه هي النسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي

أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴿١﴾ أي: هو وإن حاسب وسأل، لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه، فأما ما لا يمكن دفعه - من وسوسة النفس وحديثها - فهذا لا يكلف به الإنسان، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان.

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من شر، وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف.

ثم قال تعالى مرشداً عباده إلى سؤاله، وقد تكفل لهم بالإجابة، كما أرشدهم وعلمهم أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ أي: إن تركنا فرضاً على جهة النسيان، أو فعلنا حراماً كذلك ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: الصواب في العمل، جهلاً منا بوجهه الشرعي.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: لا تكلفنا من الأعمال الشاقة - وإن أطقناها - كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الأغلال والآصار<sup>(١)</sup> التي كانت عليهم، التي بعثت نبيك محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيف السهل السمح.

(١) جمع إصر، وهو الحبل الذي الذي تربط به الأحمال، والمقصود به: الأمر الغليظ الصعب. تفسير ابن عطية (١/ ٣٩٤).

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي: من التكليف والمصائب والبلاء، لا تبلينا بما لا قبل لنا به.

وقوله: ﴿وَأَعِزَّنَا﴾ أي: فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا، ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: فيما بيننا وبين عبادك، فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة، ﴿وَارْحَمْنَا﴾ أي: فيما يُستقبل، فلا توقعنا في ذنب آخر، ولهذا قالوا: إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله **جَلَّ جَلَالُهُ** عنه فيما بينه وبينه، وأن يستره عن عباده فلا يفضح به بينهم، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره.

وقوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أي: أنت وليُّنا وناصرنا، وعليك توكلنا، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك؛ ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الذين جحدوا دينك، وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، وأشركوا معك من عبادك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: «نعم»، وروى ابن جرير **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن معاذاً كان إذا فرغ من هذه السورة: ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: آمين **"(١)"**.

وهذه الآية فيها ضابط المنهج السلفي، منهج الرسل **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**، وإمامهم سيدنا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومن آمن معه من أصحابه الكرام:

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٧٢٨-٧٣٨) مختصراً.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ التسليم المطلق والاتباع، فلا جدال ولا اعتراض، وهذا أحد أهم آثار الإيمان وعلاماته الدالة عليه، وذهب قوم فقالوا: لا بد من تحكيم العقل، والإسلام رفع من شأن العقل، وحاكموا النصوص بعقولهم!! وقال آخرون: نستفتي قلوبنا، ولنا كرامات ورؤى صادقة، وشيوخ لهم منزلة.

واليوم انفتح الباب على مصراعيه لكل ناعق، فلا تجد مبدأ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بل: اعترضنا وجادلنا!!

#### أوجه الثناء:

- قوة إيمان الصحابة و يقينهم؛ كما تقدم في كلام ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** السابق.

- تأكيد الله **عَزَّجَلَّ** حصول الإيمان وتحقيقه بالفعل الماضي (آمن)، وتكرار الفعل، فالأول عطف على إيمان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ و﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، والثاني إخبار عن الجميع فقال: ﴿كُلُّ ءَامَنٍ..﴾ الآية.

- سبب نزول الآيات الكريمة وما آل إليه أمر الصحابة من الإيمان بكل ما أنزله الله تعالى على نبيه واستسلامهم لأمر ربهم **جَلَّ وَعَلَا**؛ فيه ثناء إلهي على الصحابة الكرام وبيان أنهم حققوا الإيمان واليقين، كما قال ابن عباس



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديثه السابق: [فَأَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ].

- استجابة الله تعالى دعاءهم، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «قد فعلت» دليل على مكانتهم عند الله تعالى.

- فضلهم على الأمة؛ فهم سبب نزول الآيات، وصبرهم وحسن سؤالهم سبب التخفيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

- نجاح الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهم في هذا الابتلاء حيث قالوا: «سمعنا وأطعنا»، واتبعوا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يعترضوا، بخلاف اليهود الذين قال الله عَزَّجَلَّ لهم: قولوا: حطة، فقالوا: حنطة<sup>(١)</sup>، ولم يقولوا: سمعنا وأطعنا.

- ذَكَرَ اللهُ تعالى أعظم قضايا الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، ثم ذكر قضية الانقياد ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وهي القضية الفارقة بين جيل الصحابة وبين غيرهم، فعظمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تتجلى في هذا الخضوع والانقياد والتعظيم لأمر الله تعالى، ولو تحملوا في سبيل هذا الانقياد أعظم

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قوله عز وجل: ﴿وَادْخُلُوا أَبْابَ سُجْدًا﴾ قال: «دخلوا زحفا» ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال: "بدلوا فقالوا: حنطة في شعرة". أحمد (١٣/ ٤٧١ رقم ٨١١٠) وأصل الحديث في الصحيحين.

التبعات والمشاق، وكان هذا هو المعلم البارز في سيرتهم المباركة والعنصر الأهم في منهجهم النقي، وهو الشيء المشترك في أحوالهم جميعاً على اختلاف اجتهاداتهم وآرائهم في القضايا الشرعية، فكانوا في المقام العالي عند الله سبحانه.



٢٦- شهادة المولى سبحانه وتعالى  
للسحابة رضي الله عنهم بالإيمان

الآية ١٠٩ من سورة البقرة

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٠٩)

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "يحذّر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويُعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين الذين عاصروهم وهم الصحابة، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** من النصر والفتح، ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه" (١).

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

قال رشيد رضا **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "بين الله تعالى أن أهل الكتاب المتعصبين لدينهم - من حيث هو جنسية لهم تقوم بها منافع جنسهم - لم يكتفوا بكفرهم بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** والكيد له ونقض ما عاهدهم عليه حسداً له ولقومه على نعمة النبوة، بل هم يزيدون على ذلك ما قصه تعالى بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾، فهو بيان لما يضمرونه وما تُكنُّه صدورهم للمسلمين من الحسد على نعمة الإسلام التي عرفوا أنها الحق، وأن وراءها السعادة في الدارين، ولكنهم شَقَّ عليهم أن يتبعوهم، فتمنوا أن يحرموا هذه النعمة ويرجعوا كفاراً كما كانوا، وذلك شأن الحاسد يتمنى أن يسلب محسوده النعمة ولو لم تكن ضارة به، فكيف إذا كان يعلم أن تلك النعمة إذا تمت وثبتت يكون من أثرها سيادة المحسود عليه وإدخاله تحت سلطانه، كما كان يتوقع علماء يهود في عصر التنزيل؟" (١).

#### أوجه الشناء:

- شهادة الله تعالى للصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بالإيمان، حيث أضاف الإيمان لهم فكأنهم مختصون به ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾.

(١) تفسير المنار (١/ ٣٤٦).

- بيان أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أعلى مقام من وضوح الحق وتبيينه لهم؛ إذ قد ذكر الله جلَّ في علاه أن أهل الكتاب تبين لهم الحق، فمن باب أولى أن يكون الصحابة أكثر تبيناً له ويزيدون على أهل الكتاب باتباع الحق.

- أن من سبَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد تشبه باليهود الذين حسدوا الصحابة وسبواهم ﴿يُرْذَوْنَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾ فالضمير يرجع للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واليهود هم الذين بذلوا جهدهم في الكيد.

- في أمر الله عزَّ وجلَّ لهم بالعفو والصفح بعد ذكر تمنى أهل الكتاب ردتهم، دليل على استمرار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على إيمانهم وعدم ردتهم؛ إذ لو كان ذلك لحذرهم منه هنا.



٢٧- المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

هم أهل الإيمان والولاية

والنصرة لبعضهم

## الآيات ٧٢-٧٥ من سورة الأنفال

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ  
يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي  
الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَقٌ وَاللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَائِهِمْ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ  
تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا  
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ  
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ  
فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقَسَّمَهُم إلى مهاجرين، وهم الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاؤوا لنصر الله جَلَّ جَلَالُهُ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك. وإلى أنصار، وهم: المسلمون من أهل المدينة (الأوس والخزرج) إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله جَلَّ جَلَالُهُ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالقتال معهم، فهؤلاء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد؛ ولهذا آخى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً مقدماً على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث. وقد أثنى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في غير ما آية في كتابه فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآية [الحشر: ٨-٩].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، بل أقاموا في

بَوَادِيهِمْ، فَهُؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْمَغَانِمِ نَصِيبٌ، وَلَا فِي خُمْسِهَا إِلَّا مَا حَضَرُوا فِيهِ الْقِتَالُ.

عن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ الْأَسْلَمِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ أَوْ جَيْشٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَقَالَ: «... فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحُولِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْلِمُهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَأَنْ عَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ. فَإِنْ أَبَوْا وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْفِيءِ وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبٌ، إِلَّا أَنْ يَجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ» [رواه مسلم].

﴿وَأِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى: وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ - الَّذِينَ لَمْ يَهَاجَرُوا - فِي قِتَالِ دِينِي عَلَى عَدُوِّ لَهُمْ فَانصُرُوهُمْ، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ نَصْرُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، إِلَّا أَنْ يَسْتَنْصَرُوكُمْ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أَي: مَهَادَنَةٌ إِلَى مَدَّةٍ، فَلَا تَخْفَرُوا ذِمَّتَكُمْ، وَلَا تَنْقُضُوا أَيْمَانَكُمْ مَعَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ. وَهَذَا مَرْوِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.



ولما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، قطع الموالاة بينهم وبين الكفار. عن أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» [متفق عليه].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض.

ولما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان، كما تقدم في أول السورة، وأنه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبداً لا ينقطع ولا ينقضي، ولا يُسَام ولا يُمَلُّ لحُسْنِهِ وتنوعه.

ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة كما قال: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَى﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠] وفي الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «المرء مع من أحب» [متفق عليه] (١).

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٩٥-٩٩) مختصراً.

- الشناء على المهاجرين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بأنهم هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فبلغوا من التضحية المرتبة الأعلى، بالمال وبالنفس (والجود بالنفس أسمى غاية الجود)، وهم في كل ذلك يطلبون الغاية الأسمى، وهي رضا الله تعالى، وفي سبيل ذلك بذلوا كل غالٍ ورخيص.

- الشناء على الأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أنهم آووا إخوانهم المهاجرين، ونصروهم، وآثروهم على أنفسهم، وأشركوهم في أموالهم وديارهم مع ما كانوا عليه من الحاجة.

- المهاجرون والأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** **﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾**، وهي ولاية لله ومن أجل الله **عَزَّ وَجَلَّ** ولنصرة دين الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فهي شاملة لهم جميعاً، ومنهم الخلفاء الراشدون.

- من آمن ولم يهاجر من الصحابة يصدق عليه وصف الإيمان، وإن كان أدنى مرتبة من المهاجرين، ولا يجوز وصفهم بالنفاق؛ إذ إن الله تعالى قد وصفهم بالإيمان.

- من آمن ولم يهاجر من الصحابة وجب نصره إن استنصر في الدين،

وطلب الدعم والتعزيز في مواجهة الكافرين، ما لم يكن هناك موثيق تحول دون ذلك، فتُسَلِّك مسالك أخرى لا تضرّ بالعهود والمواثيق، ولا تُعرِّض المؤمنين من غير المهاجرين والأنصار للمهالك؛ قدر الإمكان، وكل حادثة لها حكمها، كما جرى لأبي بصير وأبي جندل ومن معهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup>.

- إن كان غير المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يجب نصرهم إن استنصروا في الدين؛ فما بالناس بالمهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أصحاب التضحيات والبذل والتفاني والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. لا شك أنه يجب الانتصار لهم، والذود عن دماءهم وأعراضهم وأموالهم، ومن ذلك الذب عنهم بعد وفاتهم والدفاع عن أعراضهم ومكانتهم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والرد على كل من طعن بهم.

- الفتنة والفساد الكبير في عدم الانتصار للمؤمنين من غير المهاجرين

---

(١) وقصتهم باختصار: أن أبا بصير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدم مهاجراً إلى المدينة، فردّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى المشركين وفاء بشرط الحديبية، فقتل أبو بصير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرافقيه من المشركين، ولما علم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لن يقبله في المدينة ذهب إلى ساحل البحر فانضم إليه المسلمون المضطهدون في مكة مثل أبي جندل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصاروا يقطعون قوافل قريش حتى طلبت قريش أن يقبلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عنده في المدينة وتنازلوا عن شرطهم، والقصة في البخاري (١٩٣/٣ رقم ٢٧٣١).

والأنصار، فما الظن بالمهاجرين والأنصار أنفسهم، حتى بعد وفاتهم  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين؟!

- تكرار وصف المهاجرين والأنصار بأوصاف الإيمان، وذكر بذلهم  
 الغالي والنفيس تأكيداً على استحقاقهم لهذه الأوصاف والثناء.

- وُصِفُ المهاجرين والأنصار بالإيمان وصفاً بليغاً يفيد الحصر؛  
 لتوسط ضمير الفصل (هم) بين اسم الإشارة ووصف الإيمان ﴿أُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، وإن كان غيرهم من المؤمنين ممن جاؤوا من بعدهم وساروا  
 على نهجهم يشتركون معهم في وصف الإيمان، إلا أن وصفهم بذلك فيه  
 تشريف، كما لو لم يكن على الإيمان إلا هم، وذلك وصف بليغ في حقهم.  
 - تأكيد إيمانهم بـ(حقاً)، وذلك لعمرى الشرف الأسمى والمكان  
 الأعلى الذي شرفهم الله عزَّ وجلَّ به.

- وَعَدَهُم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مغفرة سابغة تستوعب كل ذنب، وتطهر من  
 كل شوب، وفي ذلك أنهم ليسوا بمعصومين، وأن الله عزَّ وجلَّ ييسرهم لما  
 اصطفاهم له، وفي الحديث: «كُلُّ مُيسَّرٍ لما خُلِقَ له»<sup>(١)</sup>، ويشاركهم في تلك

(١) البخاري (٦/ ١٧١ رقم ٤٩٤٩)، مسلم (٤/ ٢٠٤٠ رقم ٢٦٤٧) عن  
 علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

المكرمة أهل البيت ممن كان مع النبي ﷺ مهاجرًا، كالعباس وبنيه، وجعفر بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب، والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكما أنه تشملهم المغفرة مثلهم مثل بقية المهاجرين والأنصار؛ كذلك يشملهم وصف عدم العصمة.

- وَعَدَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ المهاجرين والأنصار رزقًا كريمًا في جنات النعيم، وكيف يتأتى لأحد من الشيعة أو غيرهم القول بأن من شرفه الله سبحانه بذلك ووعدته بالجنات والنعيم المقيم؛ أنه يرتد، ويموت على غير الهدى، ويتخلف وعد الله تعالى، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

- ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ مكرمة ينالها من آمن من بعد الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهاجر وجاهد معهم، فتشمل الآية السابقين من الصحابة واللاحقين منهم، ومن آمن وجاهد على ما جاهد عليه النبي ﷺ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فله من تلك المكرمة نصيب.



٢٨- نزول السكينة في قلوب  
الصحابه المؤمنه رضي الله عنهم

الآيتان ٤-٥ من سورة الفتح

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ۖ أي: جَعَلَ الطَّمَأْنِينَةَ ۖ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وهم الصحابة يوم الحديبية، الذين استجابوا لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وانقادوا لحكم الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا اطمأنت قلوبهم لذلك، واستقرَّت؛ زادهم إيمانًا مع إيمانهم، وقد استدلَّ بها البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في

القلوب.

ثم ذَكَرَ تعالى أنه لو شاء لانتصر من الكافرين، فقال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ولو أرسل عليهم مَلَكًا واحدًا لَأَبَادَ خَضِرَاءَهُمْ، ولكنه تعالى شَرَعَ لعباده المؤمنين الجهاد والقتال، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ<sup>(١)</sup> والحجة القاطعة والبراهين الدامغة؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين فيها أبدًا، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: خطاياهم وذنوبهم، فلا يعاقبهم عليها، بل يعفو ويصفح ويغفر، ويستر ويرحم ويشكر، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، كقوله: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنْ الْفَكْرِ أَدْخِلْ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] <sup>(٢)</sup>.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومفهوم المخالفة في قوله: ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أن قلوب غير المؤمنين ليست كذلك، وهو كذلك؛ ولذا كان جزاؤهم مخالفًا لجزاء المؤمنين، كما صرح تعالى بذلك في قوله: ﴿وَيُعَذِّبُكَ

(١) وقد أنزل الله آيات في بيان بعض الحكم منها ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

(٢) تفسير ابن كثير (٣٢٨-٣٢٩) مختصرًا.

الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوَاءُ ﴿الفتح: ٦﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "فكان في ذكر عناية الله تعالى بإصلاح نفوسهم، وإذهاب خواطر الشيطان عنهم، وإلهامهم إلى الحق في ثبات عزمهم، وقرارة إيمانهم، تكوين لأسباب نصر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** والفتح الموعود به، ليندفعوا حين يستنفرهم إلى العدو بقلوب ثابتة، ألا ترى أن المؤمنين تبلبلت نفوسهم من صلح الحديبية إذا انصرفوا عقبه عن دخول مكة بعد أن جاؤوا للعمرة بعدد عديد حسبوه لا يغلب، وأنهم إن أرادهم العدو بسوء أو صدهم عن قصدهم قابلوه فانتصروا عليه، وأنهم يدخلون مكة قسراً.

وقد تكلموا في تسمية ما حل بهم يومئذ فتحاً كما علمت مما تقدم، فلما بَيَّنَّ لهم الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ما فيه من الخير اطمأنت نفوسهم بعد الاضطراب، ورسخ يقينهم بعد خواطر الشك، فلولا ذلك الاطمئنان والرسوخ لبقوا كاسفي البال شديدي البلبال<sup>(٢)</sup>، فذلك الاطمئنان هو الذي سماه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بالسكينة، وسمي إحداثة في نفوسهم إنزالاً للسكينة في قلوبهم فكان النصر مشتملاً على أشياء من أهمها إنزال السكينة<sup>(٣)</sup>.

(١) أضواء البيان (٧/ ٣٩٤).

(٢) البلبال: وسواس الهموم في الصدر. مقاييس اللغة (١/ ١٩٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٤٩).



### أوجه الثناء:

- وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إياهم بالإيمان في الآيتين كليهما ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.
- إنزال الله تعالى السكينة في قلوبهم، بعد أن أصابهم غبن وقهر شديد من تحرير الصلح وحضور أبي جندل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرسف بالحديد، لما في قلوبهم من حمية دينية عظيمة.
- زيادة إيمانهم بامثالهم أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالتحلل من العمرة (١).
- إكرام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إياهم بأن شهدوا الفتح العظيم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحصولهم على بركات الفتح المبين، صلح الحديبية.
- أن الله تعالى ذكر أن عاقبة الصحابة الجنة، وامتن تعالى عليهم بتكفير الذنوب، والخلود في الجنة، والفوز العظيم، قال تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.
- اختيارهم لإظهار دينه ورفع كلمته؛ وإلا فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له جنود

(١) كما في البخاري (٣/ ١٩٣ رقم ٢٧٣١).

السموات والأرض، ولو أرسل على الكفار ملكًا واحدًا لأبّاد خُصَرَاءَهُمْ، ولكنه تعالى شَرَعَ لعباده المؤمنين الجهاد والقتال، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْحِجَةِ الْقَاطِعَةِ، والبراهين الدامغة، كما تقدم من قول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

- تفضيلهم بالإيمان على من سواهم، كما تقدم في كلام الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

- كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة رجل -على أرجح الأقوال-، وفيهم نزل الفضل العظيم، واستحقوا الفوز المبين الذي لم يشاركهم فيه أحد، وليسوا شخصاً واحداً أو اثنين أو ثلاثة كما يدّعي الرافضة؛ لينفوا الإيمان وفضل الرحمن عن أوليائه الصحابة الأخيار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

- تكرر الخبر عن إنزال السكينة على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مواضع عدة من القرآن.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا

فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

فهل تنزل سكينه الله تعالى على قلوب ليست صالحة لها؟!



٢٩- الإيمان هو إيمان الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإمامهم سيد المرسلين

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

### الآية ١٣٧ من سورة البقرة

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أُهْتَدُوا وَإِنْ نُؤَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ  
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣٧)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ أي: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ أيها المؤمنون - النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وهم المخاطبون بالآية -، من الإيمان بجميع كتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدْ أُهْتَدُوا﴾ أي: فقد أصابوا الحق، وأرشدوا إليه ﴿وَإِنْ نُؤَلُّوا﴾ أي: عن الحق إلى الباطل، بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: فسينصرك

عليهم ويظفرك بهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "أي إيماناً مماثلاً لإيمانكم، فالمماثلة بمعنى المساواة في العقيدة والمشابهة فيها"<sup>(٢)</sup>.

### أوجه الثناء:

- جعل المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الإيمان هو إيمان الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وإمامهم سيد المرسلين **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

- جعل المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الهداية مرتبطة باتّباعهم، وكما قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في وصف الفرقة الناجية: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»<sup>(٣)</sup>، وقد ورد التأكيد على اتباع الصحابة خير البشر بعد الرسل في أكثر من موطن، ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَفْزَحْنَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

- هم أعلام الدين ونبراس الهداية، بهم عُرِفَ الدين وانتشر بين الناس، وما كانوا عليه هو المعيار في معرفة الحق، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٠).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٧٤١).

(٣) الترمذي (٤/ ٣٢٣ رقم ٢٦٤١).

- المخالفون لمنهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في شقاق واختلاف وتناقض  
 ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ ، وذلك لتعدد مسالكهم واضطرابها، وأما الصحابة  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد كان مسلكهم واحداً ومنهجهم واضحاً وهو: التسليم  
 والانقياد لله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدم منازعة الوحي بالآراء  
 والأهواء والعقول، فلما حققوا تمام الانقياد تحقق لهم صحة الإيمان  
 واكتمل لهم الهدى وصاروا قدوة لمن بعدهم، فمن سلك غير هذا المنهج  
 فإنما هو في شقاق.



٣٠- شهادة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالْإِيمَانِ

قَبْلَ الْعِتَابِ وَالتَّوْجِيهِ

### الآيات ١ - ٣ من سورة الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ  
(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ،  
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)  
إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ  
لِلنَّفْيِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)﴾

سورة الحجرات أو سورة الآداب الصغرى، نزلت عام الوفود، فهي من  
أواخر ما نزل، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: " هذه آداب أدب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها  
عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من التوقير  
والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

وَرَسُولُهُ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ أَي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور..

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَي: فيما أمركم به، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أَي: لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.

وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ هذا أدب ثان أدب الله به المؤمنين ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا، أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رفعاً أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر -قال نافع: لا أحفظ اسمه- فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. قال: ما أردت خلافاً. فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الآية، قال ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه: يعني أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انفرد به (البخاري) دون مسلم.



وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ. فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ فِي بَيْتِهِ مِنْكَسَا رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَأَتَى الرَّجُلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ مُوسَى: فَرَجِعْ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبَشَارَةٍ عَظِيمَةٍ فَقَالَ: "اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة" تفرد به البخاري من هذا الوجه.

ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، كما قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾.

وقوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عمل من أغضبه وهو لا يدري.

ثم نَدَبَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى خَفْضِ الصَّوْتِ عِنْدَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ، وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، فَقَالَ: ﴿إِنْ

الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴿١﴾ أَي: أَخْلَصَهَا لَهَا وَجَعَلَهَا أَهْلًا وَمَحَلًّا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال أبو السعود **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "ترغيب في الانتهاء عما نُهوا عنه بعد الترهيب عن الإخلال به، أي: يخفضونها مراعاة للأدب أو خشية من مخالفة النهي ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لتفخيم شأنه، وهو مبتدأ خبره ﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي: جَرَّبَهَا للتقوى ومرتَّبَهَا عليها، أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها، فإن الامتحان سبب المعرفة، واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصل، أو ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى، فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار عليها، أو أخلصها للتقوى، من: امْتَحَنَ الذهب إذا أذابه وميز إبريزه<sup>(٢)</sup> من خبثه، وعن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: [أذهب عنها الشهوات].

﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ عظيمة لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لا يقادر قدره<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٤-٣٦٨).

(٢) ذهب إبريز: خالص. لسان العرب (٥/ ٣١١).

(٣) تفسير أبي السعود (٨/ ١١٧).



### أوجه الثناء:

- مخاطبة الله تعالى للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ باسم الإيمان ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾.

- أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لم يحبط أعمالهم، وأن أعمالهم كانت مقبولة قبل نزول الآية، وليس في الآيات أن أعمالهم حبطت، وإنما التحذير من الوقوع فيما يحبط العمل، كما تقدمت الإشارة في كلام ابن كثير.

- ذكر الله تعالى جمهور الصحابة وأثنى عليهم جَلَّ وَعَلَا، وأنه هياً قلوبهم للتقوى، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وهذا ثناء صريح وفضل مبین لجمع من الصحابة الكرام، وهكذا جمهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أصحاب الخلق الرفيع مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ ويدل لذلك ما قاله الله تعالى في الآية بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، فقد أنكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الأعراب غلظتهم ورفع أصواتهم في ندائهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولو كان هذا شأن جمهور الصحابة؛ لما كان للإنكار على الأعراب كبير فائدة لاعتبار أن الخلق السائد عند الصحابة هو الغلظة

والفضاضة، ولكن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** كانوا أصحاب خلق رفيع وأدب كريم مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، واحترام لجنابه ومقامه الشريف **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وكان من الأعراب من لم يتأدب بآدابهم، وتعامل مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما ينادي بعضهم بعضاً في البداية؛ لذلك أنكر الله **عَزَّوَجَلَّ** عليهم فعلهم.

- الثناء على ثابت بن قيس بن شماس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وأنه من أهل الجنة، كما في حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري: «أذهب إليه؛ فقلْ له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»<sup>(١)</sup>.

- امثال الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أمر الله تعالى بالتأدب في حضرة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ ففي البخاري: قال ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير: «فكان عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بعد إذا حدث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بحديث حدثه كأخي السّرار»<sup>(٢)</sup> لم يُسمِعْهُ حتى يستفهمه»<sup>(٣)</sup>. وقال أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾؛ قلت: يا

(١) البخاري (١٣٧/٦) رقم (٤٨٤٦).

(٢) أي: كصاحب السر الذي يخفض صوته حتى لا يسمعه أحد. النهاية في غريب الحديث (٣٦٠/٢).

(٣) البخاري (٩٧/٩) رقم (٧٣٠٢).

رسول الله! والله لا أكلمك إلا كأخي السرار<sup>(١)</sup>، وبذلك كان الصحابة جديرين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ فكانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتحرون مواطن المغفرة والأجر العظيم؛ يقيناً بما عند الله تعالى.

- إجلالهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لجناب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد مماته، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع صوت رجلين في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد ارتفعت أصواتهما، فجاء، فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالوا من أهل الطائف. فقال: لو كتما من أهل المدينة؛ لأوجعتكما ضرباً [رواه البخاري]."

وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته؛ لأنه محترم حياً وفي قبره، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليه دائماً<sup>(٢)</sup>.

- خفض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لأصواتهم عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

(١) المستدرک (٢/ ٥٠١ رقم ٣٧٢٠) وقد جاء من عدة طرق، قال ابن كثير: "حصين بن عمر هذا - وإن كان ضعيفاً - لكن قد روينا من حديث عبد الرحمن بن عوف، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحو ذلك، والله أعلم". تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٦).  
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٨).

إنما هو مظهر من مظاهر التعظيم والخضوع والانقياد لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فمن لا يجروا على رفع صوته بحضرة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كيف سيجروا على تقديم رأيه على أمر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**؟! ولهذا كان الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أولى الناس بامثال الأمر الرباني في أول السورة: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فلم يعرف من سيرتهم ولا من منهجهم التقدم على الله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، بل كان منهجهم الاتباع والاقتداء وشعارهم (سمعنا وأطعنا).



٣١- شهادة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

بالإيمان لأهل بدر

### الآيات ٥-٦ من سورة الأنفال

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ

﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ

يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال الطبري: اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه (الكاف) في قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، فقال بعضهم: شُبِّهَ به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."

وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ على كره من فريق من المؤمنين، كذلك هم كارهون للقتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما

تبين لهم.

﴿يُجِدُّ لُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [لما شاور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في لقاء العدو، وقال له سعد بن عباد ما قال، وذلك يوم بدر، أمر الناس أن يتهيؤوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، فكره ذلك بعض أهل الإيمان، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ الآيةان]. قال مجاهد: ﴿يُجِدُّ لُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾: في القتال <sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا الحال كحال ما أخرجك ربك من بيتك بالحق، ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو خير لهم في الواقع" <sup>(٢)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كلا الفريقين من الصحابة الذين شهدوا بدرًا بالإيمان: الذين كرهوا ملاقات العدو، والذين لم يكرهوا ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾، فجعل المؤمنين فريقين: كاره وغير كاره.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٤-١٦) مختصراً.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦٣).



## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

- وَصَفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الكارهين للقتال من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالإيمان، رغم كُرهِهم للخروج، ومجادلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك لثنيه عن عزمه، وتُصَوِّرُهُم الآية بتصوير بليغ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ .. وكل هذا لم يؤثر على وصفهم بالإيمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

- الآية مصداق لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اطلع الله عزَّجَلَّ على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(١)</sup>، فمع مجادلتهم وكراهِيتهم للقتال لم ينقص هذا من فضلهم ومكانتهم، وهذا يدل على فضل أهل بدر، وأن الصحابة متفاوتون في الفضل، وأنهم غير معصومين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.



---

(١) البخاري (٥/ ٧٧ رقم ٣٩٨٣)، ومسلم (٤/ ١٩٤١ رقم ٢٤٩٤) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## ٣٢ - كثرة المؤمنين في المدينة وقوتهم وضعف المنافقين وقتلتهم

### الآيتان ١٤-١٥ من سورة البقرة

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "يقول تعالى: وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: أظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة، غرورًا منهم للمؤمنين ونفاقًا ومُصانعةً وتقيةً، وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم، ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ يعني: وإذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا ﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: [من يهود الذين يأمرونهم بالكذب وخلاف ما جاء به الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم.

وقوله تعالى جواباً لهم ومقابلة على صنيعهم: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أخبر الله تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ الآية [الحديد: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يزيدهم على وجه الإمهال والترك لهم في عتوهم وتمردهم.

قوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في ضلالهم وكفرهم الذي غمرهم دَسُّه، وعَلاهم رجسَه، يترددون حيارى ضلَّالًا، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى عليك أيها القاريء أن بعض الناس يحسب اللؤم قوة، والمكر السيئ براعة، والكذب والخداع سياسة، وهو في حقيقته ضعف وخسَّة، فالقوي ليس لئيمًا ولا خبيثًا، ولا مخادعًا ولا متآمراً، ولا غمازًا في الخفاء لمازًا. وهؤلاء المنافقون الذين كانوا يجبنون عن المواجهة، ويتظاهرون

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٣-١٨٥) مختصراً.

بالإيمان عند لقاء المؤمنين ليتَّقُوا الأذى، وليتخذوا هذا الستار وسيلة للكسب وأذى المؤمنين، هؤلاء كانوا يلجأون إلى شياطينهم من اليهود الذين كانوا يجدون في هؤلاء المنافقين أداة لتمزيق الصف الإسلامي وتفتيته وكانوا يجدون في اليهود سندًا وملاذًا، والتاريخ يشهد أن اليهود شنوا الحروب وتآمروا على الإسلام والنبي ﷺ منذ بعثته وإلى اليوم.

#### أوجه الشناء:

- إثبات الإيمان لجمهور أهل المدينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن الإيمان هو الصفة الغالبة لمجتمع النبي ﷺ حتى اضطر المنافقون لادّعاء الإيمان؛ ليُجَارُوا الكثرة الكاثرة والأغلبية القوية في مجتمع الإيمان، وفيه دلالة ظاهرة على ضعف المنافقين وقلة عددهم.
- وَصَف أولياء المنافقين بأنهم شياطين، وهذا يتضمن الشناء على الصحابة وأهل الإيمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأنهم ليسوا من أولياء شياطين الإنس والجن.
- دفاع الله تعالى عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأن قال في حق المستهزئين بالصحابة: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

٣٣- بيان المولى سبحانه وتعالى  
حال المنافقين للصحابه رضي الله عنهم

الآيات ١٠١-١٠٣ من سورة التوبة

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى  
النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ  
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى  
اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ  
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

قال ابن كثير رحمه الله: "يُخْبِرُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فِي أَحْيَاءِ  
العرب مِمَّنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مُنْفِقُونَ ﴿١٠١﴾، وَفِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَيْضًا مُنَافِقُونَ،  
﴿مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ﴾ أَي: مَرُّنُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: شَيْطَانٌ مَرِيدٌ  
وَمَارِدٌ، وَيُقَالُ: تَمَرَّدَ فُلَانٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، أَي: عَتَا وَتَجَبَّرَ.

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]؛ لأن هذا من باب التَّوَسُّمِ فيهم بصفات يُعرفون بها، لا أنه يَعْرِفُ جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين.

وقد كان يعلم أن في بعض من يُخالطه من أهل المدينة نفاقاً، وإن كان يراه صباحاً ومساءً.

قوله: ﴿سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن جرير: عذاب الدنيا، وعذاب القبر، ثم يُرَدُّونَ إلى عذاب النار.

ولَمَّا بَيَّنَّ تعالى حال المنافقين الْمُتَخَلِّفِينَ عن الغَزَاةِ رغبةً عنها وتكذيباً وشكاً؛ شَرَعَ في بيان حال المذنبين الذين تأخَّروا عن الجهاد كسلاً وميلاً إلى الراحة، مع إيمانهم وتصديقهم بالحق، فقال: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أقرُّوا بها واعترفوا فيما بينهم وبين رَبِّهِمْ، ولهم أعمال أخر صالحة، خلطوا هذه بتلك، فهو لاء تحت عفو الله **جَلَّ جَلَالُهُ** وغفرانه. وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين الخاطئين المخلطين المتلوِّثين.

ثم أَمَرَ الله تعالى رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** بأن يأخذَ ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾

يطهرهم ويزكيهم بها، وهذا عامٌّ، وإن أعاد بعضهم الضمير في ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصاً بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا احتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ الآية.

وقد ردَّ عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد الصديق أبو بكر وسائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقَاتَلُوهم حتى أدَّوا الزكاة إلى الخليفة، كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حتى قال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [والله لو منعوني عقلاً - وفي رواية: عناقاً - كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأقاتلنهم على منعه] [متفق عليه].

وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادعُ لهم واستغفر لهم، عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا أُتِيَ بصدقة قوم صَلَّى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صلِّ على آل أبي أوفى» [متفق عليه].

وقوله: ﴿سَكَنُ لَهُمْ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [رحمةٌ لهم].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي: لدعائك، ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهلُّ له <sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٤ - ٢٠٧) مختصراً.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠٢) قال الفخر الرازي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "روي أنهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة مروان بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعه بن حزام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وقيل: كانوا عشرة. فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك، وأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت هذه عادته، فلما قدم من سفره وآهم موثقين، سأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يَحُلُّوا أنفسهم حتى يكون رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** هو الذي يَحُلُّهم، فقال: وأنا أقسم أني لا أَحُلُّهم حتى أومر فيهم، فنزلت هذه الآية فأطلقهم وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله! هذه أموالنا وإنما تخلفنا عنك بسببها، فتصدق بها وطهرنا، فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً فنزل قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ الآية" (١).

#### أوجه الثناء:

- ذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن بعض الأعراب حول المدينة منافقون؛ لبُعْدِهِم عن مشاعل العلم والهدى في المدينة، فيلزم من ذلك أن يكون المنافقون في

(١) تفسير الرازي (١٦/ ١٣٢).



معقل العلم ودار الهجرة أقل، بل أندر من النادر.

- أن الله تعالى غاير بين السابقين الأولين وذَكَرِ رضاه عنهم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ثم ذكر أصناف المنافقين من الأعراب ومن أهل المدينة في هذه الآيات ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِثْقَابِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾، وفي هذا براءة للسابقين الأولين من النفاق.

- أمر الله تعالى نبيه ﷺ بتركية أصحابه وتطهيرهم، وهذا فيه فضل ظاهر لهم بأن جعل الله عزَّجَلَّ محمداً ﷺ مريباً ومزكياً ومطهراً لهم، وقد قام ﷺ بهذه المهمة خير قيام، ومن طعن في الصحابة الكرام فإنه - شاء أم أبى - يشكك في قيام النبي ﷺ بهذه المهمة العظيمة.

- الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، يقع منهم الخطأ وهم غير معصومين، لكن لهم سابقة وصحبة وطاعات.



## ٣٤- بيان المولى سبحانه وتعالى للصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دَسَائِسُ الْمُنَافِقِينَ

وَتَأْمُرُهُمُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ

## الآيات ١٢-٢٠ من سورة الأحزاب

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَإِلَهِهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونِ الْآذِينَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝١٥ قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَافِرُ سَلَفُوكُمْ  
بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ  
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ  
يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ  
كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

عندما اجتمع المشركون لغزو المدينة، وتحزبت الأحزاب لاستئصال  
الإسلام، ووقفوا بحشودهم على أبواب المدينة اضطربت قلوب المنافقين  
وظهر ما كانوا يخفونه، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فحينئذ ظهر النفاق، وتكلم  
الذين في قلوبهم مرض بما في نفوسهم ﴿١٩﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٠﴾ أما المنافق فنَجَمَ نفاقه، والذي في قلبه شبهة  
أو حسكة<sup>(١)</sup>، لضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه؛ لضعف  
إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال، وقوم آخرون قالوا كما قال الله  
تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ﴿٢٠﴾ يعني: المدينة.

وقوله: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ أي: هاهنا، يعنون عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في  
مقام المراقبة، ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إلى بيوتكم ومنازلكم.

(١) حَسَكَة: أي: ضغن وعداوة. لسان العرب (١٠/٤١١).

﴿وَيَسْتَشِذُّنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**:  
 [هم بنو حارثة قالوا: بيوتنا نخاف عليها السَّرَق]. وذكر ابن إسحاق أن  
 القائل لذلك: هو أوس بن قَيْظِي، يعني: اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها  
 عَوْرَةٌ، أي: ليس دونها ما يحجبها عن العدو، فهم يخشون عليها منهم.  
 قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: ليست كما يزعمون ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾  
 أي: هَرَبًا من الزحف.

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا  
 فِرَارًا﴾ أنهم لو دَخَلَ عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة، وقُطِرَ  
 من أقطارها، ثم سُئِلُوا الفتنَةَ، وهي الدخول في الكفر، لكفروا سريعًا، وهم لا  
 يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع. وهذا ذمُّ  
 لهم في غاية الذم.

قال تعالى يُذَكِّرْهُمْ بما كانوا عاهدوا الله **عَزَّجَلَّ** من قبل هذا الخوف، ألا  
 يُؤْلُوا الأدبار ولا يفروا من الزحف، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ أي: وإن الله  
 تعالى سيسألهم عن ذلك العهد، لا بد من ذلك.

ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخّر آجالهم، ولا يطوّل أعمارهم، بل  
 ربما كان ذلك سببًا في تعجيل أخذهم غِرَّةً <sup>(١)</sup>؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْنَ إِلَّا

(١) الغرة: غفلة في اليقظة. المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٠٣).

فَلْيَلَا ﴿٧٧﴾ أي: بعد هَرَبِكُمْ وفراركم، ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧].

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: يمنعكم، ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: ليس لهم ولا غيرهم من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُجِيرٌ وَلَا مُغِيثٌ.

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين غيرهم عن شهود الحرب ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: أصحابهم وعُشْرَائِهِمْ وخلطائهم ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي: إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

قوله: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء بالموددة، والشفقة عليكم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾ أي: فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادَّعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ [أي: استقبلوكم]. وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأه مقاسمة:

أعطونا، أعطونا، قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق. وهم مع ذلك ﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾، أي: ليس فيهم خير، قد جمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُولُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً هيناً عنده.

هذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ بل هم قريب منهم، وإن لهم عودة إليهم.

﴿وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ أي: ويودّون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة، بل في البادية يسألون عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم.

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: ولو كانوا بين أظهركم، لما قاتلوا معكم إلا قليلاً؛ لكثرة جبنهم وذلّتهم وضعف يقينهم<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الثناء:

- ظهور الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق في غزوة الأحزاب..

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣٨٨-٣٩١).

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الأحزاب: ١١]، ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾، ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾، ﴿ وَيَسْتَفْزِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾... ووجه الدلالة في ذلك: أن وصف الإيمان لجمهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يدحض مزاعم الرافضة بأن الصحابة منافقون، والمؤمنون في الآيات - وهذا ما يعتقد أهل السنة - هم أهل المدينة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والعشرة، وأصحاب الشجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كل هؤلاء من أهل الإيمان الذين امتدح الله عَزَّجَلَّ ثباتهم، وزادهم إيماناً، وليسوا من صنف المنافقين، وحاشاهم من ذلك.

- ذكرت الآيات عدداً من أوصاف المنافقين في هذه الغزوة، ومنها:

- ١- في قلوبهم مرض.
- ٢- يشكون في وعد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.
- ٣- يبحثون عن العذر للفرار.
- ٤- مسارعون إلى الفتنة والكفر.
- ٥- ناكثون لعهد الله عَزَّجَلَّ غير موفين به.
- ٦- مشبطون عن الجهاد.
- ٧- جنباء وأهل خوف.

٨- أَلَسْتَهُمْ سَلِيطةً عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ.

٩- متواطئون مع الأعداء.

وسياق الآيات ظاهر في أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا على النقيض من هذه الأوصاف، فكل وصف قبيح للمنافقين يدل على ثبوت نقيضه الحسن للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

#### بين الصحابة والمنافقين:

من أعظم الأدلة على إيمان الصحابة وصدقهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن الله تعالى قد ميّز في القرآن بين طائفتين: المؤمنين والمنافقين.

أما المؤمنون فهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد جاء خطابهم في القرآن بوصف الإيمان في مواضع كثيرة جداً، ومنها:

- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذْتُوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: ٧٦].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة: ١٠٤].



- ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾  
[الأنفال: ١٢].

- ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾  
[النور: ١٢].

- ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾  
[الأحزاب: ٩].

- ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾  
[المجادلة: ١٢].  
والآيات في هذا كثيرة جداً.

وأما المنافقون فهم فئة قليلة دائماً ما يكونون مصدر فتن وقلاقل وبلبله في أوساط المسلمين، وتأمل في سورة التوبة، تجد فيها صورة المنافقين واضحة كفئة بسيطة وشرذمة قليلة تحاول أن تتعامل مع فئة الصحابة الكبيرة الغالبة، وتتآمر عليها بالخفاء، فإذا انكشفت المؤامرة تأتي لتقدم لها الأعذار.  
ومن الآيات التي تجلي صفات وأعمال هذه الفئة في سورة التوبة:

- ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧).

- ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (٥٦).

- ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢).

- ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِبْرَاهِيمَ مَخْرُجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥).

- ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ هُمَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾.

- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾.

- ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾.

- ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾.

ولا يمكن لعافل يقرأ هذه الآيات بتدبر وتمعن أن يفهم أو يتصور أن المنافقين كانوا يمثلون نسبة كبيرة وجماعة لها ثقلها في المدينة، فضلاً عن أن يتصور أنهم كانوا أصحاب كلمة نافذة وسيادة، أو أنهم كانت لهم الكلمة المسموعة في المجتمع الذي يقوده رسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**!! بل المفهوم

من الآيات بوضوح أن مجتمع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان مجتمعاً مؤمناً صادقاً، لا يقبل بالنفاق ولا بأهله، ويعتبره جرماً ومنكراً عظيماً، وكان التمايز بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والمنافقين ظاهراً.

ولكي يتضح الفرق بين الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والشرذمة المنافقة أسوق لك أيها القارئ:

الآيات التي فيها إشارة إلى المقارنة بين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين، ومن هذه المقارنات:

- ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٤٩] ﴿[الأنفال: ٤٩].

فالمنافقون هنا يسخرون من المؤمنين الذين ثبتوا يوم بدر والمؤمنون توكلوا على الله عَزَّوَجَلَّ.

- ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [١٢] ﴿[الأحزاب: ١٢].

وفي المقابل يأتي موقف المؤمنين الصادق: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [٢٢] ﴿[الأحزاب: ٢٢].

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٤) [الأحزاب: ٢٤].

فذكر الله تعالى أنه نصر عباده المؤمنين ليكون هذا النصر جزاء خير للمؤمنين وسبباً لعذاب المنافقين.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُرِ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٦) [الفتح: ٦].

وفي المقابل كانت سكينه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ورحمته تنزل على المؤمنين: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٤) لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٥) [الفتح: ٤-٥].

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٧) يَقُولُونَ لِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) [المنافقون: ٧-٨].

والفرق بين المؤمنين والمنافقين في هذه الآيات لا يحتاج إلى بيان، فالمنافقون يتآمرون على المؤمنين ويكيدونهم، والله **عَزَّ وَجَلَّ** يدافع عن

أوليائه، ويُلاحَظ في الآيات أنها تشير إشارة واضحة إلى أن أصحاب الكلمة والغلبة والعزة في المدينة هم المؤمنون وليس المنافقين، وهذا يدلُّ على أنهم مجرد شردمة ذليلة في وسط المجتمع المؤمن بقيادة سيد الخلق  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِكَنَّ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ ﴿ ١٢ ﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ ١٣ ﴾ لَا يُقْلِنُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ ١٤ ﴾ [الحشر: ١١-١٤].

وهذه الآيات أيضاً واضحة في بيان تأمر المنافقين على المؤمنين، وأنهم لا يقاتلون في صف المؤمنين وإنما يقفون مع الأعداء، وفيها إشارة إلى أن الجيوش التي خرجت للجهاد في سبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالآلاف في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن منهم من المنافقين إلا النادر الذي لا يذكر.

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبَعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي

قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٧-١٦٨].

فالذين قاتلوا يوم أحد هم المؤمنون فقط، حتى الذين فروا يوم أحد هم من المؤمنين، وأما المنافقون فقد قعدوا ولم يشاركوا في القتال بنص الآية، وهذا فرقان واضح بين أهل الإيمان وأهل النفاق.

### ظهور حركة النفاق:

النفاق بمعنى إظهار الإسلام وإبطان الكفر لم يظهر إلا في المدينة حين صار للمسلمين شوكة وقوة، قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق، بل كان خلافه، من الناس من كان يظهر الكفر مستكراً، وهو في الباطن مؤمن، فلمّا هاجر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام، على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل كبرى: بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة حلفاء الأوس، فلما قدم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** المدينة، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقَلَّ من أسلم من اليهود إلا

عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً؛ لأنه لم يكن للمسلمين بُعدُ شوكةٍ تخاف، بل قد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة.

فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله عزَّجَلَّ كلمته، وأعلى الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي ابن سلول وكان رأساً في المدينة، وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يُمْلِكُوهُ عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا، واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثمَّ وُجِدَ النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد، لأنه لم يكن أحد يهاجر مُكْرَهًا، بل يهاجر ويترك ماله، وولده، وأرضه رغبة فيما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الدار الآخرة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن هشام: "قال ابن إسحاق: وقَدِمَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المدينة وسيِّدُ أهلها عبد الله بن أبي ابن سلول العوفي ثم أحد بني الحبلى، لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا

(١) تفسير ابن كثير (١/١٧٦-١٧٧).

بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام، ومع عبد الله بن أبي رجل هو في قومه (الأوس) شريف مطاع، أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، أحد بني ضبيعة بن زيد، وهو أبو الصحابي الجليل حنظلة، الغسيل يوم أحد، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، وكان يقال له: الراهب. فشقياً بشرفهما وضرهما.

فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز يتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهم على ذلك. فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن<sup>(١)</sup>، ورأى أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد استلبه ملكاً، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق وضغن<sup>(٢)</sup>.

ويروي البخاري قصة بداية النفاق في المدينة عن أسامة بن زيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ركب على حمار على قطيفة فذكية<sup>(٣)</sup>، وأردف أسامة بن زيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** وراءه يعود سعد بن عباد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في بني

(١) أي: حقد. المصباح المنير (٢/٣٦٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/١٦٦) بتصرف.

(٣) أي: كساء غليظ منسوب إلى فذك - بفتح الفاء والذال - على مرحلتين أو ثلاثة من المدينة. التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٢/١٧٦).



الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يُسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة<sup>(١)</sup>، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا.

فسلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء! إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً؛ فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بلى يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاغشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا سعد! ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا»، قال سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله! اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(١) العجاجة: الغبار. أي: ما أثارته الدابة من الغبار. لسان العرب (٢/٣١٩).

بالحق الذي أنزل عليك، لقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصاة، فلما أبى الله **عَزَّوَجَلَّ** ذلك بالحق الذي أعطاك الله **عَزَّوَجَلَّ** شَرِق<sup>(١)</sup> بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب، كما أمرهم الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويصبرون على الأذى، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَسَّمْعُكُم مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] الآية، وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] إلى آخر الآية، وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتأول العفو ما أمره الله **عَزَّوَجَلَّ** به، حتى أذن الله **عَزَّوَجَلَّ** فيهم، فلما غزا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بدرًا، فقتل الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبد الأوثان: هذا أمر قد توجَّه، فبايعوا الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على الإسلام فأسلموا<sup>(٢)</sup>.

(١) الشَّرِق: دخول الماء الحلق حتى يغص به، يقال: شَرِقَ فلان بريقه، وكذلك: غَصَّ بريقه، ويقال: أخذته شرقة فكاد يموت. لسان العرب (١٠/ ١٧٧).

(٢) البخاري (٦/ ٣٩ رقم ٤٥٦٦).

وقد كان المنافقون في زمن النبي ﷺ معلومون إما بأعيانهم وإما بأوصافهم، وكانوا يتميزون عن الصحابة، ومما يدل على هذا:

١ - حديث زيد بن وهب، قال: كنا عند حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: [ما بقي من أصحاب هذه الآية - يعني قول الله تعالى: ﴿فَقَتَلُوا أُيْمَةً الْكُفْرَ﴾] [التوبة: ١٢] - إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد ﷺ، تخبرونا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا<sup>(١)</sup>؟ قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير، لو شرب الماء البارد لما وجد برده<sup>(٢)</sup>.

٢ - قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتحدث عن صلاة الجماعة: [ولقد رأيتنا، وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق]<sup>(٣)</sup>.

٣ - قول كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يحكي قصة تخلفه عن غزوة تبوك: «فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه

(١) يبقرون: أي: يفتحون، والأعلاق: المال النفيس، وكل شيء له قدر. التوضيح

لشرح الجامع الصحيح (٢٢/٤٠٩).

(٢) البخاري (٦/٦٥ رقم ٤٦٥٨).

(٣) مسلم (١/٤٥٣ رقم ٦٥٤).

النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله **عَزَّوَجَلَّ** من الضعفاء»<sup>(١)</sup>.

٤ - في قصة صلاة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في بيت عتبان بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: فقال قائل منهم: «أين مالك بن الدُّخَيْنِ أو ابن الدُّخَيْنِ؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله **عَزَّوَجَلَّ**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإننا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يدل على أن المنافقين كانوا معروفين عند الصحابة في زمن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأن عددهم لم يكن كبيراً، بل كانوا قلة، وقد جاء عن حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»<sup>(٣)</sup>.  
ومعنى «في أصحابي» الذين ينسبون إلى صحبتي، كما في الرواية الأخرى في الحديث: «في أمتي»<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري (٣/٦ رقم ٤٤١٨)، مسلم (٤/٢١٢٠ رقم ٢٧٦٩).

(٢) البخاري (١/٩٢ رقم ٤٢٥).

(٣) مسلم (٤/٢١٤٣ رقم ٢٧٧٩).

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٧/١٢٥).

وعجباً بعد هذا البيان الواضح والآيات التي لا تحتاج إلى تفسير وإنما يكفي التأمل والنظر فيها - عجباً بعد هذا كله لمن يظن أن الصحابة كانوا منافقين!! وكأنه لا يقرأ كتاب الله تعالى ولا يتأمل في آياته الواضحة كالشمس في رابعة النهار!! ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَلَلِهِ شَيْئاً﴾.

#### الخلاصة:

- الذين كانوا حول النبي ﷺ هم الصحابة المؤمنون بنص القرآن، وهم الكثرة الكاثرة، والثلة الغالبة التي قامت بنصرة الدين والإسلام وقاتلت وضحت في سبيله، وأما المنافقون فقد كانوا قلة وكانت شوكتهم منكسرة.

- المهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يكن فيهم منافق، وعلى هذا دلت النصوص وإجماع الأمة والعقل الصحيح، ولم يرد في الآيات التي نزلت بمكة أي ذكر للمنافقين.

- حركة النفاق ظهرت بعد تمكن المؤمنين من رقاب صناديد قريش وظهور النصر الساحق للنبي ﷺ ومن معه.

- كان المنافقون معروفين في زمن النبي ﷺ، بعضهم

بأعيانهم وبعضهم بأوصافهم، وفي الغالب أن حالهم لم يكن يلتبس على المؤمنين.

- كان موقف المؤمنين من المنافقين موقف الحذر والحيطه والشك والكراهة لهم، ولم يكونوا يثقون فيهم أو يمكنونهم من مفاصل الحياة، وكانت أعظم تهمة يمكن أن توجه للإنسان في هذا المجتمع هو اتهامه بالنفاق.

- أن المنافقين كانوا يتواصلون مع اليهود وكفار قريش سراً، يتآمرون معهم على النبي ﷺ وصحبه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.





ثالثاً: تأييد المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**  
للصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وبشاراته لهم



## تمهيد

لا يمكن لعاقل أن ينصر أعداءه ومناوئيه، أو أن يقدم لهم الدعم والمساندة ليصيروا أقوياء وتتحقق لهم الغلبة والتمكين، خاصة إذا كانوا على باطل وكان هو على الحق، ومن فعل هذا فهو في غاية السَّفَه والحماقة.. فهل يُظَن أن يصدر مثل هذا من الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؟!

الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أخبر أن نصره وتأييده لا يتنزل إلا على جنده وأوليائه، فقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧).

فما الذي يفهمه المسلم العارف بالله وسننه وشروط نصره وتأييده؟ ما الذي يفهمه عندما يجد أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يخبر أنه قد نصر قومًا، ويشني على نفسه بتأييده لهم، ويجعل هذا من كمالاته سبحانه، ويسخر ملائكته للحرب معهم، ويحذرهم من مؤامرات أعدائهم ويكشفها لهم، ويعيدهم بالمزيد من النصر والتمكين والتأييد، ويشرهم بالبشارات العظيمة والفتوحات والغنائم، ما الذي يمكن أن يفهم من هذا كله؟

لا يمكن لعاقل أن يتصور أن الرب الحكيم **جَلَّ وَعَلَا** سيفعل هذا كله لقوم



ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

يعلم أنهم سيرتدون في يوم من الأيام، ويكفرون برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،  
ويحاربون دينه، وينكّلون بأوليائه، ويحرّفون كتابه!!

٣٥- وعد المولى سبحانه وتعالى

للسحابة رضي الله عنهم بالنصر والتمكين

وبيان صفاتهم عند تحقيقه

### آيات ٣٩-٤١ من سورة الحج

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُوا بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَيَبِيعُ بَعْضُهُمْ أَسْمَاءَهُمْ بِالْبُرْءِ وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَاءُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

كان المسلمون في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار، ومأمورين بالصبر عليهم، لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة، وأوذوا، وحصل لهم

منعة وقوة، أذن لهم بالقتال.

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أما قوله: ﴿يَأْتِيهِمْ ظُلُمٌ﴾ فالمراد: أنهم أُذِنوا في القتال بسبب كونهم مظلومين، وهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديداً، وكانوا يأتون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بقتال، حتى هاجر فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية، وقيل: نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فأذن في مقاتلتهم .

أما قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ فذلك وعد منه تعالى بنصرهم كما يقول المرء لغيره: إن أطعنتي فأنا قادر على مجازاتك، لا يعني بذلك القدرة بل يريد أنه سيفعل ذلك .

أما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فاعلم أنه تعالى لما بين أنهم إنما أذنوا في القتال لأجل أنهم ظلموا بين ذلك الظلم بقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ﴿٤٠﴾ فبين تعالى ظلمهم لهم بهذين الوجهين: أحدهما: أنهم أخرجوهم من ديارهم، والثاني: أنهم أخرجوهم بسبب أنهم قالوا: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ﴿٤١﴾ وكل واحد من الوجهين عظيم في

الظلم.

وفي قوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ وعد بالنصر لمن هذه حاله، ونصر الله تعالى للعبد أن يقويه على أعدائه حتى يكون هو الظافر، ويكون قائماً بإيضاح الأدلة والبيانات، ويكون بالإعانة على المعارف والطاعات، وفيه ترغيب في الجهاد من حيث وعدهم النصر.

ثم إنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وصف الذين أذن لهم في القتال في الآية الأولى فقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ والمراد من هذا التمكن: السلطنة ونفاذ القول على الخلق.

إذا ثبت هذا فنقول: المراد بذلك هم المهاجرون **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** لأن قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ صفة لمن تقدم وهو قوله: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ والأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ما أخرجوا من ديارهم، فيصير معنى الآية: أن الله تعالى وصف المهاجرين بأنه إن مكنهم من الأرض وأعطاهم السلطنة، فإنهم أتوا بالأمور الأربعة، وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن قد ثبت أن الله تعالى مكن الأئمة الأربعة من الأرض وأعطاهم السلطنة عليها، فوجب كونهم آتين بهذه الأمور الأربعة. وإذا كانوا آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب أن يكونوا على الحق، فمن

هذا الوجه دلت هذه الآية على إمامة الأربعة<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: "﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه وأوليائه. هو إخبار من الله عزَّجَلَّ بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِنْ مَكْنَهُمْ - عزَّجَلَّ - في الأرض وبسط لهم في الدنيا، وكيف يقومون بأمر الدين. وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [هذا والله ثناء قبل بلاء]. يريد: أَنَّ الله عزَّجَلَّ قد أثنى عليهم قبل أَنْ يُحْدِثُوا من الخير ما أُحْدِثُوا.

وقالوا: فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين، لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يُعْطِ التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين، لا حظاً في ذلك للأنصار والطلقاء<sup>(٢)</sup>.

ولا يعني هذا أنه لا نصيب للأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الجهاد ونصرة الدين والقيام به، بل كان لهم في هذا أوفر الحظ والنصيب، فكانوا مع إخوانهم المهاجرين حملة هذا الدين ورايته، والمجاهدين في سبيل الحق ونصرته، فرضي الله عنهم أجمعين.

(١) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٢٨-٢٣١) مختصراً، والفخر الرازي من كبار منظري

المتكلمين الأشاعرة، فانظر إلى تقريره البديع في صحة خلافة الأربعة الراشدين.

(٢) الكشف (٣/ ١٦٠-١٦١) ولا يخفى أن صاحب الكشف من كبار المعتزلة فانظر

إلى تقريره البديع في صحة خلافة الأربعة الراشدين.

- الإذن للصحابة مهاجريهم وأنصارهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بالقتال، مع الإخبار عنهم بأنهم مظلومون، والوعد لهم بالنصر من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا واضح في أن قتالهم كان قتالَ حقٍّ ولم يكن قتالَ بغيٍّ أو ظلمٍ أو عدوانٍ، وهذه تركية عظيمة من الله تعالى تدفع تشكيكات المغرضين والحاquدين.

- الشئاء عليهم بأنهم تحملوا العناء في سبيل الله تعالى، فظلموا وبُغي عليهم حتى أُخرجوا من ديارهم، وكل هذا لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله تعالى وأعلنوا توحيدهم له، وهكذا سيرة أهل الصدق والإيمان، كما جرى لأهل الأخدود من قبل ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

- تكريم الله **جَلَّ جَلَالُهُ** للصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وللأمة بعدهم، حيث لم يرتضِ لهم أن يمارس عليهم الظلم ويخضعوا ويذلوا، بل شرع الله تعالى لهم القتال، دفعاً عن دينهم، وحفظاً لكرامتهم، وتحقيقاً لعزتهم التي هي من عزة الله تعالى، خاصة وأن هذا يتناسب مع طباع العربي الأصيل، الذي يأبى الضيم ويكره الذل.

- فضل الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في قتالهم وجهادهم، حيث إن هذا القتال هو الذي حفظ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به الدين، ولولا مشروعيته وقيام المؤمنين به

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

لتسلط الكفار، وهدموا أماكن العبادة، وطمسوا معالم الدين، وقد تجلّى هذا واضحاً في سيرة الصحابة الكرام من يوم بدر، وما تبعه من فتوحات ونشر للإسلام، وكسر للردة والكفر والشرك.

- مع كونهم كانوا مظلومين، وقتالهم كان صعباً ومريراً، إلا أنهم عندما يتمكنون وينتصرون فإنهم يسيرون بالناس سيرة الرعاة الصالحين، لا سيرة الطغاة الظالمين، ولا مرضى النفوس الحاقدين، ولا أصحاب الأهواء والشهوات، فيقيمون الدين ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يجعلون هذا الحكم وسيلة لمصلحة ذواتهم، بل يجعلونه وسيلة لإقامة الدين والإسلام، وهذا ما تحقق في سيرة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.



٣٦- إمداد المولى سبحانه وتعالى  
للصحابه رضي الله عنهم وتأيدهم بالملائكة

### الآيات ١٢٣-١٢٦ من سورة آل عمران

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣) إِذْ  
تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
مُنزِلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ نَصَبُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ  
بِخَمْسَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ  
وَلِنُطْمِئِن قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا لَنُضَرَّ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ﴾ أي: يوم بدر، وكان في يوم الجمعة وافق السابع عشر من رمضان من  
سنة اثنتين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعزَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ فيه الإسلام  
وأهله، ودمغ فيه الشُّرك وقادته، مع قلة عدد المسلمين يومئذٍ، فإنهم كانوا



ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرسان وسبعون بعيراً، والباقون مشاة، ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، فلم يخرجوا لقتال ولم يستعدوا للحرب.

وكان العدو يومئذٍ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض<sup>(١)</sup>، والعدة الكاملة والخيول المسومة<sup>(٢)</sup> والحلي الزائد، فأعز الله **عَزَّجَلَّ** رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وأظهر وحيه وتنزيله، وبَيَّضَ وَجْهَ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وقبيله، وأخزى الشيطان وجنده وجيله.

ولهذا قال تعالى -مُتَمِّنًا عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَحِزْبِهِ الْمُتَقِينَ-: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قَلِيلٌ عَدَدُكُمْ؛ ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لا بكثرة العدد والعدد؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ **﴿٥٥﴾** ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى

(١) درع سابغ: تام واسع، والبيض جمع بيضة، وتطلق على الخوذة، وأيضاً على نوع من السلاح يشبه بيضة النعام. المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٩٥)، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٧٢).

(٢) المسومة قيل: المرسلة وعليها ركبائها، وقيل: المرعية، ووقيل: التي عليها السیما أي: العلامة. لسان العرب (١٢/ ٣١٢).

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تقومون بطاعته.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾  
اختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم بدر أو يوم أحد؟ على قولين.  
فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾، وبين قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]؟

فالجواب: الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله:  
﴿مُرْدِفِينَ﴾ بمعنى يَرُدُّفُهُمْ غيرهم وَيَتَّبِعُهُمْ أَلُوفٌ آخر مثلهم، والظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر.

﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾، يعني: تصبروا على مُصَابِرَةِ عَدُوِّكُمْ وتتقوني وتطيعوا أمري. ﴿وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال الحسن، وقتادة، والربيع، والسُّدِّي: أي من وجههم هذا. وقال مجاهد، وعكرمة: أي من غضبهم هذا.  
﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ أي: مُعَلِّمِينَ بِالسَّيْمَا،

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض].

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ أي: وما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ الملائكة وأعلمكم بإنزالها إلا بشارة لكم وتطميناً لقلوبكم وتطميناً، وإلا فإنما النصر من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ ٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿[محمد: ٤-٦]، ولهذا قال هاهنا: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿أي: هو ذو العزة التي لا تُرام، والحكمة في قدره والإحكام" (١).



### أوجه الثناء:

- مِنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالنصر في بدر رغم قلتهم ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١١١-١١٤).

- وَصَفَ الْإِيمَانُ لِنَخْبَةِ الْمَجْتَمَعِ الْمُحَمَّدِيِّ، وَصَفُوهُ الْجِيلَ الَّذِينَ رَبَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿فَلَا حَرَجَ أَنْ يَنْسِبُوا إِلَيْهِ﴾  
فيقال: الجيل النبوي والمجتمع المحمدي.

- ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ﴾ خطاب مفعم بالطمأنينة للصحابة  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ووعدهم بالمدد، ولا يعلم قيمة المدد في الحرب وأثره في رفع  
المعنويات، ورباطة الجأش وثبات الأقدام؛ إلا من خاض غمار الحروب،  
فما ظننا بمدد من السماء، ملائكة أشداء، نصر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عظيم.

- جعل الله جَلَّ جَلَالُهُ الصبر والتقوى شرطاً في المدد والنصر ﴿بَلَىٰ إِنْ  
تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾  
فلما أكرم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالمدد والنصر علم أنهم أصحاب  
صبر وتقوى.

- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ وناهيك بها كرامة لمن حقق الإيمان  
وتحلّى بالصبر وتزوّجاً بالتقوى؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، ولو أن أحد وجهاء  
الأرض بشرك ببشارة كبرى فكيف يكون سرورك وفرحك بها؟! فما بالك  
بمن جاءته البشارة من رب الأرباب جلّ في علاه!

- نزلت الآيات لتطمئنهم وتثبتهم ﴿وَلِنُطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ الطمأنينة وقت

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

البأس كرامة من المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأهل بدر، ذوي القلوب التي امتلأت حباً لله جَلَّ جَلَالُهُ و يقيناً بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وما جاء به عن ربه تعالى.

- إيمان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وصبرهم وتقواهم أهلهم لتلك المكرمة، وما كان لمنافق أن ينال تلك المكارم؛ فماذا عسى يقول الشيعة؟ وهل هؤلاء منافقون؟ يكرمهم تعالى بكل تلك المكارم. شَاهَتْ<sup>(١)</sup> وجوه طعنت في صحابة الرسول الأكرم، ذوي المقام المكرّم.



(١) أي: قبحت. لسان العرب (١٣/ ٥٠٨).

٣٧- تثبيت المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وتأييده للصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

يوم بدر

### الآيات ٩-١٢ من سورة الأنفال

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: [لما كان يوم

بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة ونيّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، وعليه رداؤه وإزاره، فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ رداءه فَرَدَّاهُ، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [رواه مسلم].

﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أي: يُرْدِفُ بعضهم بعضًا، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿مُرْدِفِينَ﴾: [متابعين]. وعن ابن عباس قال: [وراء كل ملك ملك]. وفي رواية قال: [بعضهم على إثر بعض]. والمشهور عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: [وأمدّ الله عزَّجَلَّ نبيّه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في خمسمائة من الملائكة مُجَنَّبَةً، وميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في خمسمائة مُجَنَّبَةً<sup>(١)</sup>].

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾ أي: وما جعل الله عزَّجَلَّ بعث

(١) مُجَنَّبَةُ الجيش: هي التي تكون في الميمنة والميسرة، وهما مُجَنَّبَتَانِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٠٣).

الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم بدون ذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: له العزة ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]، حكيم فيما شرعه من قتال الكفار، مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم، بحوله وقوته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ يذكرهم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم، أماناً آمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أُحُد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال مجاهد: أنزل الله **عَزَّ وَجَلَّ** عليهم المطر قبل النعاس، فأطفأ بالمطر الغبار، وتلبدت به الأرض، وطابت نفوسهم، وثبتت به أقدامهم.

﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ أي: من كل حدثٍ أصغر أو أكبر، وهو تطهير الظاهر



﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رِجْزُ الشَّيْطَانِ﴾ أي: من وسوسة أو خاطر سيئ، وهو تطهير الباطن ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ وهو شجاعة الظاهر.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم؛ ليشكروه عليها، وهو أنه تعالى أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا. قال ابن إسحاق: وآزروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم. وقيل: كثروا سوادهم.

﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أي: ثبّتوا أنتم المؤمنين وقوّوا أنفسهم على أعدائهم، عن أمري لكم بذلك، سألتني الرعب والذلة والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي.

قوله: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: اضربوا الهام ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وقطّعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٨-٢٥) مختصراً.

- استجابة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لهم إذ استغاثوه؛ لفضلهم وكرامتهم على الله **عَزَّوَجَلَّ**.

- إمداد الله **عَزَّوَجَلَّ** إياهم بملائكة، والملائكة لا تقاتل مع المشركين ولا مع المنافقين، وإنما تقاتل مع المؤمنين، فدل نزول الملائكة للقتال معهم على إيمانهم.

- البشرى والطمأنينة والسكينة بنزول الملائكة، وإن كان النصر إنما هو من عند الله تعالى، إلا أن البشرى والطمأنينة والسكينة منة من الله سبحانه على المؤمنين الصادقين أصحاب اليقين.

- أن الله تعالى معهم، وأوحى للملائكة أنه معهم (معية نصر وتأيد)، وأمرهم بتثبيت الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم، والله لا يكون إلا مع المؤمنين لا مع الكافرين ولا مع المنافقين.

- وصف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الصحابة بالإيمان **﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾**، فهم محل كرامة الله جلّ في علاه بالنصر والتثبيت والمدد.

- إلقاء الرعب في قلوب عدوهم من الكافرين -أبي جهل وأصحابه-

﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ ، وليس في قلوب الصحابة الكرام، الذين يكفرهم الشيعة.

- هناك شبه بين هذه الآية، وبين آية التطهير في سورة الأحزاب والتي نزلت في شأن أهل البيت، ففي كلا الآيتين الخبر بالتطهير وإذهاب الرجس: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ ، وفي الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

إلا أن آية الأنفال اشتملت على فضائل أخرى، من إنزال الأمن ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ ، والربط على القلوب ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ ، وتثبيت الأقدام ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ، ففيها فضل زائد لأهل بدر على أهل البيت، رضي الله عن الجميع.

فتأمل أخي القاريء في الآيتين يظهر لك جلياً أن التطهير لأهل البيت ليس سمة خاصة بهم دون بقية المؤمنين، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إن الله تعالى قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا

أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ  
بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلْنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي  
لَأُعِيزَنَّهُ<sup>(١)</sup>، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَاسِعٌ.



(١) البخاري (٨/ ١٠٥ رقم ٦٥٠٢).

٣٨- نصر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَإِيوَاءَهُ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

بعد الاستضعاف والخوف

### الآية ٢٦ من سورة الأنفال

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ  
النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنْصَرَوْهُ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَنْبَغُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ - مِنَ الصَّحَابَةِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، حَيْثُ كَانُوا قَلِيلِينَ فَكَثَّرَهُمْ،  
وَمُسْتَضْعَفِينَ خَائِفِينَ فَقَوَّاهُمْ وَنَصَّرَهُمْ، وَفُقَرَاءَ عَالَةَ فَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ،  
وَأَمَرَهُمْ بِالشُّكْرِ فَأَطَاعُوهُ وَشَكَرُوهُ، وَامْتَثَلُوا جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ.

وهذا كان حال المؤمنين حال مُقَامِهِمْ بِمَكَّةَ قَلِيلِينَ مُسْتَضْعَفِينَ

مُضْطَهَدِينَ، يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله **عَزَّوَجَلَّ**، من مشرك ومجوسي ورومي، كلهم أعداء لهم لِقَلَّتِهِمْ وعدم قوتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لهم في الهجرة إلى المدينة، فأواهم إليها، وقِيَضَ لهم أهلها، آووا ونصروا يوم بدر وغيره، وواسوا بأموالهم، وبذلوا مَهْجَهُمْ في طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** وطاعة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قال قتادة: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذُلًّا، وأشقاء عيشًا، وأجوعه بَطُونًا، وأعراة جلودًا، وأبينه ضلَالًا، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يُخْسَدُونَ عليه، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم رُدِّيَ في النار، يُؤْكَلُونَ ولا يَأْكُلُونَ، والله ما نعلم قَبِيلًا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرَّ منزلًا منهم، حتى جاء الله **عَزَّوَجَلَّ** بالإسلام فمكَّن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكًا على رقاب الناس.

وبالإسلام أعطى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ما رأيتم، فاشكروا الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** نعمه، فإن ربكم مُنْعِمٌ يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** <sup>(١)</sup>.

وقال الفخر الرازي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "اعلم أنه تعالى لما أمرهم بطاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** وطاعة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم أمرهم باتقاء المعصية، أكد ذلك

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠) مختصرًا بتصرف.

التكليف بهذه الآية، وذلك لأنه تعالى بيّن أنهم كانوا قبل ظهور الرسول ﷺ في غاية القِلَّةِ والدِلَّةِ، وبعد ظهوره صاروا في غاية العزة والرفعة، وذلك يوجب عليهم الطاعة وترك المخالفة.

أما بيان الأحوال التي كانوا عليها قبل ظهور محمد ﷺ، فمن وجوه:

أولها: أنهم كانوا قليلين في العدد.

وثانيها: أنهم كانوا مستضعفين.

والمراد أن غيرهم يستضعفهم، والمراد من هذا الاستضعاف: أنهم كانوا يخافون أن يتخطفهم الناس، والمعنى: أنهم كانوا إذا خرجوا من بلدهم خافوا أن يتخطفهم العرب، لأنهم كانوا يخافون من مشركي العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم، ثم بين تعالى أنهم بعد أن كانوا كذلك قلبت تلك الأحوال بالسعادات والخيرات.

فأولها: أنه آواهم، والمراد منه: أنه تعالى نقلهم إلى المدينة، فصاروا آمنين من شر الكفار.

وثانيها: قوله: ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾، والمراد منه: وجوه النصر في يوم بدر.

وثالثها: قوله: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، وهو أنه تعالى أحلَّ لهم الغنائم

بعد أن كانت محرمة على من كان قبل هذه الأمة.

ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥٢)، أي: نقلناكم من الشدة إلى الرخاء، ومن البلاء إلى النعماء والآلاء، حتى تشغلوا بالشكر والطاعة، فكيف يليق بكم أن تشغلوا بالمنازعة والمخاصمة بسبب الأنفال؟<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الثناء:

- تذكير الله تعالى الصحابة من المهاجرين والأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بما أنعم عليهم يوم بدر، ونصره **جَلَّ جَلَالُهُ** وتأيده وإيوؤه للمهاجرين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، ورزقهم من الطيبات رغم قلتهم واستضعافهم.

- ﴿فَأَوَدَّكُمْ﴾ نسب الله تعالى الإيواء إليه، بما سخر من قلوب الأنصار من حب وإيثار، وإن كانوا في شدة الحال، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، ونسبة فعل الأنصار إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** تشریف لهم، وإقراراً لفعلهم، وإضفاء شرعية وتفضيل لما قاموا به من إيواء المهاجرين؛ فتضمنت الآية الثناء على المهاجرين وعلى الأنصار عامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين، كما نصّت على الثناء على من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار.

(١) تفسير الرازي (١٥ / ٤٧٤).



## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

والثناء عليهم يشمل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ قسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ له من الغنيمة كما قسم لمن شهد المعركة؛ كونه كان يمرض ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومن قَسَمَ له فقد شهد أو في حكم من شهد، وله من الفضائل ما لأهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.



٣٩ - ولاية المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
لِلطَائِفَتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

الآية ١٢٢ من سورة آل عمران

﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٢)

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: [فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا  
وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو  
سَلَمَةَ، وما نُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾] (١).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: هما طائفتان من الأنصار همّتا بذلك، فعصمهما  
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وقيل: لَمَّا رجع عبد الله بن أبي في أصحابه يوم أُحد، همّت

(١) البخاري (٩٦/٥ رقم ٤٠٥١)، مسلم (١٩٤٨/٤ رقم ٢٥٠٥).

الطائفتان باتباعه، فعصمهما الله عَزَّوَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

أما قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [وما نُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾]؛ فقال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى، وإنزاله فيهم آيةً ناطقةً بصحة الولاية، وأن تلك الهمة ما أخرجتهم عن ولاية الله تعالى"<sup>(٢)</sup>.

وإذا تحقق ذلك بالذين همُّوا، فما بالك بالذين لم يخطر في بالهم وسواس ممن شهد أحداً من جيش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فيها الأمر بالتوكل الذي هو اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله جَلَّ جَلَالُهُ من غيرهم، وخصوصاً في مواطن الشدة والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة برهيم والاستنصار به، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله عَزَّوَجَلَّ وقوته، فبذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن"<sup>(٣)</sup>.

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٢٠).

(٢) تفسير الرازي (٨/ ٣٤٧).

(٣) تفسير السعدي (ص: ١٤٥).

وقال ابن عاشور **رَحِمَهُ اللهُ**: " **وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا** " أي: ناصرهما على ذلك الهمّ الشيطاني، الذي لو صار عزمًا لكان سبب شقائهما، فلعناية الله **عَزَّجَلَّ** بهما برأهما الله **عَزَّجَلَّ** من فعل ما همّتا به " (١) .

#### أوجه الشناء:

- أن الله تعالى تولى الطائفتين من الأنصار، ولفظ (طائفتين) يدل على كثرة عدد، فإذا كان بنو حارثة وبنو سلمة طائفتين تولاهاهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعد همّهم ذلك فمن باب أولى أن يتولى من سواهم من الصحابة الذين لم يهّموا، فهم أولى بالولاية من هؤلاء، فتبين أن الكثرة الكاثرة من أهل المدينة هم من تولاهاهم الله تعالى، وفي هذا رد على الشيعة القائلين بأن المدينة دار نفاق، وأن الإيمان فقط في نزر يسير من آل البيت.

- أن الطائفتين من الأنصار همّوا بالفشل والرجوع إلى المدينة؛ ولكن الله **عَزَّجَلَّ** أكرمهم بأن دفع عنهم الفشل؛ لإيمانهم بالنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وما جاء به؛ وهكذا يكشف الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** المخبوء في مكنونات الضمائر، والذي لم يعلمه إلا أهله، حين حاك في صدورهم لحظة ثم وقاهم الله **عَزَّجَلَّ** إياه، وصرفه عنهم، وأيدهم بولايته، فمضوا في الصف.

(١) التحرير والتنوير (٧٠ / ٤).

- تولى الله تعالى لهم يتضمن الشهادة لهم بالإيمان والصلاح والتقوى،  
فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، ﴿وَهُوَ تَوَكَّلِي  
الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الباقية: ١٩].

- لطف الله عزَّ وجلَّ بهم وإحسانه إليهم؛ "أنه لما همَّت طائفتان من  
المؤمنين بالفشل وهم بنو سلمة وبنو حارثة كما تقدم، ثبتهما الله تعالى نعمة  
عليهما وعلى سائر المؤمنين، فلهذا قال: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: بولايته  
الخاصة، التي هي لطفه بأوليائه، وتوفيقهم لما فيه صلاحهم وعصمتهم عما  
فيه مضرتهم، فمن توليه لهما أنهما لما همتا بهذه المعصية العظيمة وهي  
الفشل والفرار عن رسول الله ﷺ عصمهما؛ لما معهما من  
الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]" (١).

- ومن لطفه بهاتين الطائفتين أنه تعالى عصمهم عندما رجع المنافقون  
مع رأس النفاق وهم ثلث الجيش، فكانت العصمة لأهل الإيمان الذين  
تولاهم الله عزَّ وجلَّ بولايته.

- ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، مما يدل على

(١) تفسير السعدي (ص: ١٤٥).

أن الولاية من الله تعالى لهذين الحيين من الأنصار ثمرة من ثمار إيمانهم،  
ويحتمل أنها عتب بمعنى: كيف يفشلون وهم مؤمنون، وخلق المؤمنين  
التوكل على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لا الخور<sup>(١)</sup> والجبن.



---

(١) الخَوَر: الضعف. مختار الصحاح (ص: ٩٨).

٤٠- تمحيص المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَابْتَلاَهُمْ

قَبْلَ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ

### الآيات ٩-١١ من سورة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾

من أبلغ الآيات هذه الآيات التي نزلت في سورة الأحزاب، بأجزل العبارات والعِظَات، وفيها كشف لمكنون القلوب، وبيان لحال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ باطنًا وظاهرًا، واسم السورة بمجرده فيه دلالة على عِظَم الأحداث

حين واجه الصحابة الأحزاب مجتمعة.

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين - أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** -، في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزّبوا وذلك عام الخندق، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح.

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفراً من أشراف يهود بني النضير، الذين أجلاهم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** إلى خيبر اجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضاً، وخرجت قريش، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة، وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

وكانت بنو قريظة لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وذمة، فذهب إليهم حُيَيُّ بن أخطب النَّضْرِي اليهودي، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالؤوا الأحزاب على رسول الله



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَظُمَ الْخَطْبُ واشتد الأمر، وضاق الحال.

ومكثوا مُحاصِرِينَ للنبي ﷺ وأصحابه قريبًا من شهر، إلا أنهم لا يَصِلُونَ إليهم، ولم يقع بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ودَّ العامري ركب ومعه فوارس فاقترحوا الخندق، وخلصوا إلى ناحية المسلمين، فندب رسول الله ﷺ عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخرج إليه، فتجاولا ساعة، ثم قتله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم أرسل الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْأَحْزَابِ ريحًا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تُبَقْ لهم خيمة ولا شيء ولا تُوقَدَ لهم نار، ولا يقرَّ لهم قرار، حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ قال مجاهد: هي الصبا.

قوله: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف.

قوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ أي: الأحزاب ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ بنو قريظة ﴿وَلِإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي: من شدة الخوف والفرع.

﴿وَتَطَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: ظن بعض من كان مع

رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين، وأن الله عز وجل سيفعل ذلك. وقال الحسن: ظنون مختلفة، ظن المنافقون أن محمداً ﷺ وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله عز وجل ورسوله ﷺ حق، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ويقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال، حين نزلت الأحزاب حول المدينة، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم: أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالاً شديداً<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- مخاطبة الله تعالى للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بوصف الإيمان ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وهذه شهادة صريحة من الله عز وجل للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بصدق الإيمان.

- تأييد الله تعالى لصحابة نبيه ﷺ بالملائكة والريح، وما

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٣-٣٨٨) مختصراً.

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

هذا إلا لعظيم مكانتهم عند الله تعالى، ولما يحملونه من الحق الذي يحبه الله تعالى وينصره.



٤١- ثبات الصحابة رضي الله عنهم اقتداء

برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وبركة هذا الاقتداء

### الآيات ٢١-٢٧ من سورة الأحزاب

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢ مِّنَ  
الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن  
يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝٢٣ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ  
الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٤ وَرَدَّ اللَّهُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَآلُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ  
قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّن أَهْلِ الْكِتَابِ مَن  
صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا  
۝٢٦ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّم تَطْغُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧﴾

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "بعد توبيخ المنافقين والذين في قلوبهم مرض أقبل الكلام على خطاب المؤمنين في عموم جماعتهم، ثناء على ثباتهم وتأسيهم بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تفاوت درجاتهم في ذلك الائتساء.

فالذين اتسوا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ ثبت لهم أنهم ممن يرجون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واليوم الآخر وذكر الله عزَّوَجَلَّ كثيراً. وفيه تعريض بفريق من الذين صدهم عن الائتساء به ممن كانوا منافقين أو في قلوبهم مرض من الشك في الدين" (١).

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأيي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأيي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائماً إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلَّعوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ٣٠٢-٣٠٣) مختصراً.

كثيراً ❦ .

ثم قال تعالى مخبراً عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله **عَزَّوَجَلَّ** لهم، وجعله العاقبة حاصلةً لهم في الدنيا والآخرة، فقال: ❦ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ❦ قال ابن عباس وقتادة: يعنون قوله تعالى في سورة البقرة: ❦ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ❦ [البقرة: ٢١٤] أي: هذا ما وعدنا الله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب؛ ولهذا قال: ❦ **وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ❦ .

❦ **وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ❦ دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قاله جمهور الأئمة: إنه يزيد وينقص .

ومعنى قوله: ❦ **وَمَا زَادَهُمْ** ❦ أي: ذلك الحال والضيق والشدة ❦ **إِلَّا إِيمَانًا** ❦ بالله ❦ **وَتَسْلِيمًا** ❦ أي: انقياداً لأوامره، وطاعةً لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** .

ولما ذكر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه لا يولون الأدبار، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق، و❦ **صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ** ❦ . قال

بعضهم: أجله. وقال البخاري: عهده. وهو يرجع إلى الأول، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: [نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾] [رواه البخاري]. قال مجاهد في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾: عهده ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ يوماً فيه القتال فيصدق في اللقاء.

قوله: ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ أي: وما غيروا عهدهم، وبدلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عزَّ وجلَّ عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إنما يختبر عباده بالخوف والزلال ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم، ولهذا قال: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بصبرهم على ما عاهدوا الله عزَّ وجلَّ عليه، وقيامهم به، ومحافظةهم عليه.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ وهم الناقضون لعهد الله تعالى، المخالفون لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب

عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان.

ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (٢٦٩)

يقول تعالى مخبراً عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله عز وجل رسوله رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد، فسلط عليهم هواء فرق شملهم، وردهم خائبين خاسرين بغیظهم وحنقهم، لم ينالوا خيراً لا في الدنيا، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحمّلوه من الآثام في مبارزة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالعداوة، وهمهم بقتله واستئصال جيشه، ومن هم بشيء وصدق همّه بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله.

قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي: لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يُجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله جلّ جلاله وحده، ونصر



## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

عبد، وأعزّ جنده؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده» [رواه البخاري ومسلم].

وفي قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم.

قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ أي: بحوله وقوته، ردّهم خائبين، لم ينالوا خيراً، وأعز الله ﷻ جَلَّ جَلَالُهُ الإسلام وأهله وصدق وعده، ونصر رسوله ﷺ وعبد.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

لما أيد الله تعالى ونصر، وكبت<sup>(١)</sup> الأعداء وردّهم خائبين بأخسر صفقة، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيداً منصوراً، ووضع الناس السلاح، تبدّى جبريل ﷺ فقال: أَوْضَعَتِ السِّلَاحَ

(١) الكبت: الرد بعنف وتذليل. المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٩٥).

يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: لكن الملائكة لم تضع أسلحتها. ثم قال: إن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يأمرُك أن تنهض إلى بني قريظة، ثم نازلهم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** وحاصرهم، فلما طال عليهم الحال، نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية، واعتقدوا أنه يحسن إليهم في ذلك، فعند ذلك استدعاه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**، فلما أقبل جعل الأوس يقولون: يا سعد! إنهم مواليك، فأحسن فيهم. فقال: إني أحكم أن تُقتل مُقاتلتهم، وتُسبى ذريتهم وأموالهم، فقال له رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**: «لقد حكمتَ بحكم الله **عَزَّ وَجَلَّ** من فوق سبعة أرقعة<sup>(١)</sup>» [رواه البخاري]، ثم جيء بهم مكتفين فضرب أعناقهم، وسبى من لم يُنبت منهم مع النساء وأموالهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ أي: عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: بني قريظة من اليهود.

﴿مِّنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ يعني: حصونهم. ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ وهو الخوف؛ لأنهم كانوا مالؤوا المشركين على حرب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزّوا في الدنيا،

(١) يعني: سبع سموات، وكل سماء يقال لها: رقيق، والجمع أرقعة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٥١).

فانعكس عليهم الحال، ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾، فالذين قُتِلُوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء.

قوله: ﴿وَأَوْزَكْتُمْ أَرْضَهُمْ وَدَيَّرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ أي: جعلها لكم من قتلهم لهم ﴿وَأَرْضَاتٍ تَطُوشُهَا﴾ قيل: خير. وقيل: مكة. وقيل: فارس والروم. وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: يجوز أن يكون الجميع مراداً<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الثناء:

أوجه الثناء على أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في غزوة الأحزاب كثيرة، منها - على وجه الإجمال -:

- الثناء على الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأنهم اقتدوا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واثبتوا به، فثبتوا معه ومن حوله، فصَحَّ فيهم وصف الله تعالى أنهم ممن ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، فانظر كم لهذا الاقتداء من عظيم بركة وخير، وهل نال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما نالوا، وهل نصرهم الله عَزَّ وَجَلَّ ومكَّنهم إلا حين حققوا الاقتداء والائتساء بالحيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١-٣٩٩) مختصراً.

- أنهم ثبتوا عند الابتلاء العظيم، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، فصدقوا موعود الله تعالى، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾، وثبتوا واجتمعوا حول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وامتلأوا أمره، وجاهدوا معه، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: ١٢٠].

- أنهم رضوان الله عليهم ما بدلوا ولا غيروا، قال جل شأنه: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾، فأثنى الله تعالى على من قضى نجه، وعلى من بقي منهم حيًّا، وهم الأجر - أي الأحياء - بقوله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾.

- ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ قال السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "أي: قدّرنا ما قدّرنا، من هذه الفتن والمحن، والزلازل؛ ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزى الصادقين بصدقهم، ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم، عند حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه" <sup>(١)</sup>، فتبين أن الصحابة كانوا صادقين، ولهذا جازاهم الله تعالى فنصرهم.

- لعظيم مكانتهم عند الله تعالى نصرهم بالريح وقذف الرعب في قلوب

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٦١).

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

أعدائهم، وجعل أموال العدو وأرضهم وديارهم فيئاً لهم، ورد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الكافرين بلا قتال، وانقلبت الموازين، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»<sup>(١)</sup>.

- في أحداث غزوة الأحزاب يظهر جلياً مكر اليهود وخبثهم، والمؤامرات التي حاكوها وخططوا لها وأنفقوا الأموال عليها، فخرجت غطفان ومن تبعها، وقريش ومن تبعها، ولو كان المنافقون أكثرية في المدينة لسهل تمالؤهم وانحيازهم مع قريش وغطفان لكثرة المال والعدد، لكن الأكثرية كانت هي الثلة المؤمنة، فلم يستطع اليهود التأثير بأموالهم على أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وظهرت شجاعتهم الفائقة، وتصديقهم بوعد الله **عَزَّوَجَلَّ** وأنه سيغنيهم وينصرهم، فبعد ذلك الزلزال العظيم والنجاح الباهر للصحابة أكرمهم الله **عَزَّوَجَلَّ**، فانقلبت العاقبة لهم.



(١) البخاري (٥/ ١١٠ رقم ٤١٠٩) من حديث سليمان بن صرد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

٤٢- عظيم بشارات المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

للمهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أ- المباءة الحسنة للمهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الآيتان ٤١-٤٢ من سورة النحل

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً  
وَلَأَجْزُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ  
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى بِفَضْلِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَحَنِّينَ ﴿فِي اللَّهِ﴾ أَي: فِي سَبِيلِهِ وَابْتِغَاءَ  
مَرْضَاتِهِ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بِالْأَذْيَةِ وَالْمَحَنَةِ مِنْ قَوْمِهِمْ، الَّذِينَ يَفْتَنُونَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَى  
الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، فَقَدْ تَمَّ حَصَارُهُمْ فِي الشَّعْبِ، وَهَاجَرُوا إِلَى الْحَبْشَةِ، وَكَذَلِكَ  
هَاجَرُوا الْهَجْرَةَ الْكُبْرَى إِلَى الْمَدِينَةِ، فَتَرَكُوا الْأَوْطَانَ وَالْخِلَانَ، وَانْتَقَلُوا عَنْهَا

لأجل طاعة الرحمن، فذكر لهم ثوابين: ثواباً عاجلاً في الدنيا من الرزق الواسع والعيش الهنيء، الذي رأوه عياناً بعد ما هاجروا، وانتصروا على أعدائهم، وافتتحو البلدان وغنموا منها الغنائم العظيمة، فتمولوا، وآتاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الدنيا حسنة، ﴿وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ﴾ الذي وعدهم الله جَلَّ جَلَالُهُ على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿أَكْبَرُ﴾ من أجر الدنيا<sup>(١)</sup>.

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "لُنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ" وفيها ستة أقوال:  
الأول: نزول المدينة، قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحسن والشعبي وقتادة.  
الثاني: الرزق الحسن، قاله مجاهد.  
الثالث: النصر على عدوهم، قاله الضحاك.  
الرابع: إنه لسان صدق، حكاه ابن جريج.  
الخامس: ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات.  
السادس: ما بقي لهم في الدنيا من الشئ، وما صار فيها لأولادهم من الشرف.

وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والحمد لله.<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٤١).

(٢) تفسير القرطبي (٣٢٧/١٢).

فالصواب أن الآية تشمل هذا كله، لعموم قوله: «حسنة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا جُرْأَلَاخِرَةَ أَكْبَرُ﴾ وأعظم وأشرف وأفضل؛ فهو باق لا يزول، ولا نغفل عن الأوصاف الجميلة والكثيرة التي جاءت في وصف الجنان.

ثم ذكر وصف أوليائه فقال: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أوامر الله تعالى وعن نواهيه، وعلى أقدار الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محاببه، لا على أنفسهم؛ وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحداً شيئاً من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله **عَزَّ وَجَلَّ**<sup>(٢)</sup>.

فهؤلاء الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم، وتعرَّوا عما يملكون وعما يحبون، وضَحَّوا بدارهم وقرب عشيرتهم والحييب من ذكرياتهم - هؤلاء يرجون في الآخرة عوضاً عن كل ما خلفوا وكل ما تركوا، وقد عانوا الظلم وفارقوه، فإذا كانوا قد خسروا الديار فـ ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ولنسكنهم خيراً مما فقدوا ﴿وَلَا جُرْأَلَاخِرَةَ أَكْبَرُ﴾ لو كان الناس يعلمون.

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٤/ ١٥٨).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٤١).



هؤلاء ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ واحتملوا ما احتملوا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
لا يشركون به أحداً في الاعتماد والتوجه والتكلان.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقال قتادة: المراد أصحاب محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،  
ظلمهم المشركون بمكة وأخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة، ثم  
بوأهم الله تعالى دار الهجرة وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين. والآية تعم  
الجميع"<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الثناء:

- مدح الله تعالى المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم بهجرتهم، وبإلهامه من  
عمل عظيم، وتضحية تدل على صدق اليقين وجعلها الله جَلَّ وَعَلَا سبباً  
لنصرة هذا الدين.

- الثناء عليهم بأن هجرتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم لم تكن لعرض دنيوي  
وإنما كانت في الله جَلَّ جَلَالُهُ، وهذا بيان عظيم من الله تعالى لما في صدورهم  
من الإيمان والإخلاص.

- الثناء عليهم أنهم ظلموا وأوذوا ولم يردّهم ذلك عن دين الله تعالى؛

(١) تفسير القرطبي (١٠/١٠٧).

لقوة إيمانهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم.

- وعدهم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ثوابين في الدنيا والآخرة: ﴿لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ أَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾.

- إن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أثنى عليهم ومدحهم بالصبر على دينهم، فلم يتركوه لأذى نالهم، وهم في ذلك واثقون برّبهم، ولم تغرهم الدنيا حتى بعد أن غنموا كنوز كسرى وقيصر.

- مدحهم الله تعالى بأنهم توكّلوا عليه وفوضوا أمورهم إليه سبحانه؛ وهذا دليل على عظيم ما استقر في قلوبهم من الإيمان والتصديق بما وعدهم الله تعالى به من الجزاء.



تابع.. عظيم بشارات المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِّلْمُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

ب- المغفرة والرحمة

لِلْمُهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الآية ١١٠ من سورة النحل

﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ  
جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٠)

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم  
ومساكنهم وعشائرتهم من المشركين، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام  
ومساكنهم وأهل ولايتهم، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين  
أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم  
بالسيف وبألستهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،  
وصبروا على جهادهم ﴿إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن

ربك من بعد فعلتهم هذه لهم ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول: لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألستهم، وهم لغيرها مضمرون، وللايمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله **جَلَّ جَلَالُهُ** وتوبتهم.

وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كانوا تخلّفوا بمكة بعد هجرة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فاشتدّ المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم، فأيسوا من التوبة، فأنزل الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فيهم هذه الآية: فهاجروا ولحقوا برسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** <sup>(١)</sup>.

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية وإن كانت نزلت في هؤلاء فهي تدل على عظم شأن الهجرة وفضلها.

قال السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "أي: ثم إن ربك الذي ربّى عباده المخلصين بلطفه وإحسانه، لغفور رحيم لمن هاجر في سبيله، وخلقى دياره وأمواله طلباً لمرضاة الله **عَزَّجَلَّ**، وفُتِنَ على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان، وتخلص ما معه من اليقين، ثم جاهد أعداء الله **عَزَّجَلَّ** ليدخلهم في دين الله

(١) تفسير الطبري (١٧/٣٠٦)، وينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي (١٢٦/١).

تعالى بلسانه ويده، وصبر على هذه العبادات الشاقة على أكثر الناس.  
فهذه أكبر الأسباب التي تُنال بها أعظم العطايا وأفضل المواهب، وهي مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ للذنوب صغارها وكبارها؛ المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه، ورحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم واستقامت أمور دينهم ودنياهم، فلهم الرحمة من الله عَزَّوَجَلَّ في يوم القيامة" (١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة، مُهانين في قومهم قد واتوهم على الفتنة، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة، فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله جَلَّ جَلَالُهُ وغفرانه، وانتظموا في سلك المؤمنين، وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا، فأخبر الله تعالى أنه ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: تلك الْفِعْلَةِ، وهي الإجابة إلى الفتنة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم يوم معادهم" (٢).

قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى دار الإسلام، وهم عمار وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أي: لهم بالولاية والنصر لا

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٥٠-٤٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٧).

عليهم، كما يوجبه ظاهر أعمالهم السابقة ﴿مَنْ بَعْدَ مَا فُتِنُوا﴾ أي: عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم <sup>(١)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- أن المهاجرين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم كانت هجرتهم فراراً بدينهم، ونجاةً من الفتنة **﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾**.
- أنهم تعرضوا للأذى والتعذيب؛ لصدهم عن اتباع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، إلا أنهم ثبتوا على الإيمان، بل وضّحوا من أجله.
- الشناء عليهم بالجهاد الصحيح الخالص **﴿ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا﴾** فلو كان جهادهم لدنيا أو عرض دنيوي؛ لما سمّاه الله تعالى جهاداً وصبراً.
- الشناء عليهم لصبرهم ومصابرتهم، وهي منزلة من منازل المتقين، أصحاب اليقين.
- لما صدقوا وتحققت فيهم صفات عظيمة: الهجرة، الثبات أمام الابتلاءات والفتن، الجهاد، الصبر.. كافأهم الله تعالى، وأثابهم مغفرة لذنوبهم، وتكفيراً لسيئاتهم، ورحمة تغشاهم وتتغمدهم، وتفيض عليهم

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ١٤٤).

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

بالسكينة والطمأنينة، والدرجات العالية في جنات ونهر ﴿ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ

مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر: ٥٥].



تابع.. عظيم بشارات المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### ج- الرزق الحسن والمدخل المرضي للمهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

#### الآيات ٥٨-٦٠ من سورة الحج

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾  
لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾  
ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ  
إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّنْ خَرَجَ مَهَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
**عَزَّ وَجَلَّ** ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَطَلِبًا لِمَا عِنْدَهُ، وَتَرَكَ الْأَوْطَانَ وَالْأَهْلِينَ وَالْخِلَآنَ،  
وَفَارَقَ بِلَادَهُ فِي اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَرَسُولِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وَنَصْرَةَ لَدِينِ



الله **عَزَّجَلَّ**، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ أي: في الجهاد ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ أي: حتف أنفهم، أي: من غير قتال على فُرُشهم، فقد حَصَلُوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقوله: ﴿لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: ليُجْرَيْنَ عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقرُّ به أعينهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، أي: الجنة، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩]، فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة نعيم، كما قال هاهنا: ﴿لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

ثم قال: ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ أي: بمن يُهاجر ويُجاهد في سبيله، وبمن يستحق ذلك، ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يحلُم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه.

فأما من قُتل في سبيل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حيٌّ عند ربه يُرزق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، والأحاديث في هذا كثيرة، وأما من تُوفي في سبيل الله **جَلَّ جَلَالُهُ** من مهاجر أو غير مهاجر، فقد تَضَمَّنَتْ هذه الآية الكريمة

مع الأحاديث الصحيحة إجزاء الرزق عليه، وعظيم إحسان الله **عَزَّوَجَلَّ** إليه.

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ﴾ ذكر مقاتل وابن جريج أنها نزلت في سرية من الصحابة، لقوا جمعاً من المشركين في شهر محرم، فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون، فنصرهم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عليهم ﴿إِنِ اللَّهُ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ**، فقال بعضهم: سواء المقتول منهم والميت. وقال آخرون: المقتول أفضل. فأنزل الله **عَزَّوَجَلَّ** هذه الآية على نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عاشور **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وخص بالذكر منهم الذين هاجروا في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ** ثم قتلوا أو ماتوا تنويها بشأن الهجرة، ولأجلها استوى أصحابها في درجات الآخرة سواء منهم من قتل في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ** أو مات في غير

(١) تفسير ابن كثير (٤٤٧/٥ - ٤٤٩) مختصراً.

(٢) تفسير الطبري (١٨/٦٧٣ - ٦٧٤).

قتال بعد أن هاجر من دار الكفر" (١).

### أوجه الثناء:

- معلوم أنه لم يهاجر قبل الآية إلا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ومن هذا يتبين فضل المهاجرين من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ورضي عنهم وأرضاهم.

- من مات من المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شهيداً أو مات على فراشه، جميعهم موعودون بالرزق الحسن من الله تعالى في جنات النعيم.. بل أحسن الأرزاق، كيف لا، وقد ختم الله جَلَّ جَلَالُهُ الآية بقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾.

- ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ كَرَامَةٍ﴾ مؤكدة بلام التوكيد الواقعة في جواب قسم مقدر، ومؤكدة بنون التوكيد، وبالمصدر المفعول المطلق، أي أن دخولهم هذا المدخل - وهو الجنة - دخول مؤكد لا شك فيه.

- ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ يا لها من مكربة أن يصل الأمر إلى وعد الله جَلَّ جَلَالُهُ بأن يرضيهم وأن لا يكون لهم طلب إلا ويُجاب؛ إرضاءً لهم؛ فرضي الله تعالى

(١) التحرير والتنوير (١٧ / ٣٠٩).

عنهم ورضوا عنه.

- وعدهم الله تعالى بالنصر كونهم ظلموا وبُغِي عليهم ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ﴾ وقد تحقق الموعد وحكم الصحابة الأجلاء بعد رسول الله ﷺ وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم وأرضاهم وهم الخلفاء الراشدون، وكان أول ملوك المسلمين معاوية رضي الله عنه.

- وصف الهجرة بأنها في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتضمن الحكم بصحتها وصحة غايتها، فهم تركوا أوطانهم وعشيرتهم وأموالهم، تصديقاً للنبي ﷺ وما جاء به، فلا يمكن أن يخالط قلوبهم شك ناهيك عن نفاق؛ بل هجرتهم محض تصديق للنبي ﷺ؛ لأن المعطيات المادية والحسابات البشرية تدل على عدم قدرتهم على تغيير الواقع.

- الشيعة يقررون فضل الشهداء في عهد رسول الله ﷺ، ويحصرّون ما ورد في فضل الصحابة في هؤلاء الشهداء ونفر يسير بعد رسول الله ﷺ، وهذه الآية صريحة في الرد عليهم، وقاصمة ظهر لمن عنده عقل وهو حرٌّ في اتخاذ قراره ولا يعيش تحت الضغوط الاجتماعية والروايات المكذوبة في الكافي وغيره بدون أسانيد، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿ثُمَّ قَاتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ قَاتِلُوا في عهد رسول الله

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أو بعده، أو ماتوا في عهد رسول الله ﷺ أو بعده، فإن الآية تشملهم جميعاً.



٤٣- بشارة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
بالمغانم والفتوحات للصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الآيات ٢٠-٢١ من سورة الفتح

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ  
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾  
وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال مجاهد في قوله: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً  
تَأْخُذُونَهَا﴾: هي جميع المغانم إلى اليوم، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني: فتح  
خير. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [يعني: صلح  
الحديبية]. ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي: لم يَنْلُكُمْ سُوءٌ مِمَّا كَانَ أَعْدَاؤُكُمْ  
أَضْمَرُوهُ لَكُمْ مِنَ الْمُحَارَبَةِ وَالْقِتَالِ. وكذلك كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ الَّذِينَ  
خَلَقْتُمُوهُمْ وَرَاءَ أَظْهُرِكُمْ عَنْ عِيَالِكُمْ وَحَرِيمِكُمْ، ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: يعتبرون بذلك، فإن الله عَزَّوَجَلَّ حافظهم وناصرهم على سائر الأعداء، مع قلة عددهم، وليَعْلَمُوا بصنيع الله عَزَّوَجَلَّ هذا بهم أنه العليم بعواقب الأمور، وأن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين، وإن كرهوه في الظاهر، كما قال: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿وَنَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته، وموافقكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: وغنيمة أخرى وفتحاً آخر مُعَيَّنًا لم تكونوا تقدرُونَ عليها، قد يَسَّرَهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عليكم، وأحاط بها لكم، فإنه تعالى يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون.

وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة، ما المراد بها؟ فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [هي خيبر]. وهذا على قوله -في قوله تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾-: [إنها صلح الحديبية]. وقاله الضحاك وابن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقال قتادة: هي مكة. واختاره ابن جرير. وقال ابن أبي ليلى والحسن البصري: هي فارس والروم. وقال مجاهد: هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤١).

أوجه الشناء:

- وَعَدَ الله عَزَّجَلَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين بمغانم كثيرة ينالونها، لم تخطر لهم ببال، وتحقق ذلك، فدل على أنهم لم يغيروا ولم يبدلوا في دينهم.

- عَجَّلَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُم صلح الحديبية بما فيه من مكرمات.

- وصف الله عَزَّجَلَّ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بالإيمان، وأن ما جرى في الحديبية آية لهم، وقد عاشوا بإيمانهم لله سبحانه وبذلوا، وحقق الله عَزَّجَلَّ لهم وعده ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

- البشري لهم بالهداية على الصراط المستقيم ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

- تأييد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُم؛ إذ لو قاتلهم الكافرون لَوَلَّوْا الأدبار، فالنصر والظفر لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.



٤٤- نعمة المولى سبحانه وتعالى  
على أصحاب نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
بالكف عن القتال

الآيات ٢٤-٢٦ من سورة الفتح

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوهُمْ فَيَنْصَبُوكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٢٦)

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ

مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَ كُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٩٥﴾ هذا امتنان من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عباده المؤمنين حين كَفَّ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ عَنْهُمْ، فلم يَصِلْ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ سوء، وَكَفَّ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام، بل صَانَ كُلًّا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَأَوْجَدَ بَيْنَهُمْ صُلْحًا فِيهِ خَيْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: [لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ هَبَطَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي السَّلَاحِ، مِنْ قَبْلِ جَبَلِ التَّنْعِيمِ، يَرِيدُونَ غِرَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَأَخَذُوا، فَعَفَا عَنْهُمْ، وَنَزَلَتْ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَ كُمْ عَلَيْهِمْ﴾] [رواه مسلم].

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول تعالى مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنْ قُرَيْشٍ وَمَنْ مَالَاهُمْ عَلَى نَصْرَتِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: هم الكفار دون غيرهم، ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: وأنتم أحقُّ به، وأنتم أهله في نفس الأمر، ﴿وَالْهُدَى مَعَكُمْ﴾ أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، أي: وصدوا الهدي أن يَصِلَ إِلَى مَحَلِّهِ، وهذا من بَغْيِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ أي: بين أظهرهم مَن يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ وَيُخْفِيهِ مِنْهُمْ خِيفَةً عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، لَكُنَّا سَلَطْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ فَقَتَلْتُمُوهُمْ وَأَبْدَلْتُمْ خَضِرَاءَهُمْ، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات

أقوام لا تعرفونهم حالة القتل؛ ولهذا قال: ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ أي: إثمٌ و غرامة ﴿بِعَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يُؤَخَّرُ عِقوبَتَهُمْ لِيُخَلِّصَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام.

ثم قال تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: لو تميّز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: لسأطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلاً ذريعاً، عن جُنَيْدِ بْنِ سَبْعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [قاتلتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أول النهار كافراً، وقاتلتُ معه آخر النهار مسلماً، وفيها نَزَلَتْ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾. قال: كنا تسعة نفر: سبعة رجال وامرأتين] قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: [لو تَزَيَّلَ الكفار من المؤمنين، لعَذَّبَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَذَابًا أَلِيمًا بقتلهم إياهم] <sup>(١)</sup>.

وتأملوا في الآيات:

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٢-٣٤٥) مختصراً، وفي هذه الآية الرد المحكم الواضح على كل من رام التفجيرات في بلاد المسلمين، وقتل أهل القبلة بأي حجة كانت.

لأجل أفراد من المؤمنين والمؤمنات منع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** من دخول مكة رافة به وبمن معه أن يصيبوا أحداً من المؤمنين الذين لا يعلمونهم، فهم قد أخفوا إيمانهم خوفاً من قريش، فما بالك بالذين يتعمدون قتل المسلمين؟! نسأل الله العافية!

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وذلك حين أبوا أن يكتبوا **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، وأبوا أن يكتبوا: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾، وهي قول: (لا إله إلا الله). وقال مجاهد: ﴿كَلِمَةُ التَّقْوَى﴾: الإخلاص. وقال عطاء بن أبي رباح: هي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وقال علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: [لا إله إلا الله، والله أكبر]. وكذا قال ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وقال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: [شهادة أن لا إله إلا الله، وهي رأس كل تقوى]. وقال سعيد بن جبیر: لا إله إلا الله، والجهاد في سبيله. وقال عطاء الخراساني: هي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وقال الزهري: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). وقال قتادة: لا إله إلا الله.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: كان المسلمون أحقَّ بها، أي: أحقَّ بها من كفار مكة وسائر الناس، لأن الله تعالى اختارهم لدينه وصحبه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَهْلَهَا﴾ قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "يحتمل أنه يفهم من معنى الأحق أنه يُثبت رجحانًا على الكافرين إن لم يُثبت الأهلية"<sup>(٢)</sup>، وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي: لأن الله سبحانه أהלَّهم لدينه وصحبه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ"<sup>(٣)</sup>، وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "لما يعلم الله عَزَّجَلَّ عندهم وفي قلوبهم من الخير، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾"<sup>(٤)</sup>.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر"<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (٢٨٩ / ١٦).

(٢) تفسير الرازي (٨٥ / ٢٨).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٦٤ / ٥).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٩٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٣٤٦ - ٣٤٥ / ٧).

أوجه الشناء:

- مِنَّةُ اللَّهِ تعالى على النبي ﷺ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَأَن كَفَّ عَنْهُمْ أَيْدِي النَّاسِ، فلم تُرَقْ دُمَاؤُهُمْ، ولم ينلهم قتال.

- إِكْرَامُ اللَّهِ تعالى للمؤمنين من الصحابة في مكة من المستضعفين، فتأخر فتح مكة رحمة بهم أن يطأهم جيش الحديدية فتصيبهم معرة بغير علم، ولولا وجودهم بين ظهراي المشركين لسلط الله عزَّجَلَّ رسوله ﷺ وصحبه على كفار مكة، وعذبهم الله جَلَّ جَلَالُهُ عَذَابًا أَلِيمًا على أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ.

- إِنْزَالُ السَّكِينَةِ عَلَيْهِمْ ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> والسكينة الوقورة الهادئة، كالتقوى كلتاها تليق بالقلب المؤمن الموصول بربه، الساكن بهذه الصلة، المطمئن بما فيه من ثقة، المراقب لربه في كل خلجة<sup>(١)</sup> وكل حركة، فلا يبطر ولا يطغى ولا يغضب لذاته، إنما يغضب لربه ودينه، فإذا أُمِرَ أن يسكن ويهدأ خشع وأطاع في رضا وطمأنينة.

- ﴿وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ النَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وهذا ثناء آخر من ربه

(١) الاختلاج: الحركة والاضطراب. لسان العرب (٢/٢٥٨).

عليهم، إلى جانب الامتنان عليهم بما أنزل على قلوبهم من سكينته، وما أودع فيها من تقوى، فهم قد استحقوها في ميزان الله عَزَّوَجَلَّ، وبشهادة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو تكريم بعد تكريم، وثناء بعد ثناء، وعطاء بعد عطاء، صادر عن علم وتقدير ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

- وصف الله تعالى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحبه بالتقوى وصفًا بليغًا عميقًا في الدلالة وأكيدًا في المعنى، فتأمل في قوله تعالى:

- ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ فهي لا تنفك عنهم.
  - ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ فتأمل في أفعال التفضيل «أحق»، فلا يلحقهم غيرهم بهذه الأحقية.
  - ﴿وَأَهْلَهَا﴾ بذواتهم وكريم أفعالهم وأقوالهم.
- فجمعت المكرمة: إلزامهم والتزامهم بكلمة التقوى، وأحقيتهم بها، وأنهم أهلها الجديرون بها.
- ﴿وَأَهْلَهَا﴾ دفعًا لتوهم أن تفضيل الصحابة رِضَاً لِلَّهِ عَنْهُمْ وأحقيتهم تفضيل مجرد بلا أهلية، كما تقدمت الإشارة لهذا في كلام الفخر الرازي.



٤٥- بشارۃ المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
بشفاء صدور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
وذهاب الغيظ من الكفار بهزيمتهم

### الآيتان ١٤-١٥ من سورة التوبة

﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ  
وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۖ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ  
اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يقتلهم  
الله تعالى بأيديكم، ﴿وَيُخْزِيهِمْ﴾ ويذلهم بالأسر والقهر، ﴿وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ﴾  
ويُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ويُبْرِئ داء قلوب قوم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ مما كانوا ينالونه  
من الأذى منهم. وقال مجاهد والسدي: أراد صدور خزاعة حلفاء رسول  
الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حيث أعانت قريش بني بكر عليهم، حتى نكؤوا فيهم



فشفى الله تعالى صدورهم من بني بكر بالنبي ﷺ  
وبالمؤمنين.

﴿ وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ ﴾ كَرَّبَهَا وَوَجَدَهَا بِمَعُونَةِ قَرِيشٍ بِكَرٍّ عَلَيْهِمْ،  
ثم قال مستأنفاً: ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ فيهديه إلى الإسلام كما فعل  
بأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
حَكِيمٌ ﴾ (٦١) ﴿ (١) 》.

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: " هذه الآية تدل على كون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
مؤمنين في علم الله تعالى إيماناً حقيقياً؛ لأنها تدل على أن قلوبهم كانت  
مملوءة من الغضب ومن الحمية لأجل الدين، ومن الرغبة الشديدة في علو  
دين الإسلام، وهذه الأحوال لا تحصل إلا في قلوب المؤمنين. واعلم أن  
وصف الله عَزَّجَلَّ لهم بذلك لا ينفي كونهم موصوفين بالرحمة والرافة، فإنه  
تعالى قال في صفتهم ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال  
أيضاً: ﴿ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿ (٢) 》.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: " وهذا يدل على محبة الله تعالى لعباده المؤمنين

(١) تفسير البغوي (١٨/٤).

(٢) تفسير الرازي (١٦/٦-٧).

واعتنائه بأحوالهم حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم <sup>(١)</sup>.

#### أوجه الثناء:

- الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم كانوا من جند الله تعالى الذين يسلطهم على أعدائه، وتأمل في قوله: ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، فهي أيدٍ مباركة يتحقق بها مراد الله تعالى وأمره.

- الشهادة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالإيمان ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾، وأن صدورهم تتحرّق لأجل دين الله تعالى وغيظاً على الكفار، وهذه من أعظم معاني الإيمان: الحب في الله والبغض في الله عَزَّ وَجَلَّ.

- لطف الله تعالى بالصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعنايته بهم إلى درجة العناية بشفاء صدورهم وذهاب غيظهم من أعدائهم وسعادتهم برؤية هزيمتهم ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾، وهذا دليل ظاهر على محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإكرامه لهم.

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٣١).



رابعاً: دفاع المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**  
عن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وحفظه لمكانتهم





من صفات الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** العظيمة: دفاعه عن أحبائه وأوليائه، وغيرته عليهم أن ينالهم أحد بسوء، وقد مدح الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نفسه بهذا فقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾**.

فمن دافع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عنه فهو مؤمن حبيب لله **جَلَّ وَعَلَا**.

فماذا سيقول كارهو الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ومبغضوهم حين يرون أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يردُّ على من أساء إلى الصحابة بالقول أو الفعل، بل ويعاتب نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لأجلهم، ويأمره بالإحسان إليهم والترفق معهم وحفظ مكانتهم، وينهاه عن التقليل من شأنهم أو الابتعاد عنهم؟!

هذا الدفاع وهذا الحرص على التأكيد على مكانتهم دليل واضح على فضلهم عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وهذه الآيات القادمة تحكي وتبين هذا المعنى العظيم.

٤٦- رد المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَنْ  
أَسَاءَ الْقَوْلَ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الآية ١٣ من سورة البقرة

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ  
هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣)

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾، في المقول لهم قولان:  
أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومقاتل.  
والثاني: المنافقون، قاله مجاهد، وابن زيد" (١).

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإنما عَنِ الْمُنَافِقِينَ بَقِيلَهُمْ: ﴿أَنُؤْمِنُ  
كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ إِذْ دُعُوا إِلَى التَّصَدِيقِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبما جاء

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٣).

به من عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، والإقرار بالبعث فليل لهم: ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأتباعه من المؤمنين المصدقين به، من أهل الإيمان واليقين، والتصديق بالله تعالى، وبما افترض عليهم على لسان رسوله محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وفي كتابه، وباليوم الآخر. فقالوا إجابة لقائل ذلك لهم: أنؤمن كما آمن أهل الجهل، ونصدق بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام؟ كالذي عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وعن ناس من أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾، يعنون أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**...

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا خبرٌ من الله تعالى عن المنافقين الذين تقدّم نعتهم لهم، ووصفهم إياهم بما وصفهم به من الشك والتكذيب - أنهم هم الجهّال في أديانهم، الضعفاء الآراء في اعتقاداتهم واختياراتهم التي اختاروها لأنفسهم، من الشك والريب في أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** وأمر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأمر نبوته، وفيما جاء به من عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأمر البعث، لإساءتهم إلى أنفسهم بما أتوا من ذلك وهم يحسبون أنهم إليها يُحسنون، وذلك هو عَيْنُ السَّفَه؛ لأن السفه إنما يُفسد من حيث يرى أنه يُصلح، ويُضيع من حيث يرى أنه يحفظ، فكذلك المنافق: يعصي ربه من حيث يرى أنه يطيعه، ويكفر به من حيث يرى أنه يؤمن به، ويسيء إلى نفسه

من حيث يحسب أنه يُحسن إليها، كما وصفهم به ربنا جلّ ذكره، فقال:  
﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، وقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ  
السُّفَهَاءُ﴾ - دون المؤمنين المصدّقين بالله وبكتابه، وبرسوله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وثوابه وعقابه - ﴿وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، وكذلك كان ابن  
عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يتأول هذه الآية "(١)".

وقال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ أي إيماناً  
مقروناً بالإخلاص بعيداً عن النفاق".

وقال: "ثم إن الله تعالى قلب عليهم هذا اللقب، وقوله الحق لوجه:  
أحدها: أن من أعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به إلى السفاهة؛  
فهو السفية.

وثانيها: أن من باع آخرته بدنياه فهو السفية.

وثالثها: أن من عادى محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فقد عادى الله  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وذلك هو السفية "(٢)".

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٩٣-٢٩٥) مختصراً.

(٢) تفسير الرازي (٢/ ٦١-٦٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أي: صدَّقوا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وشرعه، كما صدَّق المهاجرون والمحققون<sup>(١)</sup> من أهل يثرب"<sup>(٢)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- دفاع رب العزة والجلال عن جناب صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وردَّه تعالى على المنافقين واليهود بأنهم هم السفهاء وليس أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المؤمنين به.
- حرص الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على دعوة غيرهم للإسلام، كما تقدم أنهم قالوا لليهود أو المنافقين: ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾، وحثوهم على الدخول فيما دخل فيه الناس من الهدى والدين الحق، وذلك ناشئ عن أمرين:
- ١- يقينهم بصدق ما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإيمانهم الراسخ به.

(١) هم الذين حققوا الإيمان فلم يخالطه شك أو نفاق، وذلك احترازاً من المنافقين من أهل يثرب.

(٢) تفسير القرطبي (١/٢٠٥).



٢- حبهم للخير والدعوة إليه، وهذا من كمال إيمانهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

- أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم ﴿النَّاسُ﴾ هم الأمة، هم الأكثر، هم الأغلب، ومن عدا الصحابة ليسوا إلا شاذين عن الهدى، ضالين عن طريق الحق، و(ال) في ﴿النَّاسُ﴾ وكذلك أصل كلمة الناس، يدل على الكثرة، وفي المدينة الكثير ممن آمن بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، من المهاجرين والأنصار.. وفي هذا ردُّ على الشيعة الذين يقصرون الإيمان بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على النزر اليسير، وحكموا برِدَّة بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- ومما يؤكد على أن هؤلاء الناس من أهل الإيمان، الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤٠]، إذ تضمنت الآية نسبة الإيمان للسواد الأعظم ممن هم حول النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكيف يعاملهم المنافقون؛ فإن القلة الشاذة تناق الأكثر والسواد الأغلب، ولو كان المؤمنون قلة ما احتاج المنافقون لممارسة التقية معهم.

- نيل المنافقين واليهود من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ واتهامهم لهم بالسفه ناتج عن المفاصلة بين الصحابة وبين المنافقين والكافرين، فلو كانوا على مودة بينهم لما اتهموهم بالسفه، وهذا يجسد مبدأ الولاء والبراء عند الصحابة الكرام، فليس لديهم أيَّة مودة لمن حادَّ الله تعالى ورسوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفيه إشارة إلى معرفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لكثير من المنافقين.

- وصف الله تعالى للمنافقين واليهود بقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يتضمن الثناء على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمفهوم المخالفة، فلو كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جهلة؛ لما كان لو صف المنافقين واليهود بالجهل وعدم العلم كبير فائدة.

- حكم الله تعالى بالإيمان لجمهور أهل المدينة ممن آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتبنيهم للدعوة للدين الحق، مع أنهم لا يعتقدون عقيدة الشيعة في الإمامة والولاية مما يجعله الشيعة ركناً وشرطاً في الإيمان؛ مما يدل على أن أصول الشيعة هي أصول باطلة، لم يجعلها ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شرطاً في الإيمان، لا شرط صحة ولا شرط كمال، ولا واجبة، ولا سنة، فلا دليل عليها، بل إنها منكرة كما دلت الآيات على ذلك.

- كل من طعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَدْ وَثَّه اليهود وأهل النفاق.



٤٧- دفع المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ  
الصحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَرَّ أَعْدَائِهِمْ

الآية ١١ من سورة المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ  
يَبْسُطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "يُذَكِّرُ تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة،  
ويحثهم على تذكّرها بالقلب واللسان، وأنهم - كما أنهم يُعَدُّون قتلهم  
لأعدائهم، وأخذ أموالهم وبلادهم وسيبهم نعمة - فليَعُدُّوا أيضاً إنعامه  
عليهم بكف أيديهم عنهم، ورد كيدهم في نحورهم نعمة؛ فإن الأعداء قد  
هموا بأمر، وظنوا أنهم قادرون عليه، فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم،  
فهو نصر من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده المؤمنين ينبغي لهم أن يشكروا الله عَزَّ وَجَلَّ

على ذلك، ويعبدوه ويذكروه، وهذا يشمل كل من همّ بالمؤمنين بِشَرٍّ، من كافر ومنافق وباغ، كفَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** شره عن المسلمين، فإنه داخل في هذه الآية.

ثم أمرهم بما يستعينون به على الانتصار على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ويتبرؤوا من حولهم وقوتهم، ويثقوا بالله تعالى في حصول ما يحبون، وعلى حسب إيمان العبد يكون توكله، وهو من واجبات القلب المتفق عليها<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وذكر محمد بن إسحاق بن يسار، ومجاهد وعكرمة، وغير واحد: أنها نزلت في شأن بني النضير، حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الرحى، لما جاءهم يستعينهم في دية العامرين، ووكلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك، وأمروه إن جلس النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تحت الجدار واجتمعوا عنده أن يلقي تلك الرحى من فوقه، فأطلع الله **عَزَّ وَجَلَّ** رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على ما تمالؤوا عليه، فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه، فأنزل الله تعالى في ذلك: **﴿يَكْأَيُّهَا**

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٢٥).

الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ثم أمر رسول الله ﷺ أن يغدو إليهم فحاصرهم، حتى أنزلهم فأجلاهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني: من تَوَكَّلَ على الله تعالى كفاه الله عَزَّوَجَلَّ ما أهتمَّه، وحفظه من شر الناس وعَصَمَهُ" (١).

يقول رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي: اذكروا نعمة الله تعالى عليكم بعنايته بكم؛ إذ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ؛ أي: شارفوا أن يمدوا أيديهم إليكم بالقتل، فكفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، فلم يستطيعوا تنفيذ ما همَّوا به وكادوا يفعلونه من الإيقاع بكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الذي أراكم قدرته على أعدائكم وقت ضعفكم وقوتهم، وتوكلوا عليه وحده، فقد أراكم عنايته بمن يَكِلُون أمورهم إليه بعد مراعاة سننه، والسير عليها في اتقاء كل ما يخشى ضرَّه وسوء عاقبته.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بقدرته وعنايته وفضله ورحمته، لا على

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٣-٦٤).

أنفسهم أنفسهم، ولا على أوليائهم وحلفائهم؛ لأن هؤلاء قد يغدرون كما غدر بنو النضير وغيرهم؛ ولأن أنفسهم قد يكثُر عليها الأعداء، وتتقطع بها الأسباب، فتقع بين أمواج الحيرة والاضطراب، حتى تفقد البأس، وتجيِب داعي اليأس.

ولا يقع هذا للمؤمن المتوكل على الله تعالى؛ لأنه إذا همَّ أن ييأس من نفسه بتقطع الأسباب، وتغليق الأبواب، وتغلب الأعداء، وتقلب الأولياء، يتذكر أن الله تعالى وليه ووكيله، وأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وأنه هو الذي يجير، ولا يجار عليه، فتتجدد قوته، وتنفق حيلته<sup>(١)</sup>، فيفر منه اليأس، ويتجدد عنه ما اخلولق<sup>(٢)</sup> من البأس، فينصره الله تعالى بما يستفيد من الإيمان والذكرى والتوكل، وما يخذل به عدوه ويلقي في قلبه من الرعب، وبغير ذلك من ضروب عنايته **عَزَّجَلَّ**، التي رآها كل متوكل من المؤمنين الكَمَلَة، مع سيد المتوكلين محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أيام ضعفهم وقتلهم وفقرهم، وتألب الناس كلهم عليهم<sup>(٣)</sup>.

(١) الفتق: هو فتح في الشيء، والحيلة: ما يتوصل به إلى حالة ما في خفية، وأكثر استعمالها فيما في تعاطيه خبث، وقد تستعمل فيما فيه حكمة. مقاييس اللغة (٤/ ٤٧١)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٢) اخلولق الشيء: لان واستوى حتى كأنه يضمحل. لسان العرب (١٠/ ٩٠).

(٣) تفسير المنار (٦/ ٢٣٠).

### أوجه الثناء :

- تذكير الله تعالى النبي ﷺ والصحابة بما منَّ عليهم من كفِّ أعداء الله عزَّجَلَّ عنهم بني النضير وغيرهم.

- وصف الإيمان، إذ ناداهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذلك الوصف الدالَّ على تحليّهم بالإيمان وصدق الاتباع لما جاء به النبي ﷺ عن ربه تعالى، وهذا مقام تشريف وثناء.

- أن الله عزَّجَلَّ أثبت لهم عبادة التوكل، فخاطبهم ابتداءً بوصف الإيمان، ثم قال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١) مما يُبين أن مقتضى التوكل أن يكون الإنسان مؤمناً، فأثبت لهم عبادة التوكل، ومن نتائج توكلهم على الله جَلَّ جَلَالُهُ أن أكرمهم الله عزَّجَلَّ بأن كفَّ أيدي الكفار عنهم.

من المواقف التي كفَّ الله عزَّجَلَّ شر الأعداء عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

١- كفَّ أيدي المشركين بمكة عن الرسول ﷺ وأبي بكر وبعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مكة.

٢- خروج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مهاجرين إلى المدينة وتمكنهم من الهجرة، ومنع أيدي قريش من النيل من أكثرهم.

٣- كف أيدي كفرة قريش عن المهاجرين إلى الحبشة، وردَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** بالنجاشي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ما كانت قريش تريده.

٤- كف الله تعالى المشركين عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في الهجرة، مع بذل المشركين كل طاقتهم وتسخير كل ما أمكنهم لمنع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من الوصول إلى المدينة.

٥- كف الله تعالى جيش المشركين في غزوة أحد عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، فبعد الهزيمة كان بإمكان المشركين إبادة المسلمين إبادة شاملة، ولكن الله **عَزَّوَجَلَّ** كفَّهم عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والصحابة، واكتفوا فقط بالثأر لبدر.

٦- ما ورد في حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: «غزونا مع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غزوةً قبل نجد، فأدركنا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في واد كثير العضاء، فنزل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً<sup>(١)</sup> في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم

(١) أصلت السيف إذا جرده من غمده. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٥).



قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله، قال: فَشَامَ السَّيْفَ <sup>(١)</sup> فها هو ذا جالس» ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup>.

٧- في صلح الحديبية ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا امتنان من الله عَزَّوَجَلَّ على عباده المؤمنين حين كفَّ الله تعالى أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكفَّ أيدي المؤمنين من المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام، بل صان الله عَزَّوَجَلَّ كلا من الفريقين، وأوجد بينهم صلحاً فيه خيرة للمؤمنين، وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة" <sup>(٣)</sup>.

وهذا من عناية المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهم في تلك المواقف وغيرها حيث امتن الله تعالى على نبيه ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأن دفع عنهم كيد الكافرين، وكف عنهم أيدي المعتدين.



(١) أي: أدخله في غمده. شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠١/٥).

(٢) البخاري (١١٦/٥ رقم ٤١٣٩)، مسلم (١٧٨٦/٤ رقم ٨٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٤٢/٧).

٤٨- أمر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْعَفْوِ عَنِ الصَّحَابَةِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَمَشَاوَرَتِهِمْ

### الآية ١٥٩ من سورة آل عمران

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ قَدْ غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ  
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ  
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى مخاطباً رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،  
ممتناً عليه وعلى المؤمنين، فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره،  
التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ قَدْ غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي: أي  
شيء جعلك لهم ليناً لولا رحمة الله عزَّجَلَّ بك وبهم. قال قتادة: يقول:  
فبرحمة من الله عزَّجَلَّ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ قَدْ غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ هذا خلق محمد

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعثه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ الفظ: الغليظ، والمراد به هاهنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله عزَّ وجلَّ جمعهم عليك، وألأن جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ولذلك كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يشاور أصحابه في الأمر إذا حَدَثَ، تطييباً لقلوبهم؛ ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم. وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.



#### أوجه الثناء:

- مَنَّةُ الله عزَّ وجلَّ ورحمته على الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾، فخلق اللين والحلم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نعمة من الله تعالى عليهم، وهم بها جديرون، وقد ظهر كمال أخلاق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليهم فاكثسوا بها.

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٤٨-١٥٠) مختصراً.

- أمر الله تعالى نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالعفو عمن يسيء منهم، وقد فعل ذلك **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عليه مراراً.

- أمر الله تعالى نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالاستغفار لهم، وقد فعل ذلك الحبيب **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ففاض الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بهذا الفضل مراراً.

- أمر الله تعالى نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بإشراكهم في قضايا الأمة، ومشاورتهم فيما هو مجال المشورة، وفي هذا رفعة لشأنهم وعلو كعبهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

- أمر الله تعالى نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** باللين والعفو والاستغفار لأصحابه؛ كونهم أهل إيمان وتقوى وحب لله ولرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وما يقع منهم من زلل فهو لأسباب بعيدة عن مرتبط الإيمان وحب الله **عَزَّ وَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، بدليل أن الله تعالى أمره بمقابل ذلك بالغلظة والشدة على المنافقين والكافرين؛ فقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، فدلالة الشئ واضحة جلية؛ رفق بالمؤمنين، وشدة على الكافرين والمنافقين، وليس للشانئين<sup>(١)</sup> للصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أي مستمسك أمام هذه الفضائل والشئاء في القرآن الكريم. **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم.

(١) الشانئ هو المبغض. المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٦٥).

٤٩- نهى المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ طَرْدِ بَعْضِ  
فُقَرَاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَابْعَادِهِمْ

### الآيتان ٥٣-٥٢ من سورة الأنعام

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٣)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: لا تُبْعِدْ هَؤُلَاءِ الْمُتَصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ عَنْكَ، بَلْ اجْعَلْهُمْ جُلَسَاءَكَ وَأَخِصَّاءَكَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَلَا تَعُدْ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَّ

أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يعبدونه ويسألونه ﴿بِالْغَدَوَةِ وَالْعِشِيِّ﴾ قال سعيد بن المسيب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: المراد بذلك الصلوات المكتوبات، وهذا كقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] أي: أُنْقَبَلْ منكم.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم، فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ كما قال نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في جواب الذين قالوا: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (١١٣) قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٣) إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿[الشعراء: ١١١-١١٣]، أي: إنما حسابهم على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وليس عليّ من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء.

﴿فَتَطَرَّدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن فعلت هذا والحالة هذه، عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: مرّ الملاء من قريش برسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وعنده: صهيب، وبلال، وعمار، وخبّاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد! أَرْضِيتَ بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** عليهم من بيننا؟ ونحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك

إن طردتهم أن نتبعك! فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ إلى آخر الآية [رواه أحمد]، وعن سعد قال: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، منهم ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: كنا نسبق إلى النبي ﷺ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وندنو منه ونسمع منه، فقالت قريش: يُدْنِي هؤلاء دوننا! فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [رواه مسلم].

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض؛ ﴿لِيَقُولُوا أَهْؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان غالب من اتبعه في أول البعثة، ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل، كما قال قوم نوح لنوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّائِكَ﴾ الآية [هود: ٢٧]، وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حين سألته عن تلك المسائل، فقال له: [فهل اتبعه ضعفاء الناس أو أشرافهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فقال: هم أتباع الرُّسل].

والغرض: أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفاءهم، ويعذبون من يقدر عليهم، وكانوا يقولون: ﴿أَهْؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾

يَبِينُ؟ أي: ما كان الله **عَزَّوَجَلَّ** ليهدي هؤلاء إلى الخير - لو كان ما صاروا إليه خيراً - ويدعنا، كما قالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]، قال الله تعالى في جواب ذلك: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾ [مريم: ٧٤]، وقال في جوابهم - حين قالوا: ﴿أَهْتَوُلَاءِ مِنْ لَّدُنْكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ يَّبِينًا﴾ - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ أي: أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم، فيوفِّقهم ويهديهم سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وفي الحديث الصحيح: «إن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [رواه مسلم] <sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ حال من ضمير «يدعون»، أي: يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون به هذا الدعاء وجهه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، مبتغين مرضاته، أي يتوجهون به إليه وحده مخلصين له الدين، فلا يشركون معه أحداً، ولا يرجون من غيره عليه ثواباً، ولا يتوقعون به من أحد مدحاً ولا

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٩-٢٦١).



نفعا، فهذا التعبير يدل على الإخلاص لله تعالى في العمل وابتغاء مرضاته به وحده وعدم الرياء فيه <sup>(١)</sup>.

### أوجه الثناء:

- ينهى الله تعالى نبيه ﷺ أن يُبعد المؤمنين، أو أن ينأى عن مجالستهم، لاسيما الضعفاء منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفي هذا منقبة عظيمة، أن يختارهم الله تعالى جلساء لأكرم خلقه عليه، ولم يكتفِ الله عزَّوَجَلَّ بنهي الحبيب ﷺ عن إبعادهم ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾، بل جاء الأمر الصريح بأن يصبر ﷺ نفسه معهم ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

- وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأنهم أهل عبادة ودعاء لربهم تعالى بالغداة والعشي ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

- ذكر الله عزَّوَجَلَّ أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مخلصون في عبادتهم ودعائهم لا يرجون إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي هذا دلالة على صلاح باطنهم.

(١) تفسير المنار (٧/ ٣٦٤).

- عتاب الله تعالى لنيبه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وتهديده بأنه سيكون من الظالمين إن طردهم ونأى عن مجالستهم **﴿فَتَطْرُدْهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**، فتأمل ذلك فإنه عظيم الدلالة في تركيتهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم.

- إنكار الله تعالى على الكافرين الذين قالوا: **﴿أَهْؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾** يدل على عظيم منة الله **عَزَّ وَجَلَّ** على الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

- وصف الله تعالى الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بأنهم شاكرون، **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾**.

- الأقربون من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** الذين نهاه الله **عَزَّ وَجَلَّ** عن طردهم وأمره بمجالستهم قوم قد شهد لهم القرآن بأنهم أصحاب عبادة ودعاء وكثرة ذكر بالغداة والعشي، وأنهم مخلصون موحدون لا يرجون إلا وجه الله تعالى، وأنهم شاكرون؛ فكيف يقول الشيعة: إنهم منافقون؟! **﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنفَ يُؤْفَكُونَ﴾** [التوبة: ٣٠].



٥٠- أمر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ

مع السابقين الأولين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآية ٢٨ من سورة الكهف

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا  
قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ﴾ (٢٨)

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم أن أكابر قريش اجتمعوا، وقالوا لرسول  
الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن أردت أن نؤمن بك فاطرد هؤلاء الفقراء من  
عندك، فإذا حضرنا لم يحضروا، وتعين لهم وقتاً يجتمعون فيه عندك فأنزل  
الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ  
مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٢)

[الأنعام: ٥٢] الآية، فبيّن فيها أنه لا يجوز طردهم، بل تجالسهم وتوافقهم وتعظم شأنهم ولا تلتفت إلى أقوال أولئك الكفار ولا تقيم لهم في نظرك وزناً سواء غابوا أو حضروا.

وهذه القصة منقطعة عما قبلها وكلام مبتدأ مستقل، ونظير هذه الآية قد سبق في سورة الأنعام وهو قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ففي تلك الآية نهى الرسول ﷺ عن طردهم وفي هذه الآية أمره بمجالستهم والمصابرة معهم<sup>(١)</sup>.

وقال الشنقيطي رحمه الله: "وقد نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين كعمار، وصهيب، وبلال، وابن مسعود رضي الله عنهم ونحوهم، لما أراد صناديد الكفار من النبي ﷺ أن يطردهم عنه، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين.

وقد قدمنا في سورة الأنعام أن الله عز وجل كما أمره هنا بأن يصبر نفسه معهم أمره ألا يطردهم، وأنه إذا رآهم يسلم عليهم، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى قوله:

(١) تفسير الرازي (٢١/ ٤٥٥).

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا لَيْدْنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٤]، وقد أشار إلى ذلك المعنى في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَعَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا (١١)﴾ [عبس: ١-١١] (١).

وقال السعدي رحمه الله: "يأمر تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي - أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ﴾ أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله تعالى، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك.

وفي الآية استحباب الذكر والدعاء والعبادة طرقي النهار، لأن الله تبارك وتعالى مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله عز وجل فاعله، دل ذلك على أن الله عز وجل يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه (٢).

(١) أضواء البيان (٣/ ٢٦٣).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٧٥).

جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** هذه الآيات العظيمة التي تتلى إلى قيام الساعة في بيان فضل الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم والرد على أصحاب الأساطير والقصص والروايات الكثيرة التي لا خطام لها ولا زمام، وقال لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: اصبر نفسك مع هؤلاء، صاحبهم وجالسهم وعلمهم، ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات، فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها من باب السياسة والتغلب على خصومهم، ومن يعتنقونها ليقودوا بها الأتباع، أو يحققوا بها الأطماع، أو يتجروا بها في سوق الدعوات تُشترى منهم وتباع! إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** خالصة له، لا تبغي جاهاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً، إنما تبغي وجهه وترجو رضاه.

ولا يتحول اهتمامك عنهم إلى مظاهر الحياة التي يستمتع بها أصحاب الزينة، فهذه زينة الحياة الدُّنيا لا ترتفع إلى ذلك الأفق العالي الذي يتطلع إليه من يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

#### أوجه الشناء:

- نهيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** عن الإعراض والنأي عنهم، ويا له من ثناء من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتكريم وتشريف أن يأمر الله **جَلَّ جَلَالُهُ** خير خلقه بأن لا ينأى عن أولئك المؤمنين من الصحابة الأكرمين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، كما في سورة الأنعام

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]، لكنه زاده هنا فأمره الله تعالى بمجالستهم، والاصطبار في تعليمهم، وفي هذه الآية مزيد فضل وثناء على الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- أنهم مخلصون في عبادتهم ودعائهم لا يرجون إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

- امتثال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمر ربه تعالى فأدنى منه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، سواء قبل الهجرة أو بعدها؛ فقد كان يجتمع بهم ويجالسهم في مكة بدار الأرقم، ويعلمهم، ومنهم الصديق أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزيبر، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وابن أم مكتوم، وعمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وفي المدينة كانت جلساته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ظاهرة علنية في مسجده، وجعل الصُفَّةَ في المسجد للفقراء من المهاجرين وغيرهم، وكلهم تحقق فيهم وصف الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، وكانت قلوبهم محلاً للإيمان، ومأوى للتقوى، ف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

- لما قال الله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ كان هذا مدحا للصحابة بيقظة القلوب، واتباع الهدى لا الهوى،

واجتماع شأنهم، إذ هم ضد من غفل قلبه، واتبع هواه، وشتت أمره وضاع.

- هؤلاء المقربون من النبي ﷺ الذين أمره بمجالستهم قوم قد شهد لهم القرآن بأنهم أصحاب عبادة ودعاء وكثرة ذكر بالغداة والعشي، وأنهم مخلصون موحّدون لا يَرجون إلا وجه الله تعالى؛ فكيف يقول الشيعة في رواياتهم المزعومة: إنهم منافقون؟! ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَفَّ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وهل يتصور عاقل أن تأتي هذه الآيات العظيمة، تأمر النبي ﷺ بأن يصبر نفسه مع الصحابة ويكرمهم، والله جَلَّ جَلَالُهُ يعلم أنهم سيرتدون ويحاربون دينه؟! تعالى الله عما يقوله الكاذبون! فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم السر وأخفى، ويعلم ما كان وما سيكون، قد أحاط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكل شيء علماً.



٥١- أمر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالتسليم على

الصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتبشيرهم برحمة الله

### الآية ٥٤ من سورة الأنعام

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

قال ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فأكرمهم برّد السلام عليهم، وبشّرهم برحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** الواسعة الشاملة لهم؛ ولهذا قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾، قال بعض السلف: كل من عصى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فهو جاهل. وقال

عِكرمة: الدنيا كلها جهالة.

﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ أي: رجع عما كان عليه من المعاصي، وأقلع وعزم على ألا يعود وأصلح العمل في المستقبل، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» [متفق عليه].

ومما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضاً: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أتدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً»، ثم قال: «أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ ألا يعذبهم» [متفق عليه] (١).

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد أكرمهم الله عَزَّ وَجَلَّ كرامتين:

الأولى: أن يبدأهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالسلام حين دخولهم عليه وهي مزية لهم، لأن شأن السلام أن يتدثه الداخل، ثم يحتمل أن هذا حكم مستمر معهم كلما أدخلوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أنه للمرة التي يبلغهم فيها هذه البشارة، فنزل هو منزلة القادم عليهم؛ لأنه زف إليهم هذه البشرى.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٢-٢٦٣) مختصراً.

والكرامة الثانية هي: بشارتهم برضا الله عَزَّوَجَلَّ عنهم بأن غفر لهم ما يعملون من سوء إذا تابوا من بعده وأصلحوا، وهذا الخبر وإن كان يعم المسلمين كلهم فلعله لم يكن معلوماً، فكانت البشارة به في وجوه المؤمنين يومئذ تكرمة لهم ليكونوا ميموني النقية على بقية إخوانهم والذين يجيئون من بعدهم<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى عليك أخي القاريء أن الذين جاؤوا يؤمنون بالآيات هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهم المعنيون والمقصودون أصالة، وغيرهم يدخل في ذلك تبعاً.

#### أوجه الثناء:

- أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا جاءه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يكرمهم بابتداء السلام عليهم، ويشرهم برحمة الله عَزَّوَجَلَّ الواسعة الشاملة لهم ﴿وَلِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

- وصف الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بوصف الإيمان ﴿وَلِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾.

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٢٥٧).

- أمر الله تعالى نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بأن يقول لهم: **﴿سَلِّمُوا عَلَيَّكُمْ﴾**، وتلك تحية تحمل مشاعر الود والسلام والإسلام، ومعلوم لدى الجميع أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يخاطب الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** الذين يشهدون معه الصلوات، ويحضرون مجالسه، وأما أهل النفاق فشهودهم للصلاة قليل، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.

- فيه إشارة إلى عدم عصمة الصحابة **﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾**، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وبيان ما يجب عليهم من التوبة والإصلاح إذا حصل منهم زلل أو سوء، ووعدهم المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالمغفرة والرحمة.



**٥٢- ذكر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**  
**سؤالات الصحابة : (يسألونك) وجوابه**  
**تشریفاً لهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

سبحان الله! لو قابلت عالماً مشهوراً وأخذت عنه العلم أصبح ذلك  
 مفخرة لك، فكيف لو انضاف لذلك أن أخذت منه سنداً في التلاوة!!

وهنا أعظم تخليد على مر الزمان يحظى به الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

الصحابة يسألون من؟ يسألون سيد البشر، ويأخذون الفتوى من سيد  
 الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ..

أخذوا القرآن من فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مباشرة، وكذلك الحديث،  
 فجاءت آيات كثيرة تذكر أسئلة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وتجييب عنها

- ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِالتَّامَةِ  
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ

وَإِنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩].

- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦].

- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ  
تُعَلِّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ  
سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ  
بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وتأمل في هذه الأسئلة وهي كثيرة.

#### أوجه الشناء:

- أنها كلها أسئلة عمل وليست أسئلة جدل، فالقوم كانوا أهل جدّ  
وتشمير، لا يسألون إلا عما يفيد وينفع ويثمر عملاً ويقرب إلى الله تعالى.

- أجابهم الله تعالى عن هذه الأسئلة ولم يتركها، وهذه شهادة عظيمة  
وتشريف جليل، فإن الجاهل والمتعنت حقّه الإعراض ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ  
الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وأما طالب العلم الصادق فحقّه الإجابة

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

والإفادة ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ ٨ ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ٩ ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ ١٠ ﴿كَلَّا﴾ [عبس: ٨-١١].

- تأمل في هذه السؤالات فهي من البشر وهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،  
والمولى الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أجاب عنها، وأمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإبلاغ  
السائلين إجاباته، وهذا ثناء لا يحصر وشرف عظيم لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- كم للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من فضل على الأمة حين سألوا هذه الأسئلة  
فانتفعت الأمة بمعرفة حكم الله تعالى فيها، وصارت قرآناً يؤجر من تلاه.





**خامساً: عناية المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**

**بتزكية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**

**وتوجيههم والعفو عنهم**





## تمهيد

عندما يقرأ المسلم في القرآن خطاب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للناس يدرك الفرق الواضح بين خطاب الله **جَلَّ وَعَلَا** لمن يحب ويرضى، وبين خطابه لمن يكره ويغض، ولا يلتبس الأمر إلا على من لا يفقه اللسان العربي ومعاني الكلام. فمثلاً حين نجد أن هناك فئة من الناس وقعوا في خطأ كبير، ثم نجد أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعفو عنهم ويتجاوز، ويوفقهم للتوبة ويتوب عليهم، وإذا عاتبهم فعتابه لهم يكون لطيفاً، بل ويواسيهم في مصيبتهم مع أنهم كانوا أحد أسبابها، ويشرهم بالخير في الدنيا والآخرة، وأكثر من هذا أنه يعتني بتوجيههم ونصحهم وإرشادهم، ويأمر نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالاعتناء بتزكيتهم، عندما نجد هذا كله هل يمكن أن نفهم أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يكره هؤلاء القوم أو أنهم من أعدائه؟!

اقرأ الآيات والمواقف الآتية، وتأمل فيها وستجد الأمر واضحاً كالشمس في رابعة النهار.

٥٣- مواساة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ  
وَتَسْلِيَتِهِ لَهُمْ

### الآيات ١٣٩-١٤١ من سورة آل عمران

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال تعالى مُسْلِيًّا لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: لا تَضَعُفُوا بسبب ما جرى، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون.

﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ﴾، أي: إِنْ كُنْتُمْ قَدْ

أصابتكم جراحٌ وقُتل منكم طائفةٌ، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتلٍ وجراحٍ.

﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُذَوُّ لَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: نُذيل <sup>(١)</sup> عليكم الأعداء تارة، وإن كانت العقابة لكم، لِمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [في مثل هذا لِنَرَى مِنْ يَصْبِرُ عَلَى مُنَاجَزَةِ الْأَعْدَاءِ].

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني: يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ، وَيُذَلُّونَ مُهْجَهُمْ فِي مَرْضَاتِهِ. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يُكْفِّرَ عَنْهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، إِنْ كَانَ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَإِلَّا رُفِعَ لَهُمْ فِي دَرَجَاتِهِمْ بِحَسَبِ مَا أُصِيبُوا بِهِ.

وقوله: ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: فَإِنَّهُمْ إِذَا ظَفَرُوا بِغَوَا وَبَطَرُوا فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ دِمَارِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ وَمَحَقِّهِمْ وَفَنَائِهِمْ" <sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثم نهى عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين عن الوهن لما أصابهم بأُحْدٍ، والحزن على مَنْ فُقد، وعلى مذمة الهزيمة، وأنسهم بأنهم الأعلون

(١) أي: نجعل الغلبة لهم عليكم. لسان العرب (١١/٢٥٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٢٦-١٢٧).

أصحاب العاقبة" (١).

### أوجه الشناء:

- ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ تسليّة من الله **عَزَّجَلَّ** للمؤمنين، وجبر لخواطرهم، ورفع لمعنوياتهم، فلا يضعفوا لما أصابهم، وهذا يدل على لطف الله **عَزَّجَلَّ** بهم ومحبته لهم.

- ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ علو مشروط بالإيمان، لا بالقربة ولا بالأنساب، وقد حقق الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ذلك الإيمان واليقين؛ فعلام يحزنون؟ ولماذا يهنون أو يضعفون؟ ما داموا هم الأعلى بإيمانهم، والعاقبة لهم بإذن ربهم؟! وقد أتم الله لهم النعمة ومكّن لهم.

- ابتلاء الصحابة الكرام في غزوة أحد بقتل بعضهم وجرح آخرين، كلّ ذلك ليكفر عنهم ذنوبهم ويتخذ منهم شهداء ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً﴾ وهذا فضل عظيم أن يكون الابتلاء لأجل رفعة الدرجات، وهو شأن المؤمنين.

- كرامة الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** على الله تعالى أن يتخذ منهم شهداء ويصطفيهم بهذه المنزلة العظيمة.

(١) تفسير ابن عطية (١/ ٥١٢).

- وَصَفَ الْإِيمَانَ لِمَنْ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ  
﴿وَلِيُمَخِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ سِوَاكَ كَانَ مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَهُ مِنَ الرَّمَاةِ، أَوْ مِمَّنْ  
رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَوْ مِمَّنْ وَضَعَ سَيْفَهُ وَلَمْ يُقَاتِلْ، أَوْ مِمَّنْ قَاتَلَ وَصَبَرَ مَعَ  
النَّبِيِّ ﷺ.

## الآية ١٦٦ من سورة آل عمران

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣١)

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ﴾ أي: فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحاتهم لآخرين كان بقضاء الله **عَزَّجَلَّ** وقدره، وله الحكمة في ذلك" (١).

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين جاهدوا مع الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من المنافقين، وهذا علم ظهور وبيان.

والمراد من الآية تسلية للمؤمنين مما أصابهم، والتسليية إنما تحصل إذا قيل إن ذلك وقع بقضاء الله تعالى وقدره، فحينئذ يرضون بما قضى الله (٢).

### أوجه الشفاء:

- ابتلاء الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بفرار بعضهم وقتل بعض آخر وجرح آخرين،

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٩).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٩/ ٤٢٢).

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

أخبرهم الله عزَّوجلَّ أن ذلك كان بقضاء الله وقدره، وقد أراد ذلك وقدره لحكمة بالغة، وذلك حتى تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، ويخف الألم والحزن الذي في صدورهم.

- أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفهم بالإيمان، وهم من كان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أُحُد، بخلاف من تخلفوا ووصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَنَّاكُمْ لَمَّا لَكُفِّرُوا يَوْمًا أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران: ١٦٧-١٦٨].

- عظيم مكانتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى ظاهرة في إنزاله هذه الآية وما بعدها، ليسليهم ويمحو من قلوبهم آثار ما لحق بهم من مصيبة.



٥٤- بشارۃ المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
بِعَفْوِهِ وَفَضْلِهِ عَلَى أَهْلِ أَحَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآية ١٥٢ من سورة آل عمران

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا  
فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا  
تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ  
ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو  
فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٢)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ  
بِإِذْنِهِ﴾" قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [وَعَدَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ]. وذلك كان يوم  
أُحُد، فلما واجهوا عدوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام، فلما  
حَصَلَ ما حَصَلَ - مِنْ عَصِيان الرُّمَاءِ وَفَشَلَ بَعْضُ الْمُقَاتِلَةِ - تَأَخَّرَ الْوَعْدُ



الذي كان مشروطاً بالثبات والطاعة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي: أول النهار.

﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ أي: تقتلونهم ﴿بِأَذْنِهِ﴾ أي: بتسليطه إياكم عليهم  
﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [الفشل: الجبن].

﴿وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ كما وقع للرماة ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ وهو الظفر بهم ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ثم أَدَالَهُمْ عليكم ليختبركم ويمتحنكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ أي: غفر لكم ذلك الصنيع، وذلك - والله أعلم - لصحة إيمانهم وصدقهم.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: [لو حلفت يومئذ رجوت أن أبر: أنه ليس أحد منا يريد الدنيا، حتى أنزل الله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾]، وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جيشاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا»، فلما لقيناهم هربوا، حتى رأينا النساء

يشتدون في الجبل، رفعن عن سوقهن، وقد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عهد إلي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ألا تبرحوا. فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم، فأصيب سبعون قتيلاً، فأشرف أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «لا تُجيبوه»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: «لا تُجيبوه». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قد قُتِلُوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، قد أبقي الله عَزَّجَلَّ لك ما يحزنك. فقال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعل هبل! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل»، فقال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لنا العزى ولا عزى لكم! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم»، قال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجال<sup>(١)</sup>، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني<sup>(٢)</sup>.

(١) سجال جمع سَجَل: الدلو المملأى ماء، والمعنى: مرة لنا ومرة علينا، وأصله أن المستقين بالسجل يكون لكل واحد منهم دور. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٣٤٤).

(٢) البخاري (٥/٩٤ رقم ٤٠٤٣).

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن عمه - أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - غاب عن بدر، فقال: غبت عن أول قتال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لئن أشهدني الله عَزَّجَلَّ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليرين الله عَزَّجَلَّ ما أجد، فلقي يوم أحد، فهزم الناس، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أين يا سعد؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد. فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته بينانه بشامة، وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم<sup>(١)(٢)</sup>.

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا عَوْدٌ إِلَى التَّسْلِيَةِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ، وإظهار لاستمرار عناية الله تعالى بالمؤمنين، ورمز إلى الثقة بوعدهم بإلقاء الرعب في قلوب المشركين، وتبيين لسبب هزيمة المسلمين؛ تطميناً لهم بذكر نظيره ومماثلته السابق، فإن لذلك موقعاً عظيماً في الكلام، وليتوسَّل بذلك إلى إلقاء تبعة الهزيمة عليهم، وأن الله عَزَّجَلَّ لم يُخْلِفْهُمْ وَعْدَهُ، ولكن سوء صنيعهم أوقعهم في المصيبة"<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري (٩٥ / ٥ رقم ٤٠٤٨)، مسلم (٣ / ١٥١٢ رقم ١٩٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ١٣٣-١٣٦).

(٣) التحرير والتنوير (٤ / ١٢٦-١٢٧).

- وَعَدَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الصحابة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** النصر لإيمانهم وإخلاصهم؛ فلما وقع البعض في مخالفة الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**؛ انقلب النصر إلى هزيمة تمحيصاً وتأديباً من الله **عَزَّجَلَّ** لهم **﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾**.  
- عفو الله تعالى عنهم، عفواً لا يُبقي لعاذل مقالاً، ولا لمتقوّل مجالاً؛ قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾**، مؤكداً بلام التوكيد و(قد) الدالة على التحقيق؛ ولهذا لما عاب بعض المرجفين على أمير المؤمنين عثمان بن عفان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** فراره يوم أحد؛ قال ابن عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**: [أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله **عَزَّجَلَّ** عفا عنه وغفر له <sup>(١)</sup>]، وقد فصل الله **جَلَّ جَلَالُهُ** في ذكر الأخطاء حتى إذا جاء العفو لا يقال بأنه خاص لبعض الأخطاء، بل هو عام لهم على كل ما صدر منهم.

- الشهادة الضمنية لهم بالإيمان، ففُضِّلَ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم وعفوه عنهم إنما كان لإيمانهم وصدق اتباعهم للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وليس لأي اعتبار آخر؛ قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾**.

(١) البخاري (٥/ ١٥ رقم ٣٦٩٨).

٥٥- عَفُوا الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

عن كل من فرَّ يوم أحد

من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآية ١٥٥ من سورة آل عمران

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ  
بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٥٥)

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ ولَّوا عن المشركين، من  
أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد وانهزموا عنهم.

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: إنما دعاهم إلى الزَّلة الشيطان<sup>(١)</sup>، وهذا  
خطاب للمؤمنين خاصة الذين انهزموا يوم أحد<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٢٦ / ٧).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٩٨ / ٩).

﴿بَعْضُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: ببعض ذنوبهم السالفة، كما قال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنه بعدها، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: عما كان منهم من الفرار ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: يغفر الذنب ويحلّم عن خلقه، ويتجاوز عنهم <sup>(١)</sup>.

وفي سبب فرارهم يومئذ قولان:

أحدهما: أنهم سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس رضى الله عنهما في آخرين.

والثاني: أن الشيطان أذكرهم خطاياهم، فكرهوا لقاء الله ﷻ إلا على حال يرضونها، قاله الزجاج <sup>(٢)</sup>.

قال الفخر الرازي رحمه الله: "والله تعالى لم يبين أن الشيطان في أي شيء استزلهم، وذلك لأن مع العفو لا حاجة إلى تعيين المعصية، لكن العلماء جوزوا أن يكون المراد بذلك تحوّلهم عن ذلك الموضع، بأن يكون رغبتهم في الغنيمه، وأن يكون فشلهم في الجهاد وعدولهم عن الإخلاص، وأي ذلك كان، فقد صحّ أن الله تعالى عفا عنهم.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/١٤٦).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (١/٣٣٨).

واعلم أن هذه الآية دلت على أن تلك الزلّة ما كانت بسبب الكفر، فإن العفو عن الكفر لا يجوز؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فالكافر لا بد أن يتوب ويقلع من الكفر وسببه.

ثم قال تعالى: ﴿عَفُوٌّ حَلِيمٌ﴾ أي: غفور لمن تاب وأناب، حلیم لا يعجل بالعقوبة" (١).



#### أوجه الثناء:

- هذا العتاب من الله تعالى لبعض الصحابة الذين فرّوا يوم أُحُد بتسلُّط الشيطان عليهم جراء تقصير أو ذنوب سابقة، عتاب يحمل في طياته الحث على الاستزادة من الطاعات، ومجانبة المعاصي؛ حتى لا تكون سبباً في إزلال الشيطان إياهم، وذلك دليل على حب الله تعالى لهم؛ حين يرشدهم إلى ما ينفعهم ويحذرهم مما يضرهم.

- أتبع العتاب الإلهي بعفو مؤكد بلام التوكيد، و(قد) التحقيقية؛ ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.. عفو لا يدع لعاذل مقالاً، ولا لمتقول مجالاً.

(١) تفسير الرازي (٩/ ٣٩٨-٣٩٩).

- ختم الله عَزَّوَجَلَّ الآية باسمي الغفور والحليم؛ لكي يبين أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أُولَى مَنْ يُغْفِرُ لَهُ وَيُحْلِمُ عَنْهُ لِسَابِقَتِهِمْ وَنَصَرَتِهِمْ.





٥٦- هداية المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَوْفِيقُهُ  
وتوبته على أصحاب جيش العسرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآية ١١٧ من سورة التوبة

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ  
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٧)

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ وغير واحد: نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك  
أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مُجْدِبَةٍ وَحَرٍّ شَدِيدٍ، وَعُسْرٍ من  
الزاد والماء<sup>(١)</sup>.

وبوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه في كتاب المغازي: باب غزوة تبوك

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٨).

وهي غزوة العسرة، ثم سرد الأحاديث الدالة والمفصلة لذلك.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال الزجاج: هم الذين اتبعوه في غزوة تبوك، والمراد بساعة العسرة: وقت العسرة، لأن الساعة تقع على كل الزمان، وكان في ذلك الوقت حرًّا شديدًا، والقوم في ضيقة شديدة، كان الجمل بين جماعة يعتقبون عليه، وكانوا في فقر، فربما اقتسم التمرة اثنان، وربما مصَّ التمرة الجماعة ليشربوا عليها الماء، وربما نحروا الإبل فشربوا من ماء كروشها من الحر.

وقيل لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثنا عن ساعة العسرة فقال: «خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل ليذهب يلتمس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع، وحتى إن الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله! إن الله تعالى قد عودك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: «تحب ذلك؟» قال: نعم. فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجد لها جاوزت العسكر» (١).

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣٠٧/٢).

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أما عسرة الظهر: فقال الحسن: كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم، وأما عسرة الزاد، فربما مص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها حتى لا يبقى من التمر إلا النواة، وكان معهم شيء من شعير مسوس، فكان أحدهم إذا وضع اللقمة في فيه أخذ أنفه من نتن اللقمة. وأما عسرة الماء: فقال عمر: خرجنا في قيظ شديد وأصابنا فيه عطش شديد، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه ويشربه" (١).

ولعل التعبير بـ(ساعة العسرة) إشارة إلى أن الشدة ولو طالَتْ فهي قصيرة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: تميل إلى التخلف عنه، وهم ناس من المسلمين همُّوا بذلك، ثم لحقوه، قاله أبو صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والثاني: أن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها، ولم تَزِغْ عن الإيمان، قاله الزجاج.

والثالث: أن القلوب كادت تَزِغْ تلفاً بالجهد والشدة، ذكره الماوردي.

(١) تفسير الرازي (١٦/١٦٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ كَرَّرَ ذكر التوبة، لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدَّم ذكر التوبة فضلاً منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذكر التوبة <sup>(١)</sup>. وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: "رزقهم جَلَّ ثَنَاهُ الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾" <sup>(٢)</sup>.

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "دلت الأخبار على أن هذا السفر كان شاقاً شديداً على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلى المؤمنين، وهذا يوجب الثناء، فكيف يليق بها قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾؟ والجواب من وجوه: الأول: أنه صَدَرَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شيء من باب ترك الأفضل، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] وأيضاً لما اشتد الزمان في هذه الغزوة على المؤمنين على ما سيجيء شرحها، فربما وقع في قلبهم نوع نفرة عن تلك السفرة، وربما وقع في خاطر بعضهم أننا لسنا نقدر على الفرار.

ولست أقول: عزموا عليه، بل أقول: وساوس كانت تقع في قلوبهم، فالله

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣٠٧/٢).

(٢) تفسير الطبري (٥٣٩/١٤).

تعالى بَيْنَ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّهُ بِفَضْلِهِ عَفَا عَنْهَا. فَقَالَ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [التوبة: ١١٧].

والوجه الثاني: في الجواب أن الإنسان طول عمره لا ينفك عن زلات وهفوات، إما من باب الصغائر، وإما من باب ترك الأفضل.

ثم إن النبي ﷺ وسائر المؤمنين لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه، وصبروا على تلك الشدائد والمحن، أخبر الله تعالى أن تحمل تلك الشدائد صار مكفرًا لجميع الزلات التي صدرت عنهم في طول العمر، وصار قائمًا مقام التوبة المقرونة بالإخلاص عن كلها. فلهذا السبب قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٧] الآية.

والوجه الثالث: في الجواب: أن الزمان لما اشتد عليهم في ذلك السفر، وكانت الوسوس تقع في قلوبهم، فكلما وقعت وسوسة في قلب واحد منهم تاب إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى منها، وتضرع إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ في إزالتها عن قلبه، فلكثرة إقدامهم على التوبة بسبب خطرات تلك الوسوس ببالهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية.

والوجه الرابع: لا يبعد أن يكون قد صدر عن أولئك الأقوام أنواع من المعاصي، إلا أنه تعالى تاب عليهم وعفا عنهم لأجل أنهم تحملوا مشاق

ذلك السفر، ثم إنه تعالى ضم ذكر الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى ذكرهم تنبيهاً على عظم مراتبهم في الدين، وأنهم قد بلغوا إلى الدرجة التي لأجلها ضم الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إليهم في قبول التوبة <sup>(١)</sup>.

والأظهر - والله أعلم - أن التوبة ضُرِبَ من الهداية، وكما قال ابن عطية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "رجوع من حالة طاعة إلى أكمل منها" <sup>(٢)</sup>، فالعبد لا يتوب إلا بتوفيق من الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والله يقول: ﴿وَلَعَنَّ اللَّهُ يَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، فمن تاب الله عليه فقد هداه، والله **عَزَّ وَجَلَّ** تاب على الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** من الكفر وغيره، فهم قوم اختارهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لصحبة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقرنهم به.

وتكرار ذكر التوبة في أول الآية - مؤكدة بلام التوكيد، و(قد) الدالة على التحقيق - قبل ذكر مُتَعَلِّقِهَا تَفْضُّلاً وتطبيهاً لقلوبهم، ثم أعاد ذكرها في آخر الآية تأكيداً لمحو سيئاتهم، وتشريفاً لهم، وهذا أحد وجوه فائدة تكرار التوبة في الآية - كما قال الفخر الرازي **رَحِمَهُ اللَّهُ** - وأضاف: "الوجه الثاني: أنه إذا قيل: عفا السلطان عن فلان ثم عفا عنه، دل ذلك على أن ذلك العفو عفو

(١) تفسير الرازي (١٦ / ١٦١ - ١٦٢).

(٢) تفسير ابن عطية (٣ / ٩٢).

متأكد بلغ الغاية القصوى في الكمال والقوة، وهذا معنى قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [يريد: ازداد عنهم رضا].

والوجه الثالث: أنه قال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ وهذا الترتيب يدل على أن المراد أنه تعالى تاب عليهم من الوسوس التي كانت تقع في قلوبهم في ساعة العسرة، ثم إنه تعالى زاد عليه فقال: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ فهذه الزيادة أفادت حصول وسوس قوية، فلا جرم أتبعها تعالى بذكر التوبة مرة أخرى لئلا يبقى في خاطر أحدهم شك في كونهم مؤاخذين بتلك الوسوس<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الثناء:

- المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تبعوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أشق الأحوال وأصعب الظروف، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وهذا دليل إخلاصهم وصدقهم مع الله تعالى.

- فضل من غزا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جيش العسرة ولا يقل

(١) تفسير الرازي (١٦/١٦٣).

عددهم عن ثلاثين ألف صحابي جليل تاب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم أجمعين.

- أكرم الله **جَلَّ جَلَالُهُ** الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بأنهم لم يتأثروا بالمنافقين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

- توبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم، وتكفير سيئاتهم، ورفع درجاتهم، وقد كرّر ذكر توبته عليهم تفضلاً وتكريماً كما تقدم.

- ﴿إِنَّهُمْ بِرُءُوفٍ رَحِيمٌ﴾ وإن كان الله رؤوفاً رحيماً بعباده المؤمنين عموماً؛ إلا أن الرأفة والرحمة هنا خاصة بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** ومن كان معه من المهاجرين والأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم.

وتأمل في تلك الرأفة والرحمة الخاصة بهم، أي فرحة وسعادة غمرت نفوسهم وهم يسمعون تلك الآية من فم سيد الخلق رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** يتلوها عليهم؟! ورب العزة **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الرؤوف الرحيم يبشرهم من فوق سبع سموات بأنه بهم رؤوف رحيم.

- وفي ذكرهم بمعية النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** وضمهم جميعاً في توبة



ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

واحدة إشارة إلى عظيم مكانتهم ومنزلتهم عند الله تعالى، وبقية الصحابة لهم تبع، فكل من شارك في الغزوة من غيرهم فهو تابع لهم بإحسان، فالتوبة والفضل والثناء يشملهم جميعًا.



٥٧- رحمة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

بالمخلفين من الصحابة

وفضله عليهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآية ١١٨ من سورة التوبة

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ  
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ  
عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨)

هذه الآية نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

نعم. ثلاثة رجال لم يخرجوا، وصدقوا مع رسولهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وطلبوا العفو من خالقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتولَّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرهم،  
وحصل لهم التأديب والتزكية الفريدة في مدة زمنية مقاربة لمدة الغزوة.

وهنا مسألة جلية:

إذا كانت الآيات نزلت في هؤلاء الثلاثة بالذين تخلفوا عن الغزوة، فهل يتصور عاقل أن يعيش منافقون بكنف رسول الله ﷺ ويكونون جلساءه وأصهاره وقادته ولا يُنزل فيهم قرآن ويتم استبعادهم عن رسول الله ﷺ؟!؟

ونذعُ كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو أحدهم - يحدث عن قصتهم حين تخلفوا عن غزوة تبوك، وسبب نزول الآية، قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله عَزَّوَجَلَّ بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، حين تواقفنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكرُ في الناس منها، كان من خبري: أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوةً إلا ورى<sup>(١)</sup>

(١) يقال: ورى، إذا ستر خبراً وأظهر غيره. المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٦٦).

بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد: الديوان، قال كعب رضي الله عنه: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال.

وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أعدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده يوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا<sup>(١)</sup> لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو<sup>(٢)</sup>، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله

(١) أي: خرجوا. مختار الصحاح (ص: ٢٤٠).

(٢) أي: فات وقته وتقدم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٣٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الضعفاء.

ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه برداه، ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بئس ما قلت، والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً.

وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم الم غضب، ثم قال: «تعال» فجئت

أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟». فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيْتُ جدلاً، ولكني -والله- لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق، تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله **عَزَّوَجَلَّ**، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله **عَزَّوَجَلَّ** فيك».

فقمْتُ، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لك، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان، قال ما قلت، فقل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، فذكروا لي رجلين صالحين، قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من

بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً.

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا، فكنت أشبّ القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرّك شفّتيه بردّ السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة! أنشدك بالله! هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عينا، وتوليت حتى تسورت الجدار.

قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدُلُّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا

مضيعة، فالحق بنا نؤاسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء، فتيّمت بها التنور فسجرت به.

حتى إذا مضت أربعون ليلةً من الخمسين، إذا رسول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يأتي، فقال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يأمر أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم، حتى يقضي الله جَلَّ جَلَالُهُ في هذا الأمر.

قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربك». قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره، ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما يدريني ما يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟

فلبث بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح



خمسین لیلةً، وأنا على ظهر بیت من بیوتنا، فبینا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عزَّجَلَّ، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ، أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر! قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بتوبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرساً، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنی، نزعته له ثوبی، فكسوته إياهما، يبشراه والله ما أملك غیرهما يومئذ، واستعرت ثوبین فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فیتلقانی الناس فوجاً فوجاً، یهنونی بالتوبة، یقولون: لتَهْنِك توبة الله عليك!

قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حتی دخلت المسجد، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ یهرول حتی صافحني وهناني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غیره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلما سلمت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو یرق وجهه من السرور: «أبشر

بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أومن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله».

وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك». قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير، فقلت: يا رسول الله! إن الله عز وجل إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً، ما بقيت.

فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله جل جلاله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى قوله ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] فوالله ما أنعم الله عز وجل علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا - حين أنزل الوحي - شر ما قال لأحد، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة: ٩٥] إلى قوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمرنا حتى قضى الله عَزَّوَجَلَّ فيه، فبذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]. وليس الذي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه»<sup>(١)</sup>.

وقال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا معطوف على الآية الأولى، والتقدير: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا، والفائدة في هذا العطف أنا بينا أن من ضم ذكر توبته إلى توبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كان ذلك دليلاً على تعظيمه وإجلاله، وهذا العطف يوجب أن يكون قبول توبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتوبة المهاجرين والأنصار في حكم واحد، وذلك يوجب إعلاء شأنهم

(١) البخاري (٣/٦ رقم ٤٤١٨)، مسلم (٤/٢١٢٠ رقم ٢٧٦٩).

وكونهم مستحقين لذلك" (١).

### أوجه الثناء:

- فَضْلُ الثلاثة: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، إذ قَبِلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ توبتهم، وعَظَفَهَا على توبة النبي والمهاجرين والأنصار.

- مَحْصُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هؤلاء الثلاثة بهجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم خمسين ليلة، وترك أزواجهم لهم مزيداً من الابتلاء لتظهر توبتهم وتمحى ذنوبهم.

- نزول الآيات في ثلاثة رجال لم يشاركوا في الخروج للجهاد يدل على فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأنه لم يتخلف منهم إلا معذور.

- تأمل في حال هؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسويفاً وليس استعلاءً وترفعاً عن الطاعة، كيف كشف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أمرهم لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبين حالهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، وكانت العاقبة أن جعل

(١) تفسير الرازي (١٦ / ١٦٤).

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قبول توبتهم معطوفة على توبة النبي ﷺ ومن معه في الغزوة، فإذا كشف الله عَزَّوَجَلَّ حال هؤلاء الثلاثة فهل يتصور أن يكون جلساء النبي ﷺ وخلصاءه وأصهاره ووزراءه وقادة جيشه يسرحون ويمرحون وهم منافقون دون أن يكشف الله تعالى حالهم لنبيه ﷺ وأصحابه، حاشا وكلا!



٥٨- لطيف عتاب المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

يوم حنين للصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

### الآيتان ٢٥-٢٦ من سورة التوبة

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ  
أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ  
عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ  
سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا  
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَحُنَيْنَ اسم وادٍ بين مكة والطائف قرب ذي  
المجاز، كانت فيه وقعة عظيمة عقب فتح مكة بين المسلمين مع النبي  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكانوا اثني عشر ألفاً، وبين هوازن وثقيف وألفاهما<sup>(١)</sup>،

(١) أي: من انضم إليهم. المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٤٣).

إذ نهضوا لقتال النبي ﷺ حميةً وغضباً لهزيمة قريش ولفتح مكة، وكان على هوازن مالك بن عوف، أخو بني نصر، وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفي، وكانوا في عدد كثير وساروا إلى مكة فخرج إليهم النبي ﷺ حتى اجتمعوا بحنين فقال المسلمون: لن نغلب اليوم من قلة، ووثقوا بالنصر لقوتهم، فحصلت لهم هزيمة عند أول اللقاء كانت عتاباً إلهياً على نسيانهم التوكل على الله عَزَّجَلَّ في النصر، واعتمادهم على كثرتهم؛ ولذلك روي أن رسول الله ﷺ لما سمع قول بعض المسلمين (لن نغلب من قلة) ساءه ذلك، فإنهم لما هبطوا وادي حنين كان الأعداء قد كمنوا لهم في شعابه وأحنائه<sup>(١)</sup>، فما راع المسلمين وهم منحدرين في الوادي إلا كتائب العدو وقد شددت عليهم، وقيل: إن المسلمين حملوا على العدو فانهمز العدو فلحقوهم يغنمون منهم، وكانت هوازن قوماً رماة فأكثبوا المسلمين بالسهم فأدبر المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد، وتفرقوا في الوادي، وتطاول عليهم المشركون، ورسول الله ﷺ ثابت في الجهة اليمنى من الوادي ومعه عشرة من المهاجرين والأنصار، فأمر رسول الله ﷺ العباس عمه

(١) أحناء جمع حنو، وهو كل شيء فيه اعوجاج مثل: منحرج الوادي. لسان العرب

أن يصرخ في الناس: يا أصحاب الشجرة- أو السمرة- يعني أهل بيعة الرضوان- يا معشر المهاجرين- يا أصحاب سورة البقرة- يعني الأنصار- هلموا إلي، فاجتمع إليه مائة، وقاتلوا هوازن مع من بقي مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** واجتلد الناس، وتراجع بقية المنهزمين واشتد القتال، وقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «الآن حمي الوطيس» [رواه مسلم] فكانت الدائرة على المشركين وهُزِمُوا شَرَّ هزيمة وغنمت أموالهم وسيبت نساؤهم<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وثبت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وثبت معه أبو بكر وعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، ومن أهل بيته علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه جعفر، وأسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد- وهو أيمن بن أم أيمن قتل يومئذ بحنين- وربيعة ابن الحارث، والفضل بن عباس، وقيل في موضع جعفر بن أبي سفيان: قثم بن العباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، فهؤلاء عشرة رجال، وثبتت أم سليم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** في جملة من ثبت محترمة ممسكة بغيراً لأبي طلحة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وفي يدها خنجر، ولم ينهزم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولا أحد من هؤلاء<sup>(٢)</sup>.

(١) التحرير والتنوير (١٠/١٥٦).

(٢) تفسير القرطبي (٨/٩٧-٩٨).



### أوجه الثناء:

- تأييد الله تعالى للصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حيث نصرهم في معارك وغزوات كثيرة، حتى غزوة حنين التي وقع لهم فيها هنة<sup>(١)</sup>، ومع ذلك نصرهم على عدوهم ولم يخذلهم، فكان هذا علامة محبته وولايته لهم.

- قدّم ذكر نعمته وفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم قبل أن يعاتبهم فقال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾، ثم عاتبهم، وهذا من اللطف بهم، حتى لا يظن أحد أن هذا العتاب يتضمن إسقاطاً لمكانتهم عند الله تعالى، والتي نصرهم من قبل لأجلها.

- فضل من ثبت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومنهم أهل بيعة الرضوان الذين أضافوا فضيلة أخرى لفضيلتهم السابقة بالبيعة تحت الشجرة.

- في هذا العتاب دليل جليل على محبة الله عزَّوَجَلَّ وإرادته الكمال لهم، فإن الإعجاب بالكثرة أمر لا يكاد يسلم منه أحد، ومع ذلك لم يدع الله تعالى هذا الأمر يمر دون تنبيه، فهم القدوة التي ينبغي أن تكون على أعلى

(١) أي: شيء مكروه. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٧١).

درجات الكمال والمثالية.

- في هذا العتاب أيضاً شهادة ضمنية لهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بصلاح نيتهم وإرادتهم وجه الله تعالى، وأنهم ما خرجوا بطراً ولا كبراً ولا رياء الناس، وإنما خرجوا لله تعالى، إذ لو كانت نياتهم مدخولة لكانت أولى وأحق بالعتاب والتوبيخ من مجرد العتاب على الإعجاب بالكثرة، فأين هذا من ذاك؟!

٥٩- توجيه المولى سبحانه وتعالى  
للسحابة رضي الله عنهم على العفو والصفح

الآية ٢٢ من سورة النور

﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ  
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢)

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿وَلَا يَأْتِلِ﴾ من الآية، وهي: الحلف، أي: لا  
يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ أي: الطول والصدقة والإحسان ﴿وَالسَّعَةِ﴾ أي:  
الجدة؛ ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا  
تحلفوا ألا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين.  
وهذه في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام؛ ولهذا قال تعالى:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي: عمّا تقدّم منهم من الإساءة والأذى، وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم.

وهذه الآية نزلت في الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بنافعة أبداً بعدما قال في عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ما قال، فلما أنزل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** براءة أم المؤمنين عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه - شرع **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يعطف الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على قريبه ونسيبه، وهو مسطح بن أثاثه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فإنه كان ابن خالة الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد ولق ولقة<sup>(١)</sup> تاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** عليه منها، وضرب الحد عليها.

وكان الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية - أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك

(١) الولق: الإسراع في الشيء، والمعنى: أنه أسرع بالخوض في حديث الإفك، وعلى هذا جاءت قراءة: (تَلْقُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ). مقاييس اللغة (٦/ ١٤٥).

يغفر الله عَزَّوَجَلَّ لك، وكما تصفح يصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بلى، والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا. ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً، فلهذا كان الصديق هو الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن ابنته <sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشوري: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، قال عبد الله بن المبارك: "هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى" <sup>(٢)</sup>.

ووجهه أن فيها أمراً بالإحسان والعطف والصدقة على من قدح وقذف، مع أنها كبيرة من كبائر الذنوب، فليس العطاء لمجرد الرضا عن المعطى، وإنما ابتغاء مغفرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورضوانه، وما أجدر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمغفرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورضوانه.

وأهل السنة يفرقون بين من ثبت له العصمة من الخطأ، وبين من يمكن أن يقع منه اقتراف الذنوب والكبائر، فمع منزلة الصديق والصحابة وأهل بدر ومن بعدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، لم يقل أهل السنة بعصمتهم، بل وقع

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٠٧).

منهم أخطاء وذنوب.

قال الشعراوي **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن فعل مسطح **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: "وهذا نموذج لمن ينكر الجميل ولا يُقدّر صنائع المعروف، وهذا الفعل يُزهد الناس في الخير، ويصرفهم عن عمل المعروف، والله تعالى يريد أن يُصحّح لنا هذه المسألة، فهذه نظرة لا تتفق وطبيعة الإيمان؛ لأن الذي يعصي الله **عَزَّوَجَلَّ** فيك لا تكافئه إلا بأن تطيع الله **عَزَّوَجَلَّ** فيه.

وحين تترك مَنْ أَسَاءَ إليك لعقاب الله **عَزَّوَجَلَّ** وتَعَفُّوْ عنه أنت، فإنما تركته للعقاب الأقوى؛ لأنك إن عاقبته عاقبته بقدرتك وطاقتك، وإن تركت عقابه لله **عَزَّوَجَلَّ** عاقبه بقدر طاقته تعالى وقدرته؛ ومن هنا يجب عليك أن تُسرَّ بِمَنْ جعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في جانبك، وتُحسن إليه، لا أن تردّ له الإساءة بمثلها.

إذن: نزلت هذه الآية في مسطح بن أثاثة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حين أقسم أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ألاّ ينفق عليه وعلى أهله، وأن يمنع عنه عطاءه وبرّه، نزلت لتصحيح للصديق هذه النظرة وتوجّه انتباهه إلى جانب الخير الباقي عند الله **عَزَّوَجَلَّ** لا عند الناس <sup>(١)</sup>.

وليس هذا في شأن الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فحسب، وإنما يشرع الإحسان من

(١) تفسير الشعراوي (١٦/١٠٢٢٨).

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

جميع الأمة على من يستحقه بغض النظر عما قد يبدر من المعطى، بل إن باب التوبة مفتوح لمن تاب وأناب، والله غفور رحيم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بألا يغتاز ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر" (١).

### أوجه الثناء:

- فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خصوصاً، فإن صدقة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت إحساناً لا لزاماً، ومع ذلك أرشده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى العفو والصفح وإجراء الصدقة لعظم الثواب فيها ورجاء نيل المغفرة والرحمة منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

- فضل مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلو كان من غير المؤمنين لما ندب الله تعالى إلى إعادة الإنفاق عليه.

- فضل المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فوصفهم بالمهاجرين في سبيل الله يتضمن صحة العمل، وصحة القصد، وفضل الهجرة.



(١) تفسير القرطبي (١٢/٢٠٧).

٦٠ - عناية المولى سبحانه وتعالى

بظاهرة قلوب الصحابة الكرام

وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم

### الآية ٥٣ من سورة الأحزاب

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظَرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية،



وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال: «وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله! لو اتخذت من مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مصلى؟ فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقلت: يا رسول الله! إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتن؟ فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آية الحجاب. وقلت لأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما تما لا عليه في الغيرة: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحریم: ٥] فنزلت كذلك».

وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما تزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر. فجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت، فجئت فأخبرت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآية» [متفق عليه].

فقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل

رسول الله ﷺ بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله تعالى لهذه الأمة، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء» [متفق عليه].

ثم استثنى من ذلك فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ قال مجاهد وقتادة وغيرهما: أي غير متحيين نُضْجِه واستواءه، أي: لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا يكرهه الله جَلَّ جَلَالُهُ ويذمه.

﴿إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ﴾ قيل: المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه ﷺ، حتى أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب.

﴿ذَلِكَ أَمْطَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي: هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أظهر وأطيب <sup>(١)</sup>.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين! أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء.

﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، له مقام التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوّج زوجاته بعده مُخِلٌّ بهذا المقام.

وأيضاً، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجة باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده لأحد من أمته.

﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٥٣) وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه منه، والله الحمد والشكر <sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٥٠-٤٥٥) مختصراً.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٧٠-٦٧١).

- الشهادة للصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بالإيمان وخطابهم بوصفه ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾.

- مكرمة دخول بيت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والأكل من طعامه لا ينالها أي أحد، وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ولا يأكل طعامك إلا تقي»<sup>(١)</sup>.

- كرامة الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، حيث كان يستحي أن يواجههم بما يحرجهم، ويتحمل المشقة حرصاً على مشاعرهم، وهذا ما يُشعر به قوله تعالى: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾.

- طهارة قلوب الصحابة الكرام وقلوب أزواج نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فهي قلوب قد تطهرت من أدران الشرك والكفر والأهواء، وقطعت في طريق الطهارة شوطاً كبيراً حتى لم يبق إلا أن تحفظ نفسها من صغائر الملوثات، كالنظر الذي قد يثير النفس ويحركها، فأين هذا من قلوب المنافقين التي لا زالت تتخبط في أدناس الشك والريب ﴿فَهُمْ فِي رِيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]!

(١) أبوداود (٢٥٩/٤) رقم (٤٨٣٢) والترمذي (١٧٨/٤) رقم (٢٣٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه".

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

- عناية الله تعالى بصلاح وطهارة قلوبهم ﴿ذَلِكَ مُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ دليل جلي على محبته لهم ومكانتهم عنده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

- تعظيم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لحق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحرمة، فبمجرد أن نزلت الآيات امثلوها، وحفظوا حق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحرمة حيًا وميتًا ولم ينلهم منهم أذى بقول ولا فعل، ولم يتعرض أحد منهم لأزواجه من بعده أبداً، ف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.



٦١- توجيه المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأهمية  
تزكية أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الآيات ١-١٠ من سورة عبس

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ۚ (٣) أَوْ يَذْكُرُ  
فَنَنْفَعُهُ ۚ (٤) الذِّكْرَى ۚ (٥) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى ۚ (٦) فَآتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ (٧) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ  
(٨) وَآمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٩) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (١٠) فَآتَ عَنْهُ نُلْحَى ۚ﴾

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وسبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويتعلم منه، وجاءه رجل من الأغنياء، وكان حريصاً على هداية الخلق، فمال وأصغى إلى الغني، وصدَّ عن الأعمى الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعاً في تزكيته، فعاتبه الله عزَّ وجلَّ بهذا العتاب اللطيف، فقال: ﴿عَبَسَ﴾ أي: في وجهه

﴿وَتَوَلَّى﴾ في بدنه، لأجل مجيء الأعمى له، ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ﴾ أي: الأعمى ﴿يَزْكِي﴾ أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة؟

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل بتلك الذكرى.

وهذه فائدة كبيرة هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك على من جاء بنفسه مفتقراً لذلك منك هو الأليق، الواجب، وأما تصديك وتعريضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزكَّ، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: (لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة) وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير السعدي (ص: ٩١٠).

- عتاب الله تعالى لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على انشغاله عن ابن مكتوم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وترك الاحتفاء به وجوابه، وهذا فيه فضيلة ابن أم مكتوم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وكرامته على الله **عَزَّ وَجَلَّ** حتى عاتب بسببه رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

- وصف الله تعالى ابن أم مكتوم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بأوصاف عظيمة من أنه جاء يسعى حثيثاً ليدرك العلم ويسأل عنه مع كونه أعمى، وهو يخشى الله تعالى، وأخبر أنه ممن يتزكى، و(لعل) من الله تعالى للتحقيق.

- بيان أن هذا الصحابي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وكل من آمن بك وطلب العلم والتوجيه والتذكير فعليك القيام به وبذل جهدك، فهؤلاء هم الذين سيحملون الدين، فلا بد من إعدادهم وتزكيتهم والعناية بهم لكي يتحملوا الأمانة في التلقي ويبلغوها لمن بعدهم.

- كما لا يخفى فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والآيات وإن كانت نزلت في ابن أم مكتوم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، إلا أنه شامل لجميع الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وهو توجيه من المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بأهمية تزكية أصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، ولذا اجتهد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في تزكية أصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين، وخاصة السابقين الأولين من المهاجرين



ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

والأنصار، الذين صحبوه وجالسوه وعاشوا معه السراء والضراء، ونالوا من  
تزكيته وبركة دعائه واستغفاره لهم.



## ٦٢- بيان مهام وتكاليف

نبينا محمد ﷺ

### الآيات ١٢٩ من سورة البقرة

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢٩)

قال البغوي رحمه الله: "﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ كتابك، يعني: القرآن، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواضع القرآن وما فيه من الأحكام، قال ابن قتيبة: هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: هي السنة<sup>(١)</sup>، وقيل: هي الأحكام والقضاء وقيل: الحكمة الفقه، قال أبو بكر بن

(١) فإن الله عز وجل قال لأمهات المؤمنين: ﴿وَأذْكُرَكُنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ ومعلوم أنه لا يوجد في بيته ﷺ كتاب لا زبور ولا إنجيل ولا شعر، فتعين أن المراد هو السنة.

دريد: كل كلمة وعظمتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من الشرك والذنوب، وقيل: يأخذ الزكاة من أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ، من التزكية وهي: التعديل <sup>(١)</sup>.

قال رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ: "ذكر الله تعالى العرب أولاً بنعمته عليهم بهذا البيت، أن جعله مثابة للناس وأمناً، وبدعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لبلد البيت، واستجابة الله تعالى دعاءه، إذ جعله بلداً آمناً تُجْبَى إليه <sup>(٢)</sup> الثمرات من البلاد البعيدة فيتمتع أهلها بها، وهي نعم يعرفونها لا ينكرها أحد، وانتقل منها إلى التذكير بالنعم المعنوية، فذكر عهده إلى إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بأن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود؛ لينبههم بإضافة البيت إلى نفسه أنه لا يليق أن يُعبد فيه غيره، وبتطهيره لأجل الطواف والاعتكاف والصلاة أنه يجب تنزيهه عن الأصنام والتمثيل وعبادتها الفاسدة، وعن سائر الأعمال الذميمة كطواف العريان، وكانوا يفعلونه.

ثم ذكّرهم بعد هذا بأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي بنى هذا البيت

(١) تفسير البغوي (١/١٥١-١٥٢).

(٢) أي: تجمع إليه. تفسير الطبري (١٩/٦٠٢).

بمساعدة ابنه إسماعيل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وذكر لهم من دعائهما هنالك ما يرشدهم إلى العبادة الصحيحة والدين الحق، ويجذبهم إلى الاقتداء بذلك السلف الصالح الذي يتمون إليه ويفاخرون به، فإن قريشاً كانت تنتسب إلى إبراهيم وإسماعيل **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** بحق، وتدّعي أنها على ملة إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ولذلك كانت ترى أنها أهدى من الفرس والروم، وسائر العرب تبع لقريش <sup>(١)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- فضل الصحابة الذين من قريش، فإن قريشاً من ذرية إبراهيم وإسماعيل **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** فهم أعلى الناس نسباً وأفضلهم حسباً، وخصوصاً من كان منهم من بني هاشم أفضل قريش، ومنهم قدماء وكبار الصحابة، ونبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** خيرة بني هاشم بل خيرة الله **عَزَّوَجَلَّ** من خلقه.

- اقتران هذه الدعوة منهما ببناء أفضل بيت وضع للناس يدل على مكانة هذا الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وأنه سيكون مرتبطاً به أكثر من غيره من الأنبياء **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**، وأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** معه لا ينفكون عنه، وقد اختار الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مكة وهي أفضل البقاع لنشأته وبعثته، والمدينة - وفضلها مشهور - مكان هجرته، واختار له خير الأصحاب في الجاهلية والإسلام.

(١) تفسير المنار (١/ ٣٨٣).

## الآية ١٥١ من سورة البقرة

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

هذه هي مهام الحبيب **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وقد قام بها، فقد علّم أصحابه القرآن، وسنته وزكاهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** خير تركية.

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: " يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبینات ويزكيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق وذنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب -وهو القرآن - والحكمة -وهي السنة -ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون.

فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفرى، فانقلوا ببركة رسالته، ويؤمن سفارته - وتزكيتهم لهم وتعليمه إياهم - إلى حال الأولياء، وسجاياء العلماء فصاروا أعمق الناس علماً، وأبرهم قلوباً، وأقلهم تكلفاً، وأصدقهم لهجة" <sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٤).

قال رشيد رضا **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "أي: يُتِمَّ نعمته عليكم باستيلائكم على بيته الذي جعله قبلة لكم، وتطهيركم إياه من عبادة الأصنام والأوثان، وهو البيت الذي في قلب بلادكم، وموضع شرفكم وفخركم، كما أتمها عليكم بإرساله رسولا منكم، فالقبلة في بلادكم، والرسول من أمتكم، والخطاب للعرب كما هو ظاهر.

ثم وصف هذا الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بالأوصاف التي كان بها نعمة تامة، ورحمة شاملة فقال: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾ الدالة على أن ما جاء به من التوحيد والهداية هو الحق من عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

الآيات تتعلق بإثبات العقائد وأصول الدين وهي المقصد الأول، ويليها تهذيب الأخلاق؛ ولذلك قال: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: يطهر نفوسكم من الأخلاق السافلة، والرذائل الممقوتة، ويخلقها بالأخلاق الحميدة بما لكم فيه من حسن الأسوة لا بالقهر والسطوة، وخصّ المفسر (الجلال) <sup>(١)</sup> التزكية بالتطهير من الشرك.

قال الأستاذ الإمام <sup>(٢)</sup>: وهذا لا يصح فإن الإسلام كما جاء بالتوحيد الماحي للشرك، جاء بالتهذيب المطهر من سفاسف الأخلاق وقبائح

(١) يعني الإمام جلال الدين السيوطي **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

(٢) يعني شيخه الشيخ محمد عبده **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

العادات والمعاصي التي كانت فاشية في العرب، فقد كانوا يئدون بناتهم يدفنونهن حَيَّات ويقتلون أولادهم للتخلص من النفقة عليهم وذلك نهاية القسوة والشح، وكانوا يسفكون الدماء فيما بينهم لأهون سبب يثير حميتهم الجاهلية؛ لما اعتادوه من البغي في الثارات ومن شن الغارات ونهب بعضهم بعضاً، وكان عندهم من التسفل أن أحدهم يتزوج زوج أبيه أو يعضلها حتى تفتدي منه، إلى غير ذلك. وقد زكَّاهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** من ذلك كله باقتدائهم بأخلاقه العظيمة في عباداته الكاملة وآدابه العالية، وجمعهم بعد تلك الفرقة، وألف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بينهم على يديه حتى صاروا كرجل واحد، وجعلت شريعته ذمتهم واحدة يسعى بها أدناهم، فإذا أعطى مولى أو رقيق لهم أماناً لأي إنسان محارب كان ذلك كتأمين أمير المؤمنين له، فأى تزكية أعلى من هذه التزكية؟

وبعد ذكر التربية العملية بالأسوة الحسنة ذكر أمر التعليم فقال: **﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** أي: الكتاب الإلهي، أو الكتابة التي تخرجون بها من ظلمة الأمية والجهل إلى نور العلم والحضارة، ويجوز الجمع بين المعنيين على القول الصحيح باستعمال المشترك في معنيه أو فيما يقتضيه المقام من معانيه، وأما الحكمة: فهي العلم المقترن بأسرار الأحكام ومنافعها، الباعث على العمل، وفسرها بعضهم بالسنة <sup>(١)</sup>.

(١) وهو الصواب.

ثم قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١) أي: ويعلمكم مع الكتاب والحكمة ما لم يسبق لكم به علم من شؤون العالم ونظام البيوت والمعاشرة الزوجية وسياسة الحروب والأمم<sup>(١)</sup>.

والعجب كل العجب أن يأتي أقوام يدعون محبة رسول الله ﷺ ثم يزعمون فشله في تلك التزكية، وأنه لم يحسن تربية أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصوروا الرسول ﷺ بصورة الساذج، حيث قرروا أن جلساءه وقادته ومستشاريه (خونة)، وبمجرد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ظهرت خيانتهم وغدروا بالإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجعلوا الخلافة في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزعموا بأن صحابة رسول الله ﷺ حذفوا آيات من القرآن وأخفوا الوصية، فوقعوا في المصيبة الكبرى باتهامهم رسول الله ﷺ أنه لم يزكّ ويعلم أصحابه، ولا يوجد لديهم إلا أساطير مختلقة مكذوبة جعلوها روايات ولا يوجد لها أسانيد، فإلى الله المشتكى.

#### أوجه الشناء:

- بين الله تعالى أن الرسول ﷺ عربي منهم، فهم أولى به أن يصدقوه، إذ إنهم من معاشرته يعلمون دلائل صدق نبوته، وكذلك فيه منة

(١) تفسير المنار (٢/ ٢٢-٢٦) مختصراً.



عليهم إذ يصعب على النفس أن تنقاد للغريب.

- ذكر مهمته الرسالية في تلاوة القرآن؛ وهذا يشمل كيفية القراءة ولفظ حروفه ومعرفة الوقوف، والتزكية بالتأسي به واتخاذة قدوة حسنة لهم ثم تعليمهم معاني القرآن الكريم والسنة النبوية.

- نشهد بأن الرسول ﷺ قام بتلك التكاليف خير قيام؛ فقد علّم أصحابه القرآن والحكمة ومعانيها وما يتعلق بها، وهم في الأصل عرب فصحاء، وشهدوا تنزيل القرآن، وتعلموا ناسخه ومنسوخه، فأصبحوا هم كبار العلماء المجتهدين، وبذل جهده في تزكيتهم، وأفلح ﷺ فأصبح أصحابه سادة عظماء، علماء قادة، أهل ورع وتقوى، لم تغرهم الدنيا وزينتها، كيف لا وهم ثمرة جهاد رسول الله ﷺ وعمله الذي كلفه الله به؟!

- تأمل أخي الحبيب في هذا التسلسل لهذه الآيات الأربعة:

كانت دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

واستجاب الله دعاءه: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

ونجح النبي ﷺ في دعوته وتركته فامتن المولى  
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بعد غزوة أحد: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ  
 رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
 وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

مع تأكيد استمرارية هذه المهام وهذا الفضل وهذه البشارة مع الذين لم  
 يلحقوا بهم فضلاً وزمناً: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ  
 ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢] وَاخْرَيْنَ  
 مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٣] ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
 الْعَظِيمِ [٤] [الجمعة ٢-٤].

- الطعن في علم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأنهم كانوا على جهل وغفلة، ولم  
 يتفقه منهم إلا نزر يسير مع أن الله تعالى قال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يلزم منه الطعن في معلمهم وهو  
 رسول ﷺ.

- الطعن في عدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والقدح في أمانتهم ونسبتهم إلى  
 الخيانة مع أن الله تعالى قال: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يلزم منه  
 الطعن في مزكيهم وهو رسول ﷺ.



٦٣ - فضل وجود رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

### الآيتان ٧-٨ من سورة الحجرات

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٧) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فعظموه ووقروه، وتأدّبوا معه، وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، كما قال تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. ثم بيّن أن رأيهم سخيّف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم

فقال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ ❖ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّى ذلك إلى عنتكم وحرّجكم.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ وَرَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ❖ أي: حَبَّهٗ إلى نفوسكم وحسَّنه في قلوبكم.

﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ ❖ أي: وبغض إليكم ﴿الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾ ❖، وهي: الذنوب الكبار. ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ ❖ وهي جميع المعاصي. وهذا تدرّج لكمال النعمة، وهذا بيان وكشف من الله عزَّ وجلَّ بحقيقة ما في قلوبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وشهادة عظيمة من الله عزَّ وجلَّ بتزكية باطنهم، ثم أحكم الله عزَّ وجلَّ الشاء عليهم بتزكية عقولهم بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ﴾ ❖ أي: الْمُتَّصِفُونَ بهذه الصفة هم الراشدون، الذين قد آتاهم الله عزَّ وجلَّ رُشدهم، فالرُّشد كمال العقل.

ثم ذكر الله عزَّ وجلَّ أن هذا الفضل منه فقال تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ ❖ أي: هذا العطاء الذي منحكموه هو فَضْلٌ منه عليكم ونعمة من لدنه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ ❖ بمن يستحق الهداية ممَّن يستحق الغواية، ﴿حَكِيمٌ﴾ ❖ في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره" (١).

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٢-٣٧٤) بتصرف.

واختيار الله **عَزَّوَجَلَّ** لفريق من عباده، ليشرح صدورهم للإيمان، ويحرك قلوبهم إليه، ويزينه لهم فتهفو إليه أرواحهم، وتذكر ما فيه من جمال وخير - هذا الاختيار فضل من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ونعمة، دونها كل فضل وكل نعمة، وقد قام الموتورون على الصحابة والحاقدون عليهم بتأليف قصص وأساطير من نسج الخيال، وجعلوها روايات بلا أسانيد ولا تدقيق ولا تمحيص، ويكفي ردُّ الله **عَزَّوَجَلَّ** عليهم في محكم آياته من مثل هذه الآية، وأمثالها كثير.

#### أوجه الثناء:

- الأمر بالعلم هنا ليس فقط علم وجوده فيهم فهذا يدركونه حساً، وإنما كذلك فضل وشرف صحبتهم له ووجوده معهم ومكانته فيهم، وهي نعمة عظيمة تستحق الشكر والامتنان.

- نفي العنت عن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يدفع عنهم العنت بوجود النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بين أظهرهم، وعدم طاعته لهم في كثير من الأمور، وليس ذلك فحسب بل أبدلهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن العنت: حب الإيمان وتزيينه في قلوبهم، وكرهه في قلوبهم كل ما ينافي الإيمان أو ينقصه من الكفر والفسوق والعصيان، وقد اجتباهم بأن جعلهم أصحاب رشد وهدى.

- عناية الله تعالى بصحابة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وتربيتهم بعناية وتدرُّج في منازل الإيمان، فبَغَضَ وكره إليهم المعاصي بالتدرّج، كما تقدم في قول ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ﴾** أي: وبَغَضَ إليكم **﴿الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾**، وهي: الذنوب الكبار. **﴿وَالْعَصِيَانَ﴾** وهي جميع المعاصي. وهذا تدرّج لكمال النعمة.

- مِنَّةُ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بقوله **جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾** ففي هذه الآية الكريمة بيّن تعالى أنه حَبَّبَ إلى أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم راشدين، وذلك لكي يكونوا أهلاً لشرف الصحبة، فأعدهم الله **جَلَّ جَلَالُهُ** ذلك الإعداد الرفيع، فاستحقوا بذلك أن يقول عنهم: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الرّٰشِدُونَ﴾** (٧)، كما نطقت به الآية.

- فضل الصحابة الكرام على من بعدهم، فقد قرأ أبو سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾** [الحجرات: ٧] قال: [هذا نبيكم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوحى إليه وخيار أمتكم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا؛ فكيف بكم اليوم؟!]<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ٥٥٩).

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

- جمع الله تعالى للصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معاقد الفلاح، إيجاباً وسلباً، فالإيجاب ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، والسلب ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾.

- إيتاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رشدهم، ووصفهم بالراشدين وصفاً يدل على الكمال، فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ﴾، وناهيك بالرَّشْدِ منةٌ ونعمةٌ، فقد وصف الله بها خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في سياق الامتنان والتفضيل؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وسألها الفتية المؤمنون أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحِمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا﴾ [الكهف: ١٠].

- تأكيد تلك النعم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ كما تقدم في قول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي: هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق الهداية ممَّن يستحق الغواية، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره".

- الذي يظهر لي - والعلم عند الله - أن هذه الآية من أعظم الآيات في فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والثناء عليهم، ولذا أكد المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن هذا هو فضل ونعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو واسع العطاء والمن، ولا سيما إذا

فصل القرآن الكريم

علمنا أن هذه السورة هي من أواخر ما نزل على نبينا محمد  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم في عام الوفود فشملت المهاجرين والأنصار والطلقاء  
ومن قدم إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وافداً مسلماً رضي الله عنهم.







**سادساً: فضل أمهات المؤمنين**

**زوجات رسول الله ﷺ**





يتعجب المرء حين يسمع عمن يتكلم عن زوجات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالسوء، ويشكك في صدقهن وإيمانهن، بل ربما يصل الأمر بالبعض إلى الطعن في العفة والشرف والعباذ بالله، ومع أن هذه القضية لها شأنها الكبير وحساسيتها الشديدة لدى العرب في الجاهلية والإسلام، وتعد من العظائم التي يفكر الإنسان ألف مرة قبل أن يخوض فيها، إلا أن الأمر يتجاوز قضية العرف والعادات إلى قضية الإيمان والعقيدة، فهذا الذي يتهم أمهات المؤمنين ألم يقرأ كتاب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ويتأمل فيه؟!

ماذا يمكن أن يقول مثل هذا الخائض في أعراض أمهات المؤمنين حين يجد في القرآن غيرة الله تعالى العظيمة على أعراضهن، وعتابه الشديد وتهديده المخيف لمن تكلم فيهن، ويجاد أن الله **جَلَّ وَعَلَا** قد بشرهن بالخير الكثير، وأخبر أنه يريد تطهيرهن ورفع درجاتهن، ويجاد أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نهى نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن الزواج عليهن، وأمره بما فيه جبر خواطرهن وحفظ قلوبهن، ماذا سيقول الخائض فيهن عندما يجد كل هذا في آيات كثيرة واضحة محكمة بينة؟!

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

تعالَ إلى الآيات القادمة وتأمل الفرق العظيم بين حديث الله **جَلَّ وَعَلَا** عن أزواج نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وبين حديث الخائضين المفترين عليهن الكذب والبهتان.

## ٦٤ - قصة الإفك والتربية العظيمة

لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم

### الآيات ١١-٢٠ من سورة النور

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ  
أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنِّمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾  
لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ  
﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ  
اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِ كُمْ وَقَوْلُونَ  
بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا  
إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مَبْهُتُنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾  
يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ  
﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

أنزل الله تعالى بياناً لكثير من الأحداث والمعارك التي عاشها الصحابة مع إمامهم وقائدهم ومعلمهم الذي تولى تزكيتهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهنا في هذه السورة آيات تتلى لعلاج حدث كبير يخص بيت النبوة، وجاءت الآيات من مطلع السورة في التوجيه والعتاب وبيان الأحكام الشرعية التي تضبط صيانة أعراض المجتمع، وفي مقدمتهم آل البيت والمهاجرون والأنصار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أجمعين.

والمجتمع المدني يأخذ التوجيهات والأوامر من رب العزة **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ومن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فأى فخر وأي شرف وأي كرامة وأي منزلة واصطفاء حازه القوم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**؟!!

وفي ثنایا السورة الكريمة تشدید على حفظ الأعراض، وتقدم تعظيم الرمي بالزنا عموماً كأنه مقدمة القصة التي وقعت على أشرف النساء أم المؤمنين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** <sup>(١)</sup>.

فالأعراض من الحُرُمات، والطعن فيها محرم، والإساءة إليها محرمة، وهي من الكليات الخمس، التي نص عليها أهل العلم، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال <sup>(٢)</sup>، وقد حكى الغزالي وغيره إجماع

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٦٣).

(٢) ينظر: الموافقات (ص: ٢٠).

الملل على اعتبارها<sup>(١)</sup>.

وشدّد النبي ﷺ على أهمية الحقوق - ومنها الأعراس -  
ففي أكبر مجمع للمسلمين في عهده ﷺ حجة الوداع قام في  
الناس فقال: «أي شهر هذا؟! أليس ذي الحجة؟! قالوا: بلى. أي بلد هذا؟!  
أليس البلدة الحرام؟! قالوا: بلى. أي يوم هذا؟! أليس يوم النحر؟! قالوا:  
بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم  
هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا - إلى قوله: - ألا ليبلغ الشاهد الغائب..  
ألا هل بلغت»<sup>(٢)</sup>.

فحفظ العرض واجب في الشريعة، وهو صيانة للمجتمع الإسلامي،  
ولشدة أمر العرض فإن الطعن في العرض يستوجب حدًا، سواء كان الحد  
يقع على القاذف أو المقذوف، فإذا طعن شخص في عرض شخص ورماه  
بالفاحشة، فإما أن يستوفي شروط الشهادة أو يعترف المشهود عليه فيقام عليه  
الحد، وإلا أقيم على المدعي حد القذف. يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ  
يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ

(١) ينظر: المستصفى (١/ ١٧٤)، الأحكام للآمدي (٣/ ٢٧٤).

(٢) البخاري (٥/ ٢١١٠ رقم ٥٢٣٠)، مسلم (٣/ ١٣٠٥ رقم ١٦٧٩) عن أبي بكرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿النور:٤﴾، فعقوبته الجَلْدُ، وإسقاط عدالته فلا تقبل شهادته، وهو في عداد الفاسقين، وهذا يدل على أهمية الأعراض وصيانتها في الشريعة الإسلامية.

فإذا كان هذا في عرض أي أحد من المسلمين؛ فما بالناس بالعرض الشريف عرض محمد ﷺ، سيد الأولين والآخرين؟!!!

يقول الزمخشري رَحِمَهُ اللهُ: "ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، وبرأ موسى من قول اليهود فيه بِالْحَجَرِ الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، وبرأ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات، فانظر، كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ، والتنبيه على إناقة<sup>(١)</sup> محل سيد ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين، وحجة الله على العالمين، ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ﷺ وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق،

(١) الشيء له إناقة: أي: حسن معجب، بمعنى: يثير الإعجاب بحسنه. لسان العرب (١٠/١٠).

فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمل كيف غضب الله **عَزَّوَجَلَّ** في حرمة، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابهِ <sup>(١)</sup>.

وبعد نزول تلك الآيات البينات، فإن كل من سار على درب عبد الله بن أبي ابن سلول في الطعن على أم المؤمنين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** واستنقص قدرها، له عذاب عظيم في جهنم، والعياذ بالله، يقول ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "وقد أجمع العلماء **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**، قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن" <sup>(٢)</sup>.

وهذه الآيات التي نزلت في هذه الحادثة بضع عشرة آية، يقول الزمخشري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول

(١) الكشاف (٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١-٣٢)، وقد نقل هذا الإجماع عدد من العلماء مثل: ابن تيمية في الصارم المسلول (ص: ٥٦٦) - من الحنابلة - وذكر أن هذا الإجماع قد نقله عدد من الأئمة، بل قال النووي - من الشافعية - : "براءة عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين" شرح مسلم (١٧/ ١١٧)، وقال ابن العربي - من المالكية - "كل من سبها بما برأها الله **عَزَّوَجَلَّ** منه فهو مكذب لله **عَزَّوَجَلَّ**، ومن كذب الله **عَزَّوَجَلَّ** فهو كافر. فهذا طريق قول مالك. وهي سبيل لائحة لأهل البصائر" أحكام القرآن (٣/ ٣٦٦).



الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتسليّة له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذه العشر الآيات كلها نَزَلَتْ في شأن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين رَمَاهَا أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكَذِبِ البَحْتِ والفِرْيَةِ التي غَارَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهَا وَلِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ الله تعالى براءتها صيانةً لِعِرْضِ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ أي: جماعة منكم، يعني: ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يَجْمَعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ، حتى دَخَلَ ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر - ابتلاء عظيم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وزوجته وأهلها والمجتمع كله - حتى نَزَلَ القرآن، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة.

﴿بِالْإِفْكِ﴾ بالكذب والبهتِ والافتراء ﴿عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة منكم ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾ أي: يا آل أبي بكر، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا ورفع منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء الله

(١) الكشف (٣/ ٢١٧).

تَبَارَكَ وَتَعَالَى بعائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حيث أنزل الله تعالى براءتها في القرآن العظيم الذي ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي: لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بشيء من الفاحشة، نصيبٌ عظيم من العذاب.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ قيل: ابتداءً به. وقيل: الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويُشيعه ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: على ذلك. ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله ولعنه.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (١٢)  
 ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٣)  
 هذا تأديب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للمؤمنين في قضية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء، وما ذكر من شأن الإفك، فقال تعالى: ﴿لَوْلَا﴾ بمعنى: هَلَا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: ذلك الكلام الذي رُميت به أم المؤمنين، ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأُمُّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأخرى.

وقوله: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: هَلَّا ظَنُّوا الخير؛ فإن أم المؤمنين أهلها وأولى به، هذا ما يتعلق بالباطن، ﴿وَقَالُوا﴾ أي: بالسنتهم، ﴿هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كَذِبٌ ظاهرٌ على أم المؤمنين، فإن الذي وَقَعَ لم يكن ريبةً، وذلك أن مجيء أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا راكبةً جَهْرَةً على راحلة صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وقت الظهيرة، والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين أظهرهم، لو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هكذا جَهْرَةً، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، فتعيّن أن ما جاء به أهل الإفك ممّا رَمَوْا به أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هو الكذب البحت، والقول الزور، والرّعونّة الفاحشة، والصفقة الخاسرة.

قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلَّا، ﴿جَاءُوعَلَيْهِ﴾ أي: على ما قالوه، ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ يشهدون على صحة ما جاؤوا به، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي: في حكم الله عَزَّ وَجَلَّ كاذبون فاجرون.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الخائضون في شأن عائشة ﴿وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بأن قَبِلَ تَوْبَتَكُمْ وإنابتكم إليه في الدنيا، وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة، ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ من قضية الإفك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وهذا فيمن عنده إيمان رزقه الله **عَزَّوَجَلَّ** بسببه التوبة إليه، كمسطح، وحسان، وحمئة بنت جحش **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**؛ فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي ابن سلول وأضرابه، فليس أولئك مرادين في هذه الآية؛ لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه.

ثم قال: **﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾** قال مجاهد وسعيد بن جبیر: أي: يرويه بعضكم عن بعض، يقول هذا: سمعته من فلان، وقال فلان كذا، وذكر بعضهم كذا.

**﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾** أي: تقولون ما لا تعلمون. **﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾** أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وتحسبون ذلك يسيرًا، ولو لم تكن زوجة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** لَمَا كَانَ هَيِّنًا، فكيف وهي زوجة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟!

**﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾** (١٦) هذا تأديب آخر بعد الأول: الأمر بالظن خيرًا، أي: إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخير، فأولى ينبغي الظن بهم خيرًا، وألا يشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك - وسوسة أو خيالاً - فلا ينبغي أن يتكلم به.

وقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ أي: ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ أي: سبحان الله أن يُقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليّة خليله.

ثم قال: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي: ينهاكم الله متوعدًا أن يقع منكم ما يُشبه هذا أبدًا، أي: فيما يُستقبل. ولهذا قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه، وتُعظّمون رسوله ﷺ، فأما من كان مُتَّصِفًا بالكفر فذاك له حكم آخر.

ثم قال: ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: يوضح لكم الأحكام الشرعية والحكم القدريّة، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلح عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ في شرعه وقدره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وهذا تأديب ثالث لمن سمع شيئًا من الكلام السيئ، فقام بذهنه شيء منه، وتكلم به، فلا يُكثر منه ويُشيعه ويُذيعه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بالحد، وفي الآخرة بالعذاب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: فردّوا الأمور إليه ترشّدوا.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ ﴿١﴾﴾ أي: لولا هذا لكان أمر آخر، ولكنه تعالى رؤوف بعباده، ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢﴾﴾ بهم، فتاب على من تاب إليه من هذه القضية وطهر من طهر منهم بالحد الذي أُقيم عليه" (١).

#### أوجه الشناء:

- في الآيات ثناء الله تعالى على أم المؤمنين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، ويتضمن الشناء على كل زوجات رسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وعلى الصحابة الذين صانوا ألسنتهم وطهروا قلوبهم عن الوقوع في العرض الشريف، عرض محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

- في هذه الآيات فضيلة لأبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأهل بيته، فعائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ابنته، وقد أصابه ما أصابه من الهم والغم بسبب هذه الحادثة، فجاءت هذه الآيات تطيباً لخاطره، وكذلك هي براءة لصفوان بن المعطل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الذي اتهم مع عائشة (٢).

- تزكية الصحابة رجالاً ونساءً بوصف الإيمان مع كون المقام مقام

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٩-٣٠) مختصراً.

(٢) ينظر: روح المعاني (٩/ ٣١٠-٣٢٨).

عتاب وتأديب، ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.

- النص الصريح الواضح على فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورحمة الله  
عَزَّوَجَلَّ بهم في الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ﴾، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ  
عَظِيمٌ﴾.



## ٦٥ - عظمة شأن عرض النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَعْرَاضَ الْمُؤْمِنِينَ

عِنْدَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

## الآيات ٢٣-٢٦ من سورة النور

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ  
﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ  
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
كَرِيمٌ﴾ (٢٦)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا وعيدٌ من الله تعالى للذين يَرْمُونَ  
الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ - خُرَّجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ - فَأَمَّهَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ  
أُولَى بِالْدُخُولِ فِي هَذَا مِنْ كُلِّ مُحْصَنَةٍ، وَلَا سِيَّما الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ النُّزُولِ،



وهي عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد أجمع العلماء قاطبةً على أن مَنْ سَبَّهَا بعد هذا فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن.

وقوله تعالى: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٧]. وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد اختار ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عمومها، وهو الصحيح.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ الآية عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [في الحديث القدسي مرفوعاً]: «... فيقول الله: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام عليك شهوداً. فَيُخْتَمَ على فيه، ويُقال لأركانها: انطقي، فتَنطِقُ بعمله، ثم يُخْلَى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ» [رواه مسلم]. وقال قتادة: ابن آدم، والله إن عليك لشهوداً غير مُتَّهِمَةٍ مِنْ بَدَنِكَ، فَرَأَيْبُهُمْ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ، فإنه لا يَخْفَى عليه خافية، الظُّلْمَةُ عنده ضَوْءٌ، وَالسِّرُّ عنده علانية، فمن استطاع أن يَمُوتَ وهو بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَسَنَ الظَّنِّ، فَلْيَفْعَلْ، ولا قوة إلا بالله.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَكْفِيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [أي: حسابهم]. وكذا قال غير واحد.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ أي: وعده ووعيده وحسابه هو العدل، الذي لا جور فيه.

﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِثِ وَالطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [الخيثات من القول للخيثين من الرجال، والخيثون من الرجال للخيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول. قال: ونزلت في عائشة وأهل الإفك].

وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وغيرهم. واختاره ابن جرير، ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نسبته أهل النفاق إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هم أولى به، وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾.

وقال ابن أسلم: الخيثات من النساء للخيثين من الرجال، والخيثون من الرجال للخيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

وهذا - أيضاً - يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم، أي: ما كان الله عَزَّ وَجَلَّ

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

ليجعل عائشة زوجةً لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة؛ لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثةً لَمَا صَلُحَتْ لَهُ، لا شرعاً ولا قَدَرًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: هم بُعْدَاءُ عَمَّا يقوله أهل الإفك والعدوان، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي: بسبب ما قيل فيهم من الكَذِبِ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: عند الله عَزَّوَجَلَّ في جنات النعيم. وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة" (١).

### أوجه الثناء:

- وصف أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ومثلها زوجات النبي ﷺ الأخريات - بالعفة، والبعد حتى عن التفكير في المعصية، والإيمان ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغُفْلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، وهذا دليل على مكانتهن عند الله تعالى.

- دفاع الله عَزَّوَجَلَّ عن زوجات نبيه ﷺ وغيرته عليهن، ووعيده الشديد لمن تجرأ وتناول عليهن، وهذا تأكيد آخر لعظيم مكانتهن عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١-٣٥) مختصراً.

- التوعّد بالعذاب العظيم لمن قذّفها، ولَعَن قاذفها في الدنيا والآخرة، دليل على براءتها مما نسب إليها.

- الشناء على زوجات النبي ﷺ بالطيب، إذ ما كان للنبي ﷺ الطيب أن يكون تحته إلا طيبة العرض عفيفة.

- التصريح بالبراءة لهن، ووَعْدُهن بالمغفرة والجنة، دليل استمرارهن على هذه الصفات الحسنة حتى يلقيهن الله تعالى فيوفيهن ما وعدهن، والله عزّوجلّ لا يخلف الميعاد.



٦٦- أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

هن أمهات المؤمنين بنص القرآن الكريم

### الآية ٦ من سورة الأحزاب

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ  
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا  
أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ  
مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "قد علم الله تعالى شفقة رسوله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أمته، ونُصَّحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم،  
وحُكِّمه فيهم مُقَدِّمًا على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا  
يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا  
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾» [رواه البخاري].

قوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع<sup>(١)</sup>.

وقال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي: في كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الإطلاق، فيجب عليه أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه أثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأزواجه منزلات منزلة الأمهات في التحريم واستحقاق التعظيم، وأما فيما عدا ذلك فهن كالأجنبيات"<sup>(٢)</sup>.

#### أوجه الشناء:

- لمّا علم الله تعالى شفقة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أمته، ونصحه لهم، جعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مُقَدِّمًا على اختيارهم

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٠-٣٨٢) مختصرا.

(٢) تفسير أبي السعود (٧/ ٩١) مختصرا بتصرف.

لأنفسهم، فما بالك بقوم رسول الهدى والرحمة والخلق القائم عليهم، وهو بهذه الأوصاف وغيرها - يعيش بينهم ويجالسهم ويكرمهم ويشاورهم ويستغفر لهم ويصلي بهم ويجاهد معهم؟!

- الثناء على أزواج النبي ﷺ في الآية جليي، وهو يندرج ضمن الثناء على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفيه الرد على الطاعنين في الإسلام من خلال انتقاص الصحابة الكرام عموماً، أو بعض الصحابة رجالاً أو نساءً، والمنافقون في كل زمان ومكان دأبهم وديدنهم استهداف الإسلام ورسول الإسلام ﷺ بالقدح في واسطة الإسلام إلى كل العالم وهم أصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- جَعَلَ النبي ﷺ أباً للمؤمنين الذين يدخل فيهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دخولاً أولياً.

- أنه عَزَّجَلَ جعل أزواج النبي ﷺ أمّهات المؤمنين، وهذا منطوق الآية، والمفهوم أن من أنكر أنهن أمهاته فليس من المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأبصار!

- جَعَلَ الله تعالى زوجات النبي ﷺ أمّهات للمؤمنين فيه مزية من وجهين:

الأول: تقرير استمرار زوجية النبي ﷺ لهؤلاء النسوة، إذ إن الأمومة دائمة مستمرة لا يمكن أن تنقطع بحال.

والثاني: وُصف من سيكون ابناً لهؤلاء النسوة بأنه مؤمن، فمن تبرأ من تلك الأمومة فهل يبقى له شيء من الإيمان؟ ومن طعن في أمه فلا شك أنه بلغ الذروة في العقوق، وتبرأ من أبوة النبي ﷺ وهذا شامل للدنيا والآخرة، فكيف يرجو شفاعته بعد ذلك؟!





٦٧- تخيير زوجات الرسول  
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إظهاراً لفضلهن

الآيات ٢٨-٢٩ من سورة الأحزاب

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا  
فَنَعَالَيْتُكُمْ أَمْتِعْتُكُمْ وَأُسْرِحْتُكُمْ سِرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَلَئِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾

بنص القرآن أمهات المؤمنين لسن مثل باقي النسوة، الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**  
اختارهن زوجات لسيد الخلق، وقد خيرهن في هذه الآيات بين البقاء في  
عصمة الحبيب **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ولهن الآخرة، والفراق ولهن الدنيا، وقد  
لطف الله **عَزَّجَلَّ** بهن فرغبن كلهن بالحبيب **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

ثم تأمل في الآيات، آيات كريمة تتحدث عن الصحابيات الجليلات

أمهات المؤمنين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ** وأرضاهن، أفردهن الله تعالى بآيات خاصة بهن **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ**، تتضمن الأمر والنهي والتأديب لهن بالأدب الأسمى اللائق ببيت النبوة، وهذا يدل على عناية الله تعالى وتفضيله لأزواج النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** على من سواهن من النساء.

ومع منزلة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** ومع حبه للنساء جاء النهي الصريح ومنعه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** أن يتزوج عليهن، وأمرهن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بطاعته وطاعة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**؛ لأنهن قدوات النساء، وذكر لهن المنزلة العظيمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فطلب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** من ربه وابتهل ودعا لفاطمة وابنيها وزوجها **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أن تشملهم الآية لأنهم أهل بيته، وهذا ظاهر في سياق حديث الكساء المشهور<sup>(١)</sup>، واستجاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** له، فهذا والله الفخر والمجد والرفعة، فضل الله **عَزَّ وَجَلَّ** يؤتيه من يشاء.

(١) عن أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** جلت على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير». الترمذي (١٨٢ / ٦) رقم (٣٨٧١) وقال: "هذا حديث حسن صحيح وهو أحسن شيء روي في هذا الباب". وقد جاء من روايات عدة من الصحابة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: " هذا أمر من الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأن يخيّر نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهنّ عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وأرضاهن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والدار الآخرة، فجمع الله عزَّجَلَّ لهنّ بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قالت: أنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه، فقال: «إني ذاك لك أمراً، فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمرني أبويك» قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوْجِكَ﴾ الآيتين، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فقلت: أفى هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خيّر نساءه كلهنّ، فقلن مثل ما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ.

قال عكرمة: وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وكانت تحته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صفية بنت حيي النضرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وأرضاهن.

ولم يتزوج واحدة منهن إلا بعد أن توفيت خديجة بنت خويلد بن أسد

بن عبد العزى بن قصي بن كلاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، تزوجها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه إلى أن أكرمها الله **عَزَّ وَجَلَّ** برسالته فأمنت به ونصرته، وكانت له وزير صدق، وماتت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يقول تعالى واعظاً نساء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**، اللاتي اخترن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** والدار الآخرة، واستقر أمرهن تحت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** أن يخبرهن بحكمهن، وتخصيصهن دون سائر النساء بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة - قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: وهي النشوز وسوء الخلق - وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وكقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، فلما كانت محلتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظاً، صيانة لجنايهم وحجابهم الرفيع؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾. قال مالك عن زيد بن

أسلم قال: في الدنيا والآخرة.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠) أي: سهلاً هيناً.

ثم ذكر عدله وفضله في قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: يطع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستجيب ﴿تُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٣١) أي: في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش " (١).

#### أوجه الثناء:

- لما خُيِّرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ اخترن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والدار الآخرة، على متاع الدنيا الزائل.

- الوعد من الله تعالى لهن بالأجر العظيم، والثواب الجزيل المضاعف، والرزق الكريم.

- مضاعفة الثواب والعقاب لعظم منزلتهن، فهن القدوات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، واختيارهن البقاء مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واختيار الدار الآخرة دليل

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٠١-٤٠٨) مختصراً.

على تقواهن، فأكرمهن الله **عَزَّوَجَلَّ** بنهي نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** عن الزواج عليهن ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

- منقبة الخطاب المباشر من الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** لهنَّ ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ﴾ تكريماً وتفضيلاً ونصحاً وتأديباً وإرشاداً.

## ٦٨ - عظيم شأن زوجات

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

عند المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

### الآيات ٣٢-٣٤ من سورة الأحزاب

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنُنٌ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ  
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا  
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ  
وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثَلَّى فِي بُيُوتِكُنَّ مِّنْ ءَايَتِ  
اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطباً لنساء النبي  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأنهن إذا اتقين الله عَزَّوَجَلَّ كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد

من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ قال السدي وغيره: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال، ولهذا قال: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: دغل، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال ابن زيد: قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير، ومعنى هذا: أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها. وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمْنَ بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قال قتادة: إذا خرجتن من بيوتكن - وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج - فهى الله عز وجل عن ذلك.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ والتبرج: أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج.

وقوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، نهاهن أولاً عن الشر ثم أمرهن بالخير، من إقامة الصلاة - وهي: عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له - وإيتاء الزكاة، وهي: الإحسان إلى المخلوقين، ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وهذا من باب عطف العام على الخاص.



وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنهم سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح، عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال: [نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة] ، وقال عكرمة: من شاء باهلتها أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ.

فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك:

عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل، فأدنى علياً وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه - أو قال: كساءه - ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣): «اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق»، وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء

يدعى خمًّا - بين مكة والمدينة - فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، وأولهما كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثًا، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [٣٣] فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله:

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُمْسِكُنَّ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] أي: اعملن بما ينزل الله **عَزَّوَجَلَّ** على رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، وأذكرن هذه النعمة التي خُصِّصَتْنَ بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة

## ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُولَاهُنَ هَذِهِ النِّعْمَةُ، وَأَحْظَاهُنَ هَذِهِ الْغَنِيمَةُ، وَأَخْصُنَّ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الْعَمِيمَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيُ فِي فَرَّاشِ امْرَأَةٍ سِوَاهَا، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاذْكُرْنِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَلَيْكَ بِأَنْ جَعَلَكَ فِي بَيْوتٍ تَتْلَى فِيهَا آيَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْحِكْمَةُ، فَاشْكُرْنِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ذَلِكَ وَاحْمَدْنِهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا﴾ (٣٤) أي: ذَا لَطْفٍ بِكَ، إِذْ جَعَلَكَ فِي الْبَيْوتِ الَّتِي تَتْلَى فِيهَا آيَاتُهُ وَالْحِكْمَةُ وَهِيَ السُّنَّةُ، خَيْرًا بِكَ إِذْ اخْتَارَكَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَزْوَاجًا<sup>(١)</sup>.

## أوجه الثناء:

- تفضيل نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ النِّسَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَسْتُ نَكَّاحًا مِنْ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

- نصت الآيات أَنَّهُنَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٠٨-٤١٦) مختصراً.

اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿[الأحزاب: ٣٣]﴾؛ فيشملهن ما ورد في فضائل أهل البيت.

- أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أكرمهن بإذهاب الرجس والتطهير من كل دنس، **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** [الأحزاب: ٣٣].

- امتنَّ عليهن بقوله: **﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾** [الأحزاب: ٣٤]، آيات الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هي القرآن، والحكمة هي أقواله وأفعاله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وما يحصل في بيته، فالزم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أمهات المؤمنين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ** بحفظه وتبليغه.

- عناية الله تعالى بهن وتأديبه إياهن؛ حيث منعهن من الخضوع في القول، وأمرهن بأن يقلن قولاً معروفاً، وأن يقررن في بيوتهن، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى؛ رفعا لمكانتهن وتنزيهاً لجناب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وجعل هذا قرآناً يتلى لتصبح زوجات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قدوة لمن بعدهن من النساء.



٦٩ - جبر المولى تبارك وتعالى لخواطر

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

### الآيتان ٥١-٥٢ من سورة الأحزاب

﴿تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٢﴾

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أنها كانت تُعَيِّرُ النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**، قالت: [ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق؟] فأنزل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾. قالت: [إني أرى

رَبَّكَ يَسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ [رواه البخاري ومسلم].

قوله: ﴿تُرْجَى﴾ أي: تؤخر ﴿مَنْ شَاءَ مِنْهُنَّ﴾ أي: من الواهبات أنفسهن ﴿وَتُؤَيِّدُ إِلَيْكَ مَنْ شَاءَ﴾ أي: من شئت قبلتها، ومن شئت ردّتها، ومن ردّتها فأنت فيها أيضًا بالخيار بعد ذلك، إن شئت عدت فيها فأويتها؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

وقال آخرون: بل المراد: من أزواجك، لا حرج عليك أن تترك القسم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت، وتترك من شئت، ومع هذا كان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقسم لهن. عن عائشة أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية [رواه البخاري]، فهذا الحديث عنها يدل على عدم وجوب القسم، ومن هاهنا اختار ابن جرير **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم.

وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ أَذْفَى أَنْ تَقْرَأَ عَنِهِنَّ وَلَا يَخْرُجَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا أَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي: إذا علمن أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قد وضع عنك الحرج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارًا منك، لا

أنه على سبيل الوجوب، فَرَحْنُ بِذَلِكَ واستبشرن به وَحَمَلْنَ جَمِيلَكَ فِي ذَلِكَ، واعترفن بِمِيتَتِكَ عليهن في قَسْمِكَ لهن، وتسويتك بينهن، وإنصافك لهن، وعدلك فيهن.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: من الميل إلى بعضهن دون بعض، مما لا يمكن دفعه. عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» [رواه أحمد وأهل السنن] وإسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، ولهذا عَقَّبَ ذَلِكَ بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: بضمائر السرائر، حَلِيمًا﴾ أي: يحلم ويغفر.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ ذكر غير واحد من العلماء أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضي عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله ﷺ، فلما اخترن رسول الله الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ كان جزاؤهن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَصَرَهُ عليهن، وحرَّم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجًا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن إلا الإمام والسراي فلا حَجْرَ عليه فيهن.

ثم إنه رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج،

ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوّج لتكون المنّة للرسول ﷺ عليهن.

وقال آخرون: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ أي: بعدما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبية، وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك.

واختار ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعاً. وهذا الذي قاله جيد.

قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ نهاه عن الزيادة عليهن، أو طلاق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه<sup>(١)</sup>.

#### أوجه الشفاء:

- رعاية الله ﷻ لخواطر هؤلاء النسوة الكريمات زوجات النبي ﷺ، فيوجهه نبيه ﷺ من فوق سبع سموات ويأمره، ثم يبين له أن هذا التوجيه لأجل أن تقرر أعين هؤلاء النسوة وحتى لا

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٤٥-٤٤٩) مختصراً.



يدخل الحزن إلى قلوبهن ولأجل أن يرضين، فما أجل مكانتهن عند الله تعالى!!  
- نهى النبي ﷺ عن الزواج عليهن رعاية لخواطرهن،  
فخواطرهن لها مقام عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

- أمر النبي ﷺ بإمساكنهن ونهيه عن طلاقهن دليل أجلى  
من الشمس على صدق إيمانهن، وأن الله سبحانه قد ارتضاهن أزواجاً لخير  
خلقه وأحبهم إليه، وعلم أنهن أهل لهذه الزوجية الشريفة، فهل يرتضي الله  
تعالى لنبية زوجة تسيء إليه أو تخونه حياً أو ميتاً؟!

وإذا كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أمر ولده إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يطلق امرأته  
لَمَّا وجد فيها قلة صبر على قدر الله عَزَّجَلَّ ولم يرتضها زوجة لولده<sup>(١)</sup>، فهل  
تكون عناية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعرض ولده أعظم من عناية الله جَلَّ جَلَالُهُ

---

(١) والحديث في البخاري (٤/ ١٤٢ رقم ٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،  
وفيه: "فجاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما تزوج إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يطالع تركته، فلم  
يجد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن  
عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا  
جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه" يعني: يطلقها، فتأمل:  
هل هذا الذي قالت هذه المرأة أعظم أم الذي ينسبه الشيعة إلى زوجات النبي  
ﷺ وخصوصاً عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟ فلو كانوا صادقين فيما يدعون فلماذا  
لم يأمره الله تعالى بطلاقها، بل وأمره بإمساكها؟!



بعرض نبیه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ !!؟**



## الخاتمة

إن المتأمل في الآيات القرآنية التي تحدثت عن الصحابة (وهي بالعشرات) ليجد فيها من الدلالة على عدالتهم وفضلهم ومكانتهم ما لا يمكن لعاقل أن ينكره، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يصفهم بأنهم **﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾** [البقرة: ٢٨٥] و**﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** [الأنفال: ٧٢] و**﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾** [الأنفال: ٧٤] ويجعل إيمانهم هو معيار الهداية **﴿فَإِنَّ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾** [البقرة: ١٣٧] ومخالفهم هو الضال **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [النساء: ١١٥]، بل ويخبر أنه هو الذي جعل الإيمان في قلوبهم **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾** [الفتح: ٤]، **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾** [الحجرات: ٧].

ويثني عليهم فيقول: **﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾** [الفتح: ٢٩]، **﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** [الحشر: ٨]، **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ**

هَاجَرِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩]،  
 ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠]، ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ خِيَابَ الْمُنَافِقِينَ إِذْ أَخْبَرَهُ الْأُنثَىٰ بِمَا صَنَعَتْ خَتَلَتْ عَلَيْهَا لَسَانَ الْفِتْنَةِ أُولَٰئِكَ يَنْفَكُونَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَرِيلٍ ﴿١٧٤﴾﴾

[آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

ويخبر عن نعمته عليهم فيقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

ويحدثنا أنه قد رضي عنهم: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يَا يَعُونُكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿[الفتح: ١٨]﴾.

ويعدهم بالمغفرة والثواب العظيم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْفَى﴾ [الحديد: ١٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

ويخبر عن توبته عليهم فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

ويخبر أنهم رددوا الإسلام ونصيره فيقول: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٤].

ويمنّ عليهم بأنه نصرهم وأيدهم فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ

الْمَلَكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿[الأنفال: ٩]﴾، ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ، وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿[الأنفال: ١١]﴾ - ﴿يَتَأَيَّاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ ﴿[الأحزاب: ٩]﴾، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿[التوبة: ٢٦]﴾، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَخَوَّضَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ فِي نَصْرِهِ، وَزَرَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿[الأنفال: ٢٦]﴾، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿[الفتح: ١٨]﴾، ﴿يَتَأَيَّاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿[المائدة: ١١]﴾.

ويوصي رسوله ﷺ بهم خيراً فيقول: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ﴿[آل عمران: ١٥٩]﴾، ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿[الأنعام: ٥٢]﴾، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

وغير ذلك الكثير من الآيات، فهل يمكن لعاقل أن يتصور أن هذا الحديث العاطر كان عن جماعة من المنافقين الذين سرعان ما أظهروا الكفر بعد وفاة رسول الله ﷺ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

أم هل يعقل أن يكون هذا الثناء كله هو لأربعة نفر فقط كما يدعي الشيعة؟!!

أليس الفرق واضحاً كالشمس بين حديث القرآن عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وحديثه عن غيرهم؟!!

ألم يذكر مساوئ وقبائح بني إسرائيل حتى عرّاهم للناس؟

ألم يبين جهل النصارى وانحرافهم وضلالهم؟

ألم يذكر فضائح المنافقين ودسائسهم حتى كشفهم وجلاهم؟

ألم يوبخ مشركي العرب ويعاتبهم ويُسِفُّه عقولهم وأحلامهم؟

ألم يذكر سيئات وخطايا قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط؟

فأين نجد مثل هذا أو حتى جزءاً منه في الحديث عن الصحابة؟!!

هل يستطيع عاقل أن يقول: إن القرآن قد ذمَّ الصحابة؟ حقاً إن من يدّعي

## فقه القرآن الكريم

مثل هذه الدعوى لا يمكن أن يكون شخصاً يعرف الفرق بين المدح والقدح، والفرق بين الثناء والذم!!

وإن من يتفكر في علم الله تعالى وحكمته وصدق حديثه، ويتأمل في فصاحة القرآن وبيانه، سيدرك تمام الإدراك أن الصحابة في القرآن أمة فاضلة، وقومٌ عدول، ورجالٌ مؤمنون، وفئةٌ هي محل رضا من الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ﴿فَإَيَّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَةٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الباقية: ٦].

والحمد لله رب العالمين.





## الفهرس

- إهداء ..... ٣
- مقدمة ..... ٤
- موقف الشيعة من آيات الثناء على الصحابة ..... ١٠
- أولاً: ثناء المولى على الصحابة ومكانتهم عنده ..... ١٢
- ١ - عدالة الصحابة ..... ١٤
- ٢ - صفات الصحابة في القرآن والتوراة والإنجيل ..... ٢١
- ٣ - رضوان الله على السابقين من المهاجرين والأنصار والمتبعين لهم بإحسان ..... ٢٩
- ٤ - تآزر المهاجرين والأنصار وفضل من أحبهم وسار على دربهم ..... ٣٦
- ٥ - رفعة درجات المهاجرين المجاهدين ..... ٤٤
- ٦ - البشارة لأهل أحد شهدائهم وأحيائهم ..... ٥٠
- ٧ - نعمة الله تعالى على الأنصار بتأليف القلوب والإنقاذ من النار ..... ٥٨
- ٨ - تأييد المولى رسوله بالصحابة ..... ٦٢
- ٩ - ثناء الله على أهل بيعة الرضوان ..... ٦٨
- ١٠ - بشارة المولى برضاه عن أهل بيعة الرضوان ..... ٧٦
- ١١ - شهادة المولى لأهل بيعة الرضوان بالإيمان ..... ٨٢
- ١٢ - الوعد بالجنة لجميع الصحابة مع تفاوت منازلهم ..... ٨٩
- ١٣ - الأنصار رجال يحبون أن يتطهروا ..... ٩٦
- ١٤ - موثقة المولى للصحابة وصدق استجابتهم ..... ١٠٢

- ١٥ - أهل بدر فئة تقاتل في سبيل الله ..... ١٠٥
- ١٦ - جمع المولى للصحابة الخير والفلاح ..... ١٠٨
- ١٧ - صدق الصحابة في البذل للمولى ..... ١١٢
- ١٨ - ثناء الله على عبادة الصحابة ..... ١١٨
- ١٩ - الإخبار بثواب الصحابة في جهادهم في سبيل الله ..... ١٢٣
- ٢٠ - وصف الصحابة بأنهم هم أولوا العلم ..... ١٢٧
- ٢١ - ثناء المولى على السابقين المستضعفين من الصحابة ..... ١٣٠
- ٢٢ - من فضائل أبي بكر الصديق ..... ١٣٤
- أ - الذي يؤتي ماله يتزكى ..... ١٣٤
- ب - ثاني اثنين ..... ١٣٨
- ج - أمير المؤمنين ..... ١٤٧
- ٢٣ - فضل حمزة وعلي وعبيدة وسائر الصحابة ..... ١٥٠
- ٢٤ - ثناء المولى على زيد بن حارثة ..... ١٥٣
- **ثانياً: شهادة المولى بالإيمان للصحابة ..... ١٥٦**
- ٢٥ - شهادة المولى للصحابة بالتسليم والانقياد ..... ١٥٨
- ٢٦ - شهادة المولى للصحابة بالإيمان ..... ١٦٨
- ٢٧ - المهاجرون والأنصار هم أهل الإيمان والولاية والنصرة لبعضهم ..... ١٧١
- ٢٨ - نزول السكينة في قلوب الصحابة المؤمنة ..... ١٧٩
- ٢٩ - الإيمان هو إيمان الصحابة وإمامهم سيد المرسلين ..... ١٨٥
- ٣٠ - شهادة المولى للصحابة بالإيمان قبل العتاب والتوجيه ..... ١٨٨
- ٣١ - شهادة المولى بالإيمان لأهل بدر ..... ١٩٦

- ٣٢- كثرة المؤمنين في المدينة وقوتهم وضعف المنافقين وقتلهم. ١٩٩
- ٣٣- بيان المولى حال المنافقين للصحابة ..... ٢٠٢
- ٣٤- بيان المولى للصحابة دسائس المنافقين وتآمرهم مع المشركين ٢٠٧
- ثالثاً: تأييد المولى للصحابة ..... ٢٢٨
- ٣٥- وعد المولى للصحابة بالنصر والتمكين وبيان صفاتهم عند تحققه ٢٣١
- ٣٦- إمداد المولى للصحابة وتأيدهم بالملائكة ..... ٢٣٧
- ٣٧- تثبيت المولى وتأيده للصحابة يوم بدر ..... ٢٤٣
- ٣٨- نصر المولى وإيواءه للصحابة بعد الاستضعاف والخوف ... ٢٥٠
- ٣٩- ولاية المولى للطائفتين من الأنصار ..... ٢٥٥
- ٤٠- تمحيص المولى لصحابة وابتلاؤهم قبل النصر والتمكين ... ٢٦٠
- ٤١- ثبات الصحابة اقتداء برسول الله وبركة هذا الاقتداء ..... ٢٦٥
- ٤٢- عظيم بشارات المولى للمهاجرين ..... ٢٧٥
- o أ- المباءة الحسنة للمهاجرين ..... ٢٧٥
- o ب- المغفرة والرحمة للمهاجرين ..... ٢٨٠
- o ج- الرزق الحسن والمدخل المرضي للمهاجرين ..... ٢٨٥
- ٤٣- بشارة المولى بالمغانم والفتوحات للصحابة ..... ٢٩١
- ٤٤- نعمة المولى على أصحاب نبيه بالكف عن القتال ..... ٢٩٤
- ٤٥- بشارة المولى بشفاء صدور الصحابة وذهاب الغيظ من الكفار هزيمتهم ٣٠١
- رابعاً: دفاع المولى عن الصحابة ..... ٣٠٤
- ٤٦- رد المولى على من أساء القول في الصحابة ..... ٣٠٦
- ٤٧- دفع المولى عن الصحابة شر أعدائهم ..... ٣١٢

- ٤٨ - أمر المولى نبيه بالعفو عن الصحابة والاستغفار لهم ومشاورتهم ٣١٩
- ٤٩ - نهى المولى نبيه عن طرد بعض فقراء الصحابة وإبعادهم ..... ٣٢٢
- ٥٠ - أمر المولى نبيه بأن يصبر نفسه مع السابقين الأولين من الصحابة ٣٢٨
- ٥١ - أمر المولى نبيه بالتسليم على الصحابة وتبشيرهم برحمة الله ٣٣٤
- ٥٢ - ذكر المولى سؤالات الصحابة: (يسألونك) وجوابه تشريفاً لهم ٣٣٨

• خامساً: عناية المولى بتزكية الصحابة وتوجيههم والعفو عنهم ..... ٣٤١

- ٥٣ - مواساة المولى للصحابة بعد غزوة أُحُد وتسلية لهم ..... ٣٤٣
- ٥٤ - بشارة المولى بعفوه وفضله على أهل أُحُد ..... ٣٤٩
- ٥٥ - عفو المولى عن كل من فرَّ يوم أُحُد من الصحابة ..... ٣٥٤
- ٥٦ - هداية المولى وتوفيقه وتوبته على أصحاب جيش العسرة ... ٣٥٨
- ٥٧ - رحمة المولى بالمخلفين من الصحابة وفضله عليهم ..... ٣٦٧
- ٥٨ - لطيف عتاب المولى يوم حنين للصحابة ..... ٣٧٩
- ٥٩ - توجيه المولى للصحابة على العفو والصفح ..... ٣٨٤
- ٦٠ - عناية المولى بطهارة قلوب الصحابة الكرام وأمّهات المؤمنين .. ٣٨٩
- ٦١ - توجيه المولى لنبيه بأهمية تزكية أصحابه ..... ٣٩٥
- ٦٢ - بيان مهام وتكاليف نبينا محمد ..... ٣٩٩
- ٦٣ - فضل وجود رسول الله بين الصحابة ..... ٤٠٨

• سادساً: فضل أمّهات المؤمنين زوجات رسول الله ..... ٤١٤

- ٦٤ - قصة الإفك والتربية العظيمة لمجتمع الصحابة ..... ٤١٧
- ٦٥ - عظمة شأن عرض النبي وأعراض المؤمنين عند المولى ..... ٤٢٩
- ٦٦ - أزواج النبي هن أمّهات المؤمنين بنص القرآن الكريم ..... ٤٣٤

ثناء المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ

- ٤٣٨ ..... - ٦٧ - تخيير زوجات الرسول إظهاراً لفضلهن.
- ٤٤٤ ..... - ٦٨ - عظيم شأن زوجات الرسول عند المولى
- ٤٥٠ ..... - ٦٩ - جبر المولى لخواطر أمهات المؤمنين
- ٤٥٦ ..... • الخاتمة
- ٤٦٢ ..... • الفهرس